كتاب الهلال

فلسطين والضمير الإنساني

بقلم

محمد على علوبة

تقديم

طاهر الطناحي

١٠ قروش

سلسلة ثقافية شهرية

كتاب الهلال

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ١٥٦ ـ شوال ١٣٨٣ ـ مارس ١٩٦٤

No. 156 — March 1964

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة جنيه مصرى ـ فى السودان جنيه سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا ـ فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠٠ مليم ـ فى الامريكتين ٥ دولارات ونصف ـ فى سائر انحاء العالم ٣٥ شلنا

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آنة ، ليبيا بنغازى وطرابلس ١٥٠ مليما ، الجزائر ١٧٥ فرنكا ، المغرب ١٥٠ فرنكا

فلسطين والضمير الانساني

بقلم

محمد علي علوبة

الوزير السابق ورئيس الاتحاد العربي

تقديم

طاهر الطناحي

دار الهلال



محمد علي علوبة

إهداء الكتاب

الى أرواح شهدائنا الذين رووا بدمائهم ثرى فلسطين والى الذين أوذوا فى حرياتهم أو أجسامهم أو أموالهم أقدم كلماتى تقديرا للبطولة والتضحيات ، وتذكيرا بمأساة لم تنته فصولها ..

وعلى العرب أن يتخذوا سبيلهم فى هـذا الكفاح ، وأن يعلموا أن مصيرهم بأيديهم .. فاما بقاء واما فناء ..

وفى الماضى عظات وعبر .. فهل آن لنا أن نعتبر ؟..

« ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ..

محمد علي عاوية

المؤلف والكتاب

بقلم: طاهر أحمد الطناحى

يقترن تاريخ القضية الفلسطينية باسم « محمد على علوبة » منذ ظهورها سنة ١٩٣٠ م فى مشكلة « البراق الشريف » التى نازع اليهود فيها عرب فلسطين ، وادعوا لانفسهم منطقة البراق دون العرب ، فتطوع رحمه الله للدفاع عن حق العرب فى هذه المنطقة وفى سائر البلاد الفلسطينية أمام لجنة اختارتها « عصبة الامم » . وانتهت فيها اللجنة الى الاعتراف بحق العرب فى هذه البلاد

ومنذ ذلك الوقت أدرك خطر الصهيونية ، فتبنى قضيتها ، ووهب نفسه للدفاع عنها ، والدعوة الى نصرة فلسطين ، فاشترك مع الزعماء العرب الذين اجتمعوا فى ذلك الحين ، وعقدوا مؤتمرا للدفاع عن فلسطين ، وكان أكبر زعماء اللجنة التى سافرت الى الهند ، والى البلاد العربية والاسلامية للدعاية لقضية فلسطين وجمع جهود العرب وجهود المسلمين من غير العرب للدفاع عن حق العرب فى هذه البلاد ومكافحة مطامع الصهيونية . وكان فى ذلك العهد اول داع لوحدة العروبة ، واتحاد العرب وانشاء « جامعة عربية » قبل أن تنشأ جامعة الدول العربية ببضع سنوات

فاذا كنا نقدم هذا الكتاب بعد « مؤتمر القمة » الذى عقد فى يناير الماضى من ملوك ورؤساء الدول العربية بدعوة من « جامعة الدول العربية » ، فانما نقدم كتاب زعيم جليل من زعماء العروبة والاسلام الذين جاهدوا فى سبيل الاسلام ومجد العروبة وحق العرب فى فلسطين وفى سائر وطنهم العربى ، والذين كافحوا الاستعمار ، وسجلت لهم الوطنية العربية جهادا طويلا ، ودفاعا مجيدا عن حرية العرب ، واستقلال العرب ، وكرامة العرب ، وكانوا دعائم الكفاح الوطنى ضد الاجنبى ، وقادة النهضات القومية والسياسية والاجتماعية نحو خمسين عاما ..!

واذا كان هذا الكتاب يقدم لنا مثلا من جهاد هذا الزعيم العربى المخلص النزيه ، عرفه أبناء الجيل الماضى منذ اشتراكه فى حركة مصطفى كامل الى أن توفى فى مارس سنة ١٩٥٦ — فجدير بنا أن نلقى ضوءا لجيلنا الصاعد على حياة هذا الزعيم ، الذى فقدته العروبة ، وكان فى الصف الاول من الزعماء الذين تعتمد عليهم بلادنا العربية والاسلامية فى الشدائد ، وتستنير بآرائهم وأفكارهم فى ظلام الخطوب

عربى اصيل

وزعيمنا العربى « محمد على علوبة » اصيل فى عروبته اصيل فى ارومته ، اصيل فى زعامته .. فهو عربى جهينى من « قبيلة جهينة » وثيقة النسب بقبيلة « قضاعة » وهى القبيلة الكبرى فى بلاد العرب . وقد نزلت جهينة فى الجاهلية نجدا ، ثم نزلت فيما جاور المدينة بين البحر الاحمر ووادى القرى . واستقر بنوجهينة فى هذه الناحية حينما اخذت دعوة النبى محمد (ص) فى الاتساع . وقد اعتنقوا الاسلام ، وكانوا من خير طوائف المسلمين ، ولم

يرتدوا مع المرتدين بعد وفاة النبى ، ولكنهم آزروا الخليفة ابا بكر ، ونصروه وأيدوه . وقد نزح معظم هذه القبيلة الى مصر ، وانتشروا فيها وخاصة فى « الصعيد » . وعرفت باسمهم قرية « دوار جهينة » وكان لهم شأن كبير فى عهد الفاطميين ، واشتركوا فى وقائع كثيرة ، واستوطنوا مصر السفلى حتى اسوان وحدود « الدولة النوبية » القديمة . وقد انتصر أبناء جهينة على النوبيين وكسروا شوكتهم ، وقضوا على دولتهم وكانوا السبب فى انحلال هذه الدولة وتعريبها وادخال ابنائها فى الاسلام منذ اواخر القرن الثالث الهجرى ، وقضوا بذلك على آخر معقل فى مجرى النيل الاعلى كان يقف عقبة فى وجه الفتح الاسلامى . ومن أسوان والنوبة هاجرت فروع من جهينة الى دارفور وبعض بلاد السودان

وقد ولد « الزعيم محمد على علوبة » فى مدينة المنيا فى نوفمبر سنة ١٨٧٥م، وكان والده « السيد على محمد » من مواليد منفلوط بمديرية أسيوط ـ محافظة أسيوط ـ اما جده فهو « السيد محمد محمد الجهينى » وفد من الحجاز الى مصر هو وعشيرته ، واستوطنوا قرية « دوار جهينة » بمديرية جرجا ـ محافظة جرجا الآن

وقد أمضى والده « السيد على محمد » شبابه فى أسيوط وتزوج من « عائلة الصلاحى » المعروفة بانتسابها لاهل البيت وقد مارس الاعمال الكتابية الى أن انتقل الى المنيا وشغل وظيفة « الباشكاتب » فى مجلسها ، وكان رئيس المجلس وقتئذ هو المرحوم « حسن الشريعى بك » فقدر كفايته واستعداده كل التقدير

ولما انتقل « الشريعى بك » الى اسيوط حينما عين رئيسا لمجلس استئناف الوجه القبلى الذى يمتد اختصاصه من

الجيزة الى أسوان أخذ « السيد على محمد » معه، فشغل وظيفة باشكاتب ذلك المجلس

وفى اسيوط نشأ محمد على علوبة نشأته الاولى فدخل « كتاب » الشيخ محمد طه وحفظ القرآن الكريم كله وقد زفوه بالمزيكة ، وطافوا به أنحـــاء المدينة كالعادة لكل من حفظ عندهم « القرآن الكريم » فى ذلك الحين . ثم دخل مدرستها الابتدائية ، ومكث فيها الى أن حصل على شهادتها الابتدائية . وكان المرحوم محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ السابق من تلامذة هذه المدرسة ، فتوثقت الصداقة بينهما منذ ذلك الحين

وقد التحق بعد ذلك بالمدرسة الخديوية بالقاهرة . واستمر بها الى ان اتم دراستها ، فى السنة الخامسة وكانت مرحلة التعليم الثانوى قد جعلت خمس سنوات بدلا من اربع فى سنة ١٨٩٢ م . ثم التحق بمدرســة الحقوق ، فبقى بها الى ان حصل على شهادتها النهائية سنة ١٨٩٩ م . وكان أول فرقته طول مدة الدراسة فى المدرسة الخديوية ومدرسة الحقوق ، واشتغل على أثر تخرجه وحصوله على الليسانس محاميا فى اسيوط بعد أن تمرن ثلاثة أشهر فى مكتب«الافوكاتو كارتون دى فيار». وكان من اكبر المحامين فى المحاكم المختلطة فى ذلك العصر

لقب علوبة

كانت أسرة « زعيم العروبة » تعرف فى أسيوط باسرة « الجهينى » لان جده من قبيلة جهينة وكان مقيما ببلدة « دوار جهينة » . ثم عرف والده منذ حداثته بلقب « علوب » اذ كانوا ينادونه باسم « علوب » بدلا من « على» من باب التدليل .. وكلمة « علوب » فى اللغة العربيـــة

معناها « القوى الشديد » . ولعلها صارت علوبة من باب المبالغة أو التحريف

وحينما كبر زعيمنا « محمد على علوبة » . وكان لقب علوبة قد عرفت به أسرته ، واشتهرت به ، لم يشأ أن يتحول عنه لهذا السبب ، ولان عائلات غير عائلته كانت تنسب الى جهينة مثلها فآثر الاحتفاظ بلقب «علوبة» الذى لايشاركها فيه أحد ..!

وبعد حوالى سبع سنين الا قليلا شعر بتقدير الناس له فى مهنته ، وثقتهم به ثقة كبيرة زامله فيها النجـــاح والتوفيق ، فكسب من المحاماة فى هذه المدة القصـــيرة مكسبا اغتبط به الى ان حل شهر مايو سنة ١٩٠٧ م . وكان قد ذهب الى القاهرة للمرافعة فى احدى القضـــايا الهامة امام محكمة الاستئناف . وكان وصوله الى محطة القاهرة فى صباح يوم المرافعة . وما كاد يصل الى فناء المحطة حتى تلقى برقية من اسيوط بوفاة والده فجأة بلا مرض سابق ، فقفل راجعـــا الى أسيوط تاركا القضية لمحام يثبت عذره امام المحكمة

مسئولية ونزاهة

وكان والده رحمه الله من اعيان المدينة .. ولم يترك من ورثته ابناء اتموا الدراسة غيره ، وكانوا جميعاتلاميذ فى المدارس ، ومنهم من كان قاصرا . وقد كان « محمد على علوبة » مشغولا بالمحاماة ، لا يتدخل فى أعمال والده الذى كان يحرص على أن يخصص الابن نفسه للعمل فى هذه المهنة ، والا يشغل عنهـــا بشىء يتعلق به ، ولم يكن يسعى هو لمعرفة اعمال والده تعففا منه كشاب عن ان يتدخل فى اعمال غيره ورغبة منه فى ان يكون رجلا مستقلا

معتمدا على نفسه فى تأسيس مستقبله ... !

فلما توفى الوالد ـ وهو ابنه الرشيدفىذلك الحين ـ رأى نفسه مسئولا عن تركة والده وأعماله . وكان يعلم انه يملك فى المدينة مصنعين لطحن الغلال ، وصناعة الثلج ، وان له مقدارا لا بأس به من الارض الزراعية والارض المحيطة بالمدينة ، وأنه كان يقتنى بعض الاراضى البور ويقوم باصلاحها فى مديرية البحيرة .. فقد كان رجلا مقداما ، كثير المشروعات ، ومثل هذه المشروعات تحتاج الى المال الكافى

وفى أول يوم من أيام المأتم ، حضر له رجل ادعى انه دائن لوالده . وطلب منه أن يتعهد « شخصيا » بدين والده ، وأن يسدد المبلغ من جيبه حتى لا يتخذ اجراءات ضد التركة ، وعلم منه ان هناك دائنين غيره يريدون ذلك ، فأجابه انه سينظر فى الامر عقب ايام المأتم ، ووعده بأنه سيلتزم شخصيا بجميع ديون والده ..!

وقبل أن يتعهد « شخصيا » بالديون ، جاءه أحداصدقاء والده من اعيان المدينة وصارحه بأن مصلحته ـ وله أولاد صغار ـ ومصلحة اخوته وعائلته كلها ألا يتعهد بديون ، لا يعرف مقدارها ، وأنه يحسن ان يرفض التعهد ، حتى تطمئن نفسه وتطمئن أسرته من مطالبة الدائنين .. وألح عليه فى قبول نصيحته .. !

وكم كانت دهشة الصديق ، حينما أجابه المحامى الشاب محمد على علوبة :

« اننى سأمضى جميع تعهدات والدى بعد التأكد من صحة الديون وسأتعهد بها شخصيا .. ثم بعد الامضاء أفكر فى أداء هذه الديون عن التركة » .. !

فصاح الصديق قائلا له : « اناخوتك وابناءك الاطفال أعز من التركة »

فأجابه : « لقد نسيت أن سمعة والدى اعز على من التركة ومن ابنائى واخوتى ، وان مكانة والدى وذكراه تأبيـــان علينا أن يذكر اسمه فى المحاكم ، وأن يباع شيء مما كان يملك بالجبر والقهر فسمعة والدى ومكانته وراحته فى قبره ، وحبنا له وتربيته لى ولاخوتى ٠٠ كل ذلك ثروة أدبية لا يساويها شيء فى الوجود » !!

وقد تعهد بجميع ديون والده ، وقام بواجبـــاته نحو ذكراه ، ونحو كرامته وكرامة أسرته ، وسمعتها أمام مواطنيه ٠٠ وبقى يعمل ويسعى ثمانى سنوات كاملة حتى أنقذ التركة واستخلصها سالمة

فى المحاكم الشرعية

مارس محمد على علوبة المحاماة فى أول حياته العملية فى مدينة اسيوط ٠ وقد عمل محاميـا أمام القضـــاء الاهلى والقضاء الشرعى ٠ ولكن حادثا غريبا وقع له فى ذلك الحين جعله يطلق المحاماة أمام المحاكم الشرعية ٠ وقد حدثنى عن هذا الحادث وعن حالة المحاماة والقضاء وقتئذ حديثا طريفا، أترك له رحمه الله أن يرويه كما حدثنى به ٠ فقال :

« ان الفرق عظيم بين ما وصل اليه القضاة والمحامون الان ، وبين ما كانوا عليه فى الزمن السابق ، حيث كانوا يؤخذون للعمل أمام المحاكم الاهلية والشرعية ممن لايحملون شهادات الحقوق

ولا انسى أنى بعد أن أتممت دراسة الحقوق سنة ١٨٩٩ وذهبت الى بلدتى أسيوط لممارسة المحاماة بها ، لم أجد بين المحامين هناك من يحمل شهادة الحقوق ، سوى محام واحد تحت التمرين ، تخرج قبلى بسنتين ، وهو المرحوم محمود بسيونى بك ٠٠ أما الباقون جميعا فكانوا يعملون بلا

شهادات ! • بل كان بينهم ـ مع الاسف ـ كتبة عرائض « عرضحالجية » سمح لهم بأن يكونوا محامين أو « وكلاء دعاوى » كما كانوا يسمونهم ، بعد اجتيازهم امتحانا غاية فى السهولة فى بعض مواد القانون المدنى وقانون المرافعات !

وكان جل القضاة فى ذلك الحين من موظفى الحكومة السابقين بمجالس المديريات الملغاة ، ممن لا يحملون شهادات الحقوق • ولكن الفارق كان عظيما بين المحامين والقضاة ، وان كانوا جميعا ـ من حيث العلم والفن ـ فى حالة لا توجب الاطمئنان • وكان المحامى الحقوقى يتردد كثيرا فى طرح أى بحث علمى أمام أولئك القضاة ، لان مثل هذا البحث كان يضايق اكثرهم ، وفى الوقت نفسه كانت للقاضى سلطة كبيرة تجعل له الحق فى أن يحبس أى شخص ـ ولو كان محاميا ـ اذا تلفظ بألفاظ يمكن أن يعتبرها القاضى اعتداء عليه !

ونظرا الى الفوضى التى كانت ضاربة أطنابها فى المحاكم الشرعية والاهلية آنذاك ، كانت المراقبة القضائية شديدة ، للمحافظة على كرامة المحاكم ، وارتفاع شأنها

***

ومن الحوادث التى لا أنساها ، أننى بعد أن ذهبت الى أسيوط ، وكان فيها مجلس الاستئناف بالوجه القبلى ، قيدت نفسى محاميا أمام المحاكم الشرعية أيضا • ثم وكلت سنة ١٩٠٠ مع زميلى المرحوم محمود بسيونى بك للدفاع أمام المحكمة الشرعية الكلية هناك ، عن سيدة كانت ناظرة وقف لزوجها ، وطلب خصمها ـ وهو وجيه فى المدينة ـ عزلها عن النظارة على ذلك الوقف ، بحجة « الخيانة » كما قال محاميه الشرعى فى الدعوى !

وذهبت مع زميلى للمرافعة فى هذه القضية ، وكانت هيئة المحكمة مؤلفة من : رئيس المحكمة ، ووكيله ، وأحد القضاة . فكان عجبا لى خلال الجلسة الاولى أن فوجئت برئيس الجلسة يصفق بيديه مناديا الحاجب ، مؤثرا هذا على الجرس الكهربائى ، لان استعماله « حرام » أو « مكروه » !

ولما حضر الحاجب ملبيا النداء ، طلب منه رئيس المحكمة ثلاثة أكواب من شراب الخروب ، فأحضرها وشربها القضاة الثلاثة والجلسة قائمة ، ثم قال نائب المحكمة لرئيسها : « هنيئا يا فضيلة الاستاذ » . فرد تحيته بمثلها وأردف قائلا :

ـ نشرب « السوبيا » فى المرة القادمة ان شاء الله !

ونظرت الى زميلى الاستاذ بسيونى فى دهشة واستغراب وهمست فى أذنه قائلا : « أهذا نظام المحاكم عندكم فى أسيوط ؟ »

فلم يرد على بشىء ، خيفة أن يسمع القضاة الفضلاء ، فيحدث ما لا تحمد عقباه !

ولما جاء دورنا فى الدفاع عن موكلتنا ناظرة الوقف ، قدمت زميلى للكلام أولا ، بوصفه أقدم منى عهدا . وفيماهو يملى دفاعه على كاتب الجلسة ـ كالمتبع فى ذلك العهد ـ صفق رئيس الجلسة مرة ثانية ، وطلب من الحاجب أن يحضر الابريق والطشت كى يتوضأ لصلاة الظهر . ثم ترك كرسى الرياسة شاغرا ، وانتحى ناحية فى القاعة وأخذ فى الوضوء ، بعد أن صاح بزميليه قائلا : « البركة فيكم ! »

ولما فرغ فضيلته من الوضوء ، قام للصلاة والجلسة قائمة ، وقد جلس مكانه فى كرسى الرياسة زميله عضو الشمال ، بينما أخذت زميلهما الثالث عضو اليمين سنة من النوم !

ولاحظت أنا وزميلى «بسيونى» ما أشفقنا معه على مصلحة موكلتنا ، من اتجاه فضيلة عضو الشمال ضدها وقدأصبح وحده ، وطلبت الى زميلى أن يستدرك الامر باستعمال حقنا القانونى فى رد ذلك القاضى ، وألححت فى هذا الطلب حتى لا يضيع الحق ، وقال الاستاذ بسيونى بك للمحكمة وهو يفرك يديه فى شىء من الاستحياء :

ـ ان فى القانون شيئا أريد أن أبديه للمحكمة !

فسأله نائب الرئيس : « ماذا تريد يا محمود أفندى ؟ » وما كاد الزميل يتلو مادة القانون التى نستند اليها فى رد المحكمة عن النظر فى القضية ، حتى قال له ذلك القاضى: « هل هذا يصح يا محمود افندى ووالدك صديقى ؟ ! »

فاعتذر الزميل بأنه يؤدى واجبا أباحه القانون ٠٠ !

وبعد مناقشات ، كان موقفنا فيها غاية فى الحرج ،خلت هيئة المحكمة للمداولة ، حيث انضم الرئيس الى زميليه بعد الفراغ من صلاته ٠ ثم عادت المحكمة الى الانعقاد بعد عشر دقائق ، وأعلنت حكمها برفض طلب الرد ، وبعزل موكلتنا !

وفى مساء اليوم نفسه ، علمنا أن فضيلة عضو الشمال الذى رأس الجلسة غادرها بعد اصدار ذلك الحكم مباشرة الى حيث قابل خصم « موكلتنا الوجيه » وهنأه بصدور الحكم فى القضية لصالحه

وهنا لم يسعنى الا أن اقرر شطب اسمى من جدول المحامين العاملين أمام المحاكم الشرعية

زميل مصطفى كامل
فى حركته الوطنية

وقد امتد نشاطه ، وهو محام شاب الى الاهتمام بشئون

وطنه السياسية والاجتماعية ٠ وكان زميلا للزعيم الشاب مصطفى كامل منذ كانا طالبين فى المدرسة الخديوية ، فقد كان مصطفى كامل فى السنة الرابعة من هذه المدرسة ، و « علوبة » فى السنة الاولى ٠ وقد استرعاه نشـــاط « مصطفى » وطموحه وحبه للحرية ، فانضم اليه وصادقه ثم أيده وانضم الى الحزب الوطنى بعد ذلك ، وبقى مع مصطفى كامل معاونا له مساهما فى حركته الى أن توفى ، فتعاون مع خليفته « محمد فريد » واختاره عضوا فى مجلس ادارة الحزب برئاسته ٠ وكان من بين اعضاء الحزب الذين سافروا الى الاستانة سنة ١٩٠٩ م مع محمد فريد ، لزيارة تركيا ، والاجتماع برجال الحكومة وأعضاء مجلس المبعوثان سعيا لاعطاء مصر حقوقها الدستورية ٠٠ !

وقد روى لى رحمه الله عن مصطفى كامل انه لم يكن يريد « حزبا » وانما اراد « امة » متضامنة متراصة ، وحـــركة وطنية قومية ، أساسها حب الوطن ، والتعفف عن الماديات، وعن مغريات الوظائف ، ولهذا دعا للحركة الوطنية وللحرية والعمل لخلاص البلاد من الاحتلال البريطانى ٠ وأصدر الصحف المنوعة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية ، وخطب وكتب فى مصر وأوربا مرارا ، واستمر شعلة نشاط ووطنية واخلاص حتى احترقت حياته الشابة بهذه الشعلة المتقدة ٠٠ !

ولم يؤلف « مصطفى » الحزب الوطنى الا فى أواخـــر أيامه ، وبعد أن رأى حزبين قاما فى مصر لمنافسته : أحدهما حزب الاصلاح الذى ألفه الشيخ على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » ، وثانيهما حزب الامة الذى ألفه طائفة من اعيان البلاد وأنشئوا له صحيفة « الجريدة » التى تولى رئاستها احمد لطفى السيد

وبعد وفاة مصطفى كامل تضاعفت جهوده فى مناصرة خليفته وتأييد الحزب الوطنى ، وأصبح من ألمع الاعضاء العاملين للقضية المصرية • وكان من اعضاء الحزب البارزين فى ذلك الحين المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش ، والمرحوم عبد اللطيف الصوفانى الكبير • وقد ساهم فى الاكتتاب الذى نظم وقتئذ لانشاء مطبعة لصحف الحزب الوطنى ، كما اشترك فى الدفاع عن الشيخ عبد العزيز جاويش فى القضية التى قدم فيها للمحاكمة

بين علوبة والخديو السابق

وكان النزاع شديداً فى عهد المرحوم مصطفى كامل والمرحوم محمد فريد بين صحف الحزب الوطنى ، وصحيفة المقطم •• ثم وقع النزاع بين صحف الحزب وصحيفة المؤيد لصاحبها الشيخ على يوسف رئيس حزب الاصلاح الذى يؤيد الخديو السابق عباس حلمى الثانى • وقد اشتد هذا الخلاف بعد خروج اللورد كرومر من مصر عقب «حادثة دنشواى » ، وتعيين « السير غورست » خلفاً له الذى حدثت فى عهده سياسة الوفاق بين الخديو عباس ، والمعتمد البريطانى الجديد ، وأخذت صحيفة المؤيد تدعو لهذه السياسة مبررة موقف القصر منها ، فى حين اخذت صحف الحزب الوطنى تواصل حملاتها ضد هذه السياسة • وكان رجال الحزب قد انقطعوا عن القصر لهذا السبب ، ولاسباب سابقة من بينها القضية التى قدم فيها محمد فريد للمحاكمة

وقد استمرت الحال على هذا المنوال الى أن سافر ذات يوم الاستاذ محمد على علوبة الى الاسكندرية • وفى اثناء وجوده بهذه المدينة جاء « سعيد ذو الفقار باشا » كبير الامناء ، وافضى اليه بان الخديو يسره ان يراه فى التشريفات الرسمية المقبلة التى ستجرى بعد يومين • فلما اعتذر بأنه

ترك ملابسه الرسمية فى اسيوط ، لم يقتنع بذلك الاعتذار، وصارحه بان « سمو الخديو نفسه هو الذى طلب هـــذه المقابلة وستتم على حدة » !!

فأجابه بأنه سيستجيب لهذهالدعوة ـ بعد استشارة اخوانه رئيس الحزب وأعضائه ـ فاستشار محمد فريدبك وزملاءه ، فوافقوا على ذهابه الى القصر ، ليقفوا على ما يريده الخديو من هذه المقابلة ، فاشترى ملابس رسمية جاهزة ، وتوجه الى القصر ، فقابله الخديو منفردا .. ثم وجه اليه الخطاب قائلا ما مؤداه : « ان الخلاف قد اشتد بين الحزب الوطنى وحزب الاصلاح ، وليس من مصلحة البلاد التراشق بالتهم والمطاعن ، وانه ينبغى أن يكون الجميع جبهة واحدة، وان تتوحد جهود الامة لمناهضة الاحتلال الاجنبى »

فأجاب الاستاذ علوبة : « ان مصلحة الوطن حقا تقتضى تضامن ابنائه جميعا . ولكنى أرجو ان تبدأ صحيفة المؤيد بالكف عن الحملة على الحزب الوطنى ورجاله . وبذلكيكون الامل كبيرا فى أن تكف جرائد الحزب الوطنى عن الحملة ضدكم وضد حزب الاصلاح » !

وعقب ذلك امتنعت صحيفة المؤيد عن نشر أى مقالضد الحزب الوطنى أو أحد رجاله ، فامتنعت كذلك صحف هذا الحزب عن المطاعن بعد أن انتهت حركة الدعوة الى « سياسة الوفاق »

فى الجمعية التشريعية

وفى سنة ١٩١١ م كان محمـــد على علوبـــة فى مقدمة العاملين لعقد المؤتمر الاسلامى الذى أقيم بالقاهرة . وقدم فيه بحثا عن تحديد سعر الفائدة للديون ، والعمل على انقاذ المواطنين المصريين من براثن اليهود الاجانب

وفى سنة ١٩١٣ م بدأت معركة الانتخابات للجمعيــة التشريعية التى تقرر انشاؤها لتحل محل مجلس شـــورى القوانين والجمعية العمومية

وكان وقتئذ ما يزال يعمل محاميا فى اسيوط ، فرشح نفسه للنيابة عنها وعن بعض القرى المجاورة لها . وكان ينافسه فى الترشيح للنيابة عن هذه الدائرة اثنـــان من الاعيان هما : « احمد محمد خشبة بك » وشقيقه « محمود خشبة بك » . وهما عما صديقه المرحوم « احمد خشبة باشا » الوزير الاسبق . وقد نجح محمد على علوبة ، وفاز بالنيابة فى الجمعية التشريعية عن هذه الدائرة . وقدبرهن منافساه الاثنان على أخلاقهما الكريمة وعراقة أصلهما أثناء الانتخاب وبعده ، حتى أن أحدهما بعد ظهور النتيجة أعلن فى جمع من المواطنين أن « الاستاذ علوبة » احق بالنيابة منه ومن أخيه ، لاشتغاله بالقانون والمحاماة وأنه أصلح لخدمة التشريع المصرى وخدمة مصالح البلاد

وقد قدم رحمه الله فى الجمعية التشريعية خدمات جليلة لبلاده ، برهنت على كفاءته ، ووافر علمه ومقدرته فيمـــا تناوله من مناقشات وبحوث قانونية وتشريعية واجتماعية ، أبرزت اسمه وجعلته فى الصف الاول من رجالات مصر الذين يعتمد عليهم فى خدمة القضية الوطنية ومحـــاربة الاستعمار . وقد اصبح ـ عقب الحرب العالمية الاولى ـ أحد زعماء الحركة المصرية اللامعين

فى ثورة سنة ١٩١٩

كان محمد على علوبة فى الصف الاول من رجال الحركة الوطنية منذ كان زميلا لمصطفى كامل كما قلنا ، وقد برهن فى خـلال السنوات التى اشترك فيها بالحـزب الوطنى

والجمعية التشريعية على اخلاصه لوطنه واهتمامه بحريته وحقوقه المهضومة . وقد انتقل بعد انتخابه عضـــوا فى الجمعية التشريعية بنحو عام الى القاهرة ليكون قريبا من ميدان الجهاد الوطنى . وظل طوال الحرب يشترك مـــع زملائه من رجالات مصر وزعمائها السياسيين فى الدفاع عن مصالحها بقدر ما تسمح به ظروف هذه الحرب التى فرضت أثناءها الحماية على مصر ، مترقبا الـــدفاع عن حـــريتها وكرامتها ، حتى اذا انتهت الحرب فى سنة ١٩١٨ م كان احد السبعة الاوائل الذين تألف منهم الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول للمطالبة بحرية مصر ، واستقلالها والغــــاء الحماية البريطانية التى فرضت عليها قهرا

وقد سافر مع أعضـــاء الوفد الى باريس ، وتولى أمانة صندوق الوفد ، وأمضى فى فرنسا مع اخوانه مدة سنتين مجاهدا فى سبيل بلاده وقضية وطنه الى أن عاد معهم الى مصر سنة ١٩٢١ م

وعلى اثر الخلاف الذى وقع بين أعضاء الوفد المصرى ، اعتزل الوفد ، وكاد يعتزل السياسة لما عاناه من خـــلاف وشقاق ، ولكن حبه لخدمة بلاده دفعه الى التمسك بهذه الخدمة مهما عانى من صعاب وجهود ، فاشترك مع زملائه الذين خرجوا من الوفد فى تأسيس حـــزب الاحـــرار الدستوريين ، واختير هو سكرتيرا عاما للحزب ثم وكيـــلا لرئيسه مدة طويلة

ولكن تلك الخلافات بين رجال السياسة وبين الاحزاب التى أخرت القضية الوطنية ، وجنت على مصلحة البلاد ، قد زادته اقتناعا بأن السياسة الحـــزبية فى مصر لا تصلح اسلوبا ناجحا لحل القضية المصرية ، فاعتزل فى ســـنة ١٩٣٦ م الاحزاب والحزبية والتحزب ، محتفظا بصلاتـــه

الودية الطيبة مع جميع العاملين ، وعكف على خدمة الحركات الشابة فى مصر إجتماعيا وسياسيا ، وعلى تربية الشبيبة المصرية على الاستقلال الفكرى والنزاهة الوطنية والاتحاد القومى لاعتقاده أن التناحر الحـزبى فى مصر ليس من مصلحة القضية ، وأن التراشق بالتهم والمطاعن قد ساعد أعداء الوطن ، وزادهم قوة وتمكنا من السـيطرة على بلاده

اتهامه بالالحاد هو وعبد العزيز فهمى

وفى خلال هذه السنوات من حياته السياسية عين وزيرا للاوقاف سنة ١٩٢٥ م . وفى هذا الحين قام بتفقد المساجد فى أسيوط ، فلاحظ على الطلاب الذين يتعلمون فى هـذه المساجد ان اكثرهم فى حالة صحية تستحق الرثاء ، وقد تفشت فيهم الاصابة بالرمد والزلال وغيرهما من الامراض لفقرهم فأصدر قرارا بتعيين المتخرجين فيها دون مراعاة الدقة المتبعة فى التحقق من قوة ابصارهم ، كما وضع مشروع انشاء معهد دينى فى هـذه المدينة على قطعة أرض فيها للحكومة ، فتقرر هذا المشروع وأنشىء هـذا المعهد ، وما يزال حتى اليوم

وقد تبين من اطلاعه على سجلات الاوقاف فسـاد نظام الكثير منهـا ، وأن بعضـها لا يتفق مع مبـادىء الشريعة الاسلامية ، فمضى فى دراسة هذا الموضوع حتى اتمه بعد خروجه من هذه الوزارة . ثم القى محاضرتين ضد نظام الوقف : احداهما فى القاعة الكبرى لمحكمـة استئناف مصر الاهلية فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٦ م . والثانية فى قاعة الجلسات فى محكمة مصر الابتـدائية المختلطة فى ١٦ ديسمبر سـنة ١٩٢٧ م .. وأبان عن فساده ، وطالب بالغاء هذا النظام

وقد عد الكثيرون ذلك حدثا فى التاريخ القضائى المصرى ، وأثار ضجة كبيرة فى جميع الاوساط . واهتم الازهريون له أيما اهتمام ، فاجتمع علماء الازهر ،وأعدوا تقريرا ذكروا فيه أن ما قاله عن الوقف ينافى الشريعة الاسلامية ، وحذا حذوهم علماء المعاهد الدينية فى طنطا والاسكندرية والزقازيق !....

ولم يكتف الازهريون باحتجاجاتهم ، بل أعلن مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعى عن القائه محاضرة فى هذا الموضوع بجمعية الاقتصاد والتشريع بالقاهرة ، دعا اليها الكثيرين من علماء الازهر وطلبته .. كما دعا أيضا كبار أعضاء حزب الاتحاد وأنصاره ، اذ كانت المحاضرة باشراف « يحيى باشا ابراهيم » رئيس ذلك الحزب

وقد حرص «الاستاذ محمد على علوبة» هو وصديقه « عبد العزيز فهمى باشا » على حضور هذه المحاضرة .. وكان مما ذكره الشيخ بخيت أن الوقف سواء أكان اهليا أم خيريا مستمد من كتاب الله الكريم فى قوله تعالى :

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . ثم فسر الوقف بأنه نوع من أنواع البر . ولو ادى الى حرمان ذرية الواقف مما ترك من أموال وممتلكات !!.

وعرض الشيخ رحمه الله للآراء التى ابداها محمد على علوبة فى الوقف ، فقال كلاما كثيرا اتهمه فيه بالالحاد

وهنا وقف « عبد العزيز فهمى » للرد على هذا الاتهام ، فثار فى وجهه الازهريون الحاضرون ، وصاحوا قائلين :

ـ اسكت .. اسكت .. فليسقط الالحاد !! ..

ولولا أن كان معه هو وصديقه عبد العزيز كثيرون من الاقارب والاصدقاء تولوا حمايتهما اثناء ذلك الهيـــاج ، لما نجوا من الاعتداء عليهما فى ذلك اليوم

وقد استمرت حملات « علوبة » ضد نظـام الوقف اكثر من عشرين عاما حتى كتب له النجاح الذى تمثل فى اقرار البرلمان مشروع قانون الوقف سنة ١٩٤٧ م ، ثم فاز بالنجاح الكامل فى عهدنا الحاضر الذى تم فيه الغاء هذا النظام ، وحل جميع الاوقاف الاهلية !

الوزير ونقيب المحامين

وقد مكث خارج الوزارة عدة سنوات ، كان يعمـل أثناءها بالمحاماة ـ مهنته الاصلية ـ التى نشـأ فيهـا وعاش لها وبرع فيها ، ونبغ نبوغا أهله للمكانة الاولى فى هذه الحرفة . وقد عرفت دور القضاء بجميع أنواعــه « المحامى الكبير الاستاذ محمد على علوبة » ـ منذ أوائل القرن الحالى ـ شخصية قوية ، واطلاعا واسعا ، ومنطقا فصيحا وعلما دقيقا بالقــوانين ، ومدافعـا بليغــا عن الحق ، ومناضلا بارعا عن حقوق بلاده فى جميع الميادين. وقد توج تاريخه فى المحاماة بانتخــابه بالاجماع نقيبـا للمحامين سنة ١٩٣٧ م

وقبل ذلك بعام اختير وزيرا للمعارف ـ سنة ١٩٣٦ ـ فى وزارة « على ماهر باشا » وكانت الاحزاب المصرية قد اتفقت على سياسة جماعية وطنية عامة . وهذا الحادث وحده هو الذى حمله على ان يشترك فى الوزارة الماهرية ، ويساهم مساهمة وطنية نزيهة فى « حكم المائة يوم » التى تولت فيها الحكم هذه الوزارة . ويرجع اليــه الفضل فى تهدئة اعصاب الطلبة وقتئذ ـ بعد ثورتهم

المعروفة ـ بما أعلنه لهم بأنه اذا آخذهم فانما يؤاخذهم بسلطان الاب لا بسطوة الوزير » !!

ومما يذكر له ـ وهو وزير فى الوزارة الماهرية ـ أن اختار رئيس الوزارة الاستاذ احمد على علوبة شقيق وزير المعارف مستشارا فى احدى محاكم الاستئناف ، فانتقدت بعض الصحف على ماهر بسبب هذا التعيين على الرغم من انه كان يريد تغذية القضاء الاهلى بأكفأ الشخصيات القانونية وأقواها ليمهد لمشروعه الخاص بالغاء المحاكم المختلطة الذى كان يستعد له جاهدا تنفيذا لما تمت الموافقة عليه فى معاهدة سنة ١٩٣٦ خاصا بالغاء هذه المحاكم

وقد عارض محمد على علوبة فى تعيين شقيقه فى هذا المنصب لصلة القرابة به حتى لا يتهم بالمحاباة ، وأوقف تعيينه فعلا بسبب هذه المعارضة الى ان عاد المجلس بعد مدة الى اقرار هذا التعيين باصرار رئيس الوزراء ، فى جلسة لم يحضرها وزير المعارف الذى كان وقتئذ بالاسكندرية

وقد تولى رحمه الله بعد ذلك منصب وزير الدولة سنة ١٩٣٩ م . وكانت آخر مرة تولى فيها الوزارة . ومما يؤثر عنه أنه رفض منصب الوزارة فى سنة ١٩٤٦ م بعد صدور مرسوم ملكى بتعيينه وزيرا فى وزارة محمود فهمى النقراشى باشا دون أخذ رأيه وعلى غير رغبته

صاحب مبادىء

وقد كان محمد على علوبة صاحب مبادىء فى السياسة والاجتماع . اما السياسة فقد كانت أهم مبادئه فيها جهاده فى سبيل الحرية والاستقلال والمجد الوطنى ،

ومحاربة المستعمرين والمستغلين وطغاة الشعوب ، والعمل لتحقيق سلطة الشعب ، لا سلطة الحاكمين وأعوان الاستعمار ، وكان يؤمن بأن الامة هي مصدر السلطات ، وأن الامم الحية تأبى العيش الذليل ، وتصبو الى الحرية ، وتجاهد فى سبيلها بكل ما أوتيت من مرتخص وغال . وهى تستعذب الآلام ، وترضى بالحرمان ، وتتغذى بالآمال حتى تفوز بالحياة العزيزة ، حياة الكرامة والحرية والاستقلال .

وحرية الامم فى رايه ترتكز على نهوض شامل .. ووسائل هذا النهوض ليست سرا من أسرار الكون ، أو معجزة من معجزاته فهى تكاد تنحصر فى عاملين أساسيين هما : العدل ، والعلم

فالعدل ، يخلق حرية الفرد ويصونها ، وينشر الحب والتضامن بين افراد الشعب ، ويدفع المواطنين الى السعى للرزق والعمل لوطنهم وهم آمنون مطمئنون ، مؤمنون بأنهم يعملون لانفسهم ولمجد وطنهم ، لا لمصلحة الاجنبى ، ولا لمجد طاغية من الطغاة

اما العلم ، فانه ينير الطريق امام ابناء الامة ، ويزيل عنهم غشاوة الجهل والتأخر ، ويدفعهم الى اللحاق بركب الرقى والتقدم ، ويحفزهم الى اختيار الوسائل الصحيحة لتحقيق نهضة قوية فى جميع ميادين الحياة التربوية والاجتماعية والصناعية والزراعية والاقتصادية والسياسية ايضا .. لان العلم هو اساس كل اصلاح فى حياة الشعوب ، ولا يمكن تحقيق اى اصلاح ما دام الجهل متفشيا بين ابناء الشعب

وكانت وسيلته فى نشر المبادىء التى يدعو اليها الكتابة فى الصحف ، والقاء المحاضرات العامة وتاليف الكتب ..

وقد ساعدته فى ذلك موهبته الخطابية وقوة ايمانه بما يدعو اليه

ومن الموضوعات الهامة التى اقترن بها اسمه ، موضوع الغاء نظام الوقف الاهلى الذى تحدثنا عنه ، وموضوع الديمقراطية فى الاسلام الذى شرح فيه آراءه فى اسس الحكم الصالح . وموضوع الحياة السياسية فى مصر بعد ربع قرن الذى ألقى فيه محاضرة بالجامعة الاميركية بالقاهرة فى مارس سنة ١٩٤٢ م ، وموضوع اصلاح الاسرة عن طريق اصلاح حال المراة ، وتنظيم احكام الزواج والطلاق كما جاءت به احكام القرآن الكريم ، وقد تقدم فيه بمشروع قانون الى اللجنة المختصة بمجلس الشيوخ حينما كان عضوا فى هذا المجلس وقد وضع كتاباقيمافى الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعنوان « مبادىء فى السياسة المصرية » تحدث فيه عن نواحى الحياة المصرية التى تحتاج الى الاصلاح ، وأدلى فيه بآرائه فى ثمانية أبواب تضمنت عدة فصول. وقد تناول فى هذه الابواب : ثروتنا القومية واسباب ضعفها ، والنظام النيابى ووسائل اصلاحه ، والنظام الادارى وحاجته الى الاصلاح والتنظيم والتربية والتعليم ، وما يجب على الحاكمين وولاة الامور فى جميع أدوار التعليم وأنواعه فى مصر نحو الناشئة ، وحالتنا الاجتماعية وعيوبها وحاجتها الى الاصلاح فى المدينة والقرية ، والدفاع الوطنى ، وما يجب عمله لتقويته لسلامة الوطن ، وموضوع تنظيم الوقف الاهلى والخيرى. وقد ختم هذا الكتاب برايه فى علاقة مصر بالبلاد العربية والاسلامية . وقد دعا فيه الى تضامن الامم العربية والاسلامية ، وناشد أبناء هذه الامم بان يتعاونوا لمنع ما يصيبهم من كوارث . وقد قال فى هذا الفصل :

« على العرب والمسلمين كافة أن يتعاونوا لمنع هـــذه الكوارث الحائقة بهم ، وأن يعلموا ان وجود أوطـــان أجنبية وسط الاقطار العربيـــة يؤدى حتما الى تمزيق شمل العرب ، وايذائهم فى حياتهم الاقتصـــادية والسياسية

« علينا جميعا أن نتعاون تعاونا صادقا على انقـــاذ العالم العربى مما هو فيه .. ولا يكون ذلك الا بالعلم ، والمثابرة على العمل والتضامن

« وليعلم كل انسان منا ان كل كارثة تصيب احدى الامم الشرقية ، تصيبنا جميعا ، وان ما يصيب فلسطين من استعمار الصهيونية لهو ظلم صارخ وكارثة كبـيرة ينال شررها مصر وسائر البلاد المحيطة بهذا البلد المنكود الحظ

« واطالب العرب ان يواصلوا جهودهم التى بذلوها حتى تكلل بالنجاح .. ولا يضيع حق وراءه مطالب»!!

وقد اشترك رحمه الله اشتراكا عمليا من اجل هذه المبادىء التى يدعو اليها فى عدة جمعيات عربية واسلامية .. فكان رئيسا لجمعية الاتحـــاد العربى ، ورئيســا لجمعية الدراسات الاسلامية ، وعضوا فى الجمعيـــة الخيرية الاسلامية التى أسسها المرحوم الامام الشـيخ محمد عبده ، ورئيسا لجمعية اصلاح الاسرة ، وجمعية انقاذ الطفولة المشردة ، ولجنة البيان العربى ، وجمعية التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ورئيسا لجمعيـــة انقاذ فلسطين !. وقد رأس الوفد الذى سافر ســـنة ١٩٣٤ م الى الحجاز واليمن للتوسط بين الحكومـــة السعودية والحكومة اليمنية لحل ما وقع بينهـــما من خلاف ، حقنا لدماء العـــرب

سفير فى الباكستان

وكان الزعيم محمد على علوبة منذ رفض الوزارة سنة ١٩٤٣ م قد ابتعد عن كل منصب من المناصب الحكومية، وواصل جهاده الذى عرف به منذ زمن طويل فى خدمة العروبة والاسلام بعيدا عن كل هيئة حكومية أو منصب حكومى .. ولكنه لما دعى سنة ١٩٤٩ م الى ان يتـــولى منصب أول سفير لمصر فى دولة الباكستان الجديدة وافق على قبوله . وفى ذلك الحين سألته عن السبب فى قبوله هذا المنصب ، وان كنت أعلم عنايته بالشئون الاســلامية وحبه لخدمة المسلمين فى كل ميدان ، فقال :

« دعانى الى قبول السفارة فىالباكستان ـ رغم بعدها عن مصر واختلافها بعض الاختلاف عنها فى العـــادات والتقاليد والمناخ أمران :

« أولهما ـ انى اعرف هذه البلاد ، وقد ذهبت اليهـا سنة ١٩٣٣ م لمناشدة المسلمين فيها مساعدة فلسطـين وجبت ارجاءها من اقصاها الى اقصاها قبل انفصالها عن الهند ، وزرت مدنها الكبيرة ، واقمت فيها اربعـة أشهر ونصف الشهر ، تعرفت اثناءها ببعض رجالهـا وتوثقت بينى وبين بعضهم الصلات .. فمن هذه الناحية اصبحت هذه البلاد ليست غريبة عنى

« وثانيهما ـ انى وقد رأيت ان فى قبولى هذه السفارة خدمة لبلادى وللمسلمين والعرب ، رأيت وأنا فى هــذه السن ـ ٧٤ عاما ـ ورغم تعرضى لاختلاف المناخ ـ أن اضرب المثل لشبابنا المصرى فى وجوب الاقدام على العمل لخير مصر فىالداخل والخارج .. ولا يخفى ان المصريين قليلون جدا فى الباكستان بحيث لا يزيد عددهم على عدد

اصابع اليدين مع احتساب موظفى السفارة انفسهم

« فوجود العنصر المصرى فى الباكستان ، ووجود صوت لمصر فيها بشرط ان يكون ممثلوها جديرين باظهار مصر بالمظهر اللائق ، من أهم ما يوطد الصلات التاريخية والاسلامية والسياسية بين البلدين

« ولا يخفى ان مصر من اكبر البلاد العربية والاسلامية ، ففيها الازهر الشريف وفيها جامعاتها ومعاهدها العلمية ، وفيها مفكروها النوابغ وكتابها الاسلاميون المجيدون ، ويجب ان تحتفظ بمكانتها الدينية والعلمية والادبية بين المسلمين ، وأن يذهب أبناؤها الى هذه البلاد أخوة متعاونين مجاهدين لمجد العروبة والعرب ورفع شأن الاسلام والمسلمين » !

فلسطين والضمير الانسانى

وكما كان منصب سفير مصر فى الباكستان هو آخر منصب حكومى تولاه ، خدمة لمصر وخدمة للباكستان وللمسلمين والاسلام ، فقد كان كتاب « فلسطين والضمير الانسانى » هو آخر كتاب وضعه فى قضية فلسطين بعد تلك الجهود التى بذلها فى خدمة هذه القضية العربية الكبرى . وقد نهج فى هذا الكتاب منهجا جديدا فلم يخاطب التاريخ وحده ، ولا السياسة وحدها ، ولكنه تناول مكانة فلسطين فى الاديان الثلاثة الاسلامية ، والمسيحية ، واليهودية . وتحدث عن اليهود بين المسلمين والمسيحيين ، ثم تناول وعد بلفور وكيف بدأ وكيف صدر ، وماكان للحرب العالمية الاولى من أثر فى الحوادث السياسية التى وقعت فى فلسطين منذ ذلك الحين ، وتحدث عن الدويلة المزعومة « اسرائيل » وكيف قامت وما هى الاغراض التى قامت من

أجلها ، ولماذا فرضت على هذا الشرق العربى ، والنتائج السيئة التى نتجت من فرض هذه الدولة فى وسط الدول العربية ..!

وقد توجه بالنداء الى شعوب أوربا وامريكا محـذرا ومنذرا من شر اسرائيل وانصار اسرائيل ، وأهاب بالضمير الانسانى فى العالم أن يتنبه لما يصيب المجتمع الانسانى من تشجيع هذه الدويلة التى تعادى بتصرفاتها الوحشية الاديان السماوية والاديان الوضعية ، وتعمل على تحطيم العقائد وهدم المثل العليا والاخلاق الفاضلة ، ولا تعترف بالوجود لطائفة أو لشعب غير شـعبها ، ولا تؤمن الا « بالذهب » وتعتقد أن اليهود وحدهم هم شعب الله المختار، وما دون هذا الشعب من الشعوب فهم من السائمة التى تبـاح دماؤها وأموالها ، وليس لها أى حق من حقوق الانسان ٠ وتعلن فى تبجح أنها هى الجديرة بحكم الشرق الادنى والسيطرة عليه من النيل الى الفرات ، وأنهـا فى المستقبل سيمتد نفوذها ويخفق علمها على جميع القارات، وتصبح الدولة الوحيدة الكبرى التى يباركها الله ٠ !

وهى فى هذا التبجح تنسى التاريخ ، وتنسى القومية العربية التى تأصلت فى الوطن العربى من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى ـ وما لها من مجد أثيـل وأسـس وطيدة بعيدة المدى فى هذه البلاد منذ أقدم العصور ، وتنسى أن الدول المسـيحية فى اوربا وامريكا هى التى أيدتها فى « الامم المتحدة » وان الشعوب المسيحية فى هذه الدول طالما عانت من مطامع اليهود وشر اليهود فى بلادها بما أحدثت من الجمعيات الهدامة ، وجمعيات العراة ، ونوادى القمار ، وبؤر الفساد ، ودور الرذائل التى ترتكب فيها أشنع الآثام ، وما أسسته الصهيونية من مؤسسات

مسمومة ابتكرها اليهود لتخدير المسيحيين أولا والمسلمين ثانيا تحت ستار الاخاء الانسانى ، وتنسى أن الشعوب المسيحية التى تناصر دولها اسرائيل حتى الآن والتى عانت من اليهود هذه المطامع والرذائل والآثام - سوف تعانى منهم فى المستقبل شرا مما عانته فى الماضى

ولهذا يناشدهاويناشد قادتهاوالمسئولين فيها أن يحذروا من اسرائيل ، وأن يتنبهوا الى عواقب قيامها كدولة تقوم بتقوية نفسها وتستعين بتلك المساعدات التى تغدقها عليها الدول الكبرى ، والتى سوف تجنى نتائج هذه المساعدات بما يصيب شعوبها من عواقب وخيمة

خطاب الرئيس جمال عبدالناصر

لقد تناول الزعيم العربى « محمد على علوبة » رحمه الله هذه النواحى التاريخية والدولية والاجتماعية كلها فى هذا الكتاب بأسلوب سلس فصيح ، مؤيدا كل ما قاله بالوثائق الصحيحة .. وطبعه منذ بضع سنوات طبعة محدودة . أهدى نسخها الى رؤساء الدول العربية والاسلامية ورجال السياسة فيها ، كما أهداها الى جميع رؤساء الدول الاجنبية وكبار الساسة الاجانب وممثليها الدبلوماسيين فى الشرق والغرب

وقداطلع على الكتاب الرئيس جمال عبدالناصر ، فبعث اليه بخطاب نفيس يدل على اعجابه بتأليفه وتقديره لمؤلفه قال :

« .. تسلمت شاكرا كتابكم القيم ، فأعجبت باختياركم الموضوع ، ولكنى لم أتعجب فأنت ابن بجدتها ، وفارس الحلبة فى هذا الموضوع . !

« طالعت الكتاب ، فما بلغت نهايته حتى شعرت أنه يتسم بسمات ثلاث :

« فهو تحفة تاريخيـة ، ووثيقة سياسية ، ودرة أدبية

« فمن الناحية التاريخية ، كشف عن حقائق طريفة يجهلها الكثيرون عن قطر فلسطين فى ماضيه وحاضره .. كما أظهر ما حاق به من نكبات فى عصور متعاقبة

« ومن الناحية السياسية تناول بالتحليل الدور الهام الذى لعبه القطر الشقيق فى السياسة الدولية فى أزمان متفاوتة مما ينير أذهان القراء عما خفى من أساليب بعض الساسة ، وما كانوا ينهجونه من وسائل فى سبيل تحقيق أهدافهم . !

« كل هذا بأسلوب سلس ، هو السهل الممتنع ، مع قوة فى العرض وبراعة فى الاداء ، مما أضفى على الكتاب طابع الادب الرفيع

« وانى اذ أشكر سيادتكم على المجهود الكبير ، أسأل الله أن يوفقكم الى مزيد من هذا الانتاج الجليل الذى يساعد على حسن تنشئة شباب الجيل ، ويهديكم سواء السبيل ، والسلام .. »

هذا التقدير الكبير من رئيس الجمهورية العربية المتحدة له مكانته الرفيعة وله قيمته الكبرى .. فمنذ بزغت ثورتنا العربية الاخيرة التى قامت بزعامته، وأيقظت الشعب العربى كله ، ونبهته الى واجبه والى حقوقه المسلوبة ، والى مجده الاثيل ، الذى ازدهرت حضارته الاسلامية فى العالم عدة قرون ، تبنى سيادته قضية فلسطين ، ودافع عنها ــ ولازال

ـ دفاعا مجيدا ، وكسب لها تأييد الدول الآسيوية والافريقية ، وطائفة من الدول الاجنبية الحرة . وكان لها شأنها من عنايته وتأييده والدفاع عنها فى كل مؤتمردولى، منذ عقد مؤتمر باندونج حتى الآن

وقد كان لاقتراح سيادة الرئيس جمال عبدالناصر بدعوة جامعة الدول العربية ، جميع ملوك ورؤساء الدول العربية لعقد « مؤتمر القمة » أثره الكبير ووقعه العظيم فى نفوس أبناء العروبة فى كل الاقطار .. فقد عقد من أجل مصالح فلسطين ، وحياة فلسطين وقضيتها التى وافقوا بالاجماع على الدفاع عنها وصيانة حقوق أبنائها ، لان الدفاع عنها هو دفاع عن الوطن العربى ، وعن شرف العروبة وكرامة العرب

ولا ريب ان الحق فى جانب العرب ودول العرب ، فان اسرائيل دولة أقامها المستعمرون لتكون شوكة فى جنب الامة العربية ، وخنجرا فى وسط الوطن العربى يفصل بين شرقه وغربه ، ويمزق وحدة بلاده وتعاون دوله وشعوبه ..

فواجب الدول العربية أن توحد جهودها ، وتتعاون فى سبيل القضاء على هذه المطامع الاستعمارية وزوال تلك الدولة المغتصبة التى هى فى الحقيقة ليست دولة كسائر الدول ، وانما هى مجموعة دينية عنصرية متعصبة ، اصطنعها لويد جورج وتشرشل وترومان وغيرهم من ساسة الانجليز والاميركان

وكل شىء صناعى لا يقوم على أساس صحيح من العدل والحق مصيره الزوال .. وهذا الشىء هو اسرائيل .. !

طاهر أحمد الطناحى

تمهيد

لى بفلسطين صلات لا تنفصم عراها .. فقد كانت وما تزال عزيزة على وعلى غيرى ، بحكم العروبة والجوار واشتباك المصالح ، ووحدة العادات والتقاليد .. وحدة مزجت بين آمالنا وآلامنا ، فما يصيبها من خير او شر يصيبنا جميعا ..

وتوثقت صلتى الخاصة بفلسطين وأهلها من يوم أن قامت فكرة الدفاع عن البراق الشريف فى صيف سنة ١٩٣٠ .. ذلك أن عصبة الأمم حين اشتد النزاع بين العرب واليهود على محل البراق الملاصق للمسجد الاقصى ، قررت تأليف لجنة محايدة للفصل فى هذا النزاع .. تكونت من ثلاثة هم : وزير سابق لوزارة خارجية السويد رئيسا ، ووكيل محكمة استئناف برن السويسرى ، وآخر هولندى كان حاكما لأندونيسيا ، كعضوين ..

وجاءنى المرحوم أحمد زكى (باشا) المعروف بشيخ العروبة ، ومعه المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الرئيس السابق لجمعيات الشبان المسلمين ، برفقة مندوب فلسطينى أرسله السيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين .. وطلبوا الى الذهاب الى القدس

للدفاع أمام هذه اللجنة الدولية المحايدة ، فلم أتردد فى القبول ..

ذهبنا جميعا الى القدس ، وأقمت هناك زهاء عشرين يوما .. وكان يدافع عن دعوى اليهود ، حاخام فلسطين ، ومحام هناك ، وثالث هو أستاذ يهودى نمساوى من كبار المحامين ، حضر خصيصا للدفاع فى هذه القضية . وبعد مرافعات طويلة وأخذ ورد ، وتقديم مذكـــرات منى ومن زكى (باشـــا) قررت اللجنـــة ـ اعتـــمادا على الحجج الرسمية التى قدمناها ـ أن البقعة المتنازع عليهـــا ملك للأوقاف الاسلامية .. وأن لليهود أن يذهبوا اليها لتأدية عباداتهم وصلواتهم ، باعتبار ان هذا كان منحة من سلطان تركيا ، وتسامحا منه فى المـــاضى ..

شجعنى هذا الفوز ـ وهو انتصار للحق والعدل من رجال محايدين ذوى مكانة ـ أن أوالى خدماتى لفلسطين ، فساهمت بعد فترة من الزمن فى اقامة المؤتمر العـــالمى بالقـــدس فى ديسمبر ســـنة ١٩٣١ م ، وقد جمع عددا غفيرا من أولى الرأى والمكانة من العرب والمســـلمين من جميع الاقطار ، وأصدر قرارات أملا فى أن تكون هـــذه أدلة كافية ، تقنع انجلترا المنتدبة وغيرها بحق فلسطين فى حريتها واستقلالها ..

وفى سنة ١٩٣٣ ذهبت مع ســـماحة المفتى الى شرق الاردن ، ومنه الى العراق ، ثم الى شبه القارة الهندية ، للدعاية لانشاء جامعة عربية فى القدس ، كما فصلنا ذلك فى هذا الكتاب ..

ثم قمنا بعقد مؤتمرات اخرى منها مؤتمر « بلودان » فى سوريا سنة ١٩٣٧ ، وقد حضره كثير من العلماء والوزراء والكبراء ، وأصدرنا فيه قرارات هامة ..

وقد رأينا الاستمرار فى الدفاع عن فلسطين ، ثقة منى بأن العدل يفوز ولو بعد حين .. ففكرت فى عقد مؤتمر كبير دعوناه « بالمؤتمر البرلمانى العالمى للبلاد العربية والاسلامية » ويختلف عن باقى المؤتمرات فى أنه يجمع اعضاء البرلمانات العربية والاسلامية ، كما يجمع رؤساء العشائر ، ووجهاء البلاد المحرومة من التمثيل البرلمانى باعتبارهم متحدثين عنها .. وبذلك تكون قراراته معبرة أدق تعبير عن رغبات الأمم العربية والاسلامية ، ويكون لها أثر مرموق ..

وأرسلت الدعوة الى أعضاء البرلمان المصرى ، والعراقى ، والسورى ، والى الكبراء فى لبنان ، والهند ، والمغرب ، واليمن ، ويوغوسلافيا ، والصين ، وفلسطين ، وبلاد المهجر بأمريكا وغيرها .. ورغم العقبات التى اقيمت فى سبيل انعقاد هذا المؤتمر فانه نجح نجاحا باهرا ، وأتت إليه الوفود من جميع هذه البلدان .. وكان انعقاده يوم ٧ أكتوبر ١٩٣٨ والايام التالية ، فى سراى آل لطف الله بالجزيرة بالقاهرة ..

وبعد ان القيت كلمة الافتتاح ، رأيت ان اضفى على المؤتمر صفة شبه رسمية ، ليكون كأنه برلمان عربى اسلامى عام .. فطلبت الى صديقى الدكتور « محمد بهى الدين بركات » رئيس مجلس النواب المصرى حينذاك أن يرأس المؤتمر فى يوم انعقاده الاول ، كما طلبت الى القائد المحترم « مولود مخلص » رئيس مجلس النواب العراقى ان يرأس انعقاد اليوم الثانى ، وطلبت الى الاستاذ الكبير السيد فارس الخورى رئيس مجلس النواب السورى أن يرأس اجتماع اليوم الثالث ، فتفضلوا بالقبول مشكورين .. وكان لهذا المؤتمر أثره

البالغ فى العالم الاسلامى . وتكونت منه لجان ، اطلعت على التقارير والمكاتبات المقدمة من الافراد والجماعات العربية والاسلامية فى أوربا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة والارجنتين وشيلى وفنزويلا .. وأصدرت قرارات منها تكليفى برئاسة لجنة مكونة منى ومن أصدقائى : السيد فارس الخورى ، والسيد خليق الزمان ـ من كبار مسلمى بلاد الهند ، والذى أصبح بعد ظهور دولة باكستان رئيس الرابطة الاسلامية فيها ثم حاكما للباكستان الشرقية ، والسيد عبد الرحمن صديق ـ من كبار رجال الاعمال فى كلكتا ومن زعماء المسلمين فى الهند ـ وكانت مهمة هذه اللجنة السفر الى إنجلترا لاقناع ولاة الامور فيها بحق عرب فلسطين ، وألا حق لليهود فى اغتصاب أرضهم ..

واتفقنا على أن يسافر ثلاثة منا بالباخرة من الاسكندرية الى انجلترا ، وأن يسافر السيد فارس الخورى من دمشق الى تركيا ومنها إلى انجلترا ، وكانت دهشتنا عظيمة عندما أرسل الينا من « استامبول » برقية تفيد منعه عن مواصلة السفر .. ووصلنا نحن الثلاثة الى لندن وأرسلنا بطاقات الى رئيس الوزارة ووزير الخارجية برغبتنا فى المقابلة ، فردت الحكومة البريطانية بعدم امكان ذلك لظروف سنشرحها فى هذا الكتاب .. فواصلت السعى الى ان قيل لى ان بالامكان مقابلتى منفردا لوزير المستعمرات البريطانى ، وتمت المقابلة وسنشرح ذلك تفصيلا ..

وعندما دخلت الجيوش العربية فلسطين لانقاذها ـ بعد انتهاء الانتداب البريطانى ـ وقامت الحرب بين العرب واليهود ، ساهمت فى تكوين هيئة باسم « هيئة

وادى النيل العليا لانقاذ فلسطين » تألفت من كبار القوم وذوى النفوذ فيهم ، يمثلون جميع طبقات الشعب المصرى .. وكان لها فروع فى الاسكندرية وغيرها . وقد جمعت من المال شيئا كثيرا ، أمدت منه الشعب الفلسطينى بالغذاء والكساء والدواء ، وجهزت كذلك نفرا من شباب مصر جاهد فى فلسطين . وكانوا مثلا فى البطولة والفداء .. واستشهد كثير منهم ، وسيسطر التاريخ اسماءهم بحروف من نور . واستمرت هذه الهيئة زمنا طويلا أدت واجبها كاملا ، وكان الاتحاد العربى بالقاهرة صاحب الفكرة وراعيها ..

وبهذا كله كانت صلتى بفلسطين وثيقة ، وأصبحت خادما لقضيتها ، وسأبقى كذلك مادمت حيا ..

وبما أنى وقفت على كثير من تطورات هذه المأساة التى لا مثيل لها فى الاجيال الاخيرة ، فقد دفعنى ضميرى الى تحرير هذا الكتاب ، للكشف عن بعض الحقائق ، واظهار ما حاق بفلسطين من نكبات ، كى يطلع الرأى العام العالمى على جانب من هذه القصة المؤلمة ..

وآمل أن يستيقظ الضمير العالمى ، ويطالب برد الحق الى أهله ، ورفع الظلم عن المنكوبين ، فان الرجوع الى الحق فضيلة .. وتأييد السلام لا يكون بالظلم والعسف والجبروت فالقوة يجب أن تكون خادمة العدل .. واعتقادى أن كثيرين فى العالم يرون مصلحة الامم ومصلحة السلام فى أن يرقى الانسان ، وترقى الدول الى مستوى النزاهة والانصاف ، لا أن ينساق العالم الى اختراع المواد المهلكة ، وجعلها تتحكم فى مصير الامم ..

ويكفى الانسان فخرا أن ينادى بكلمة الحق ، وأن

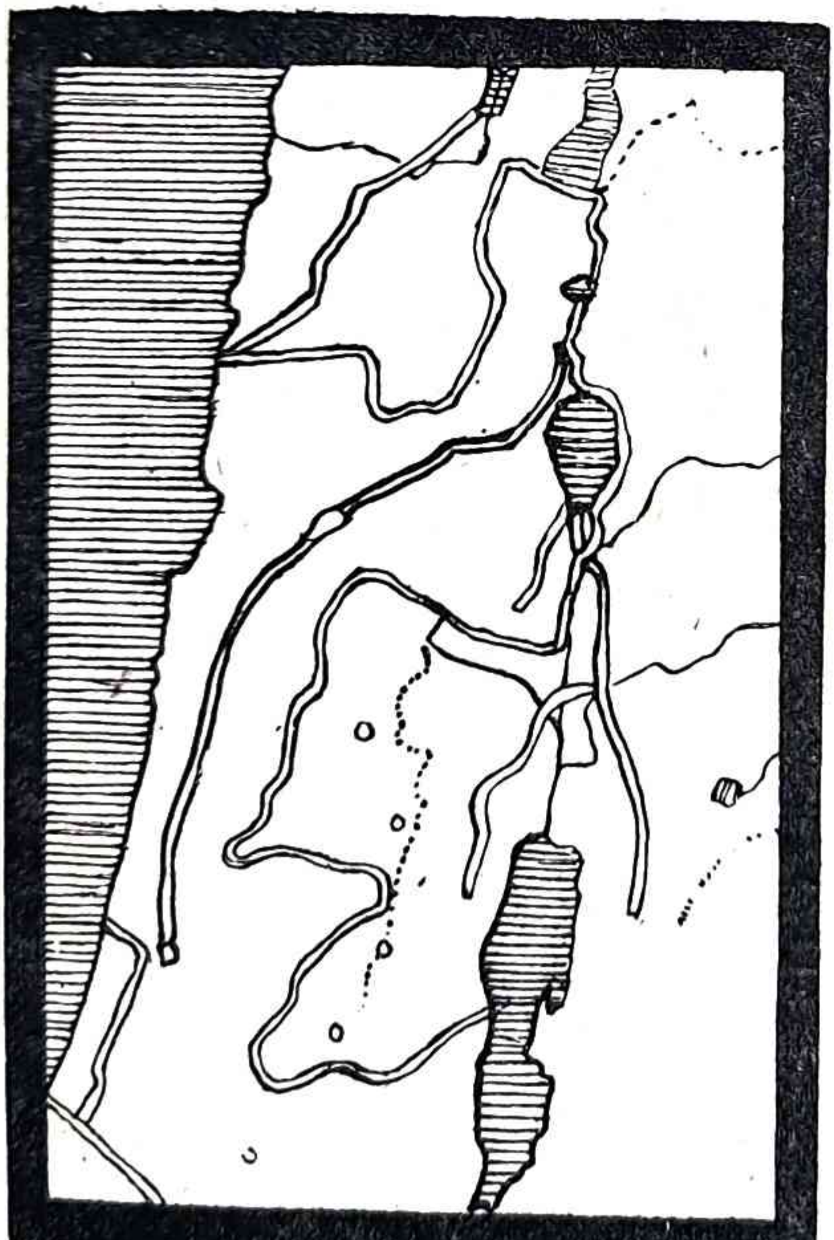
يضع لبنة من لبناته ، ليقـــوم صرح الانســـانية على أساسه ..

ولعلى بوضع هذا الكتاب الصغير أنبه الغافلين ، وأبغى مصلحة فلسطين والعرب ، ومصلحة العالم بأسره .. وأنا كبير الامل أن سيضفى فهم الحقائق على العالم ضـــوءا وهاجا ، تنقشع أمامه ظلمات الجهل والغدر والظلـــم ، وتزول به أسباب التطاحن فى عالم مضطرب ، يتوق الى العيش فى حرية واطمئنان

محمد على علوبة

الفصل الأول

فلسطين والأديان الثلاثة



أهمية فلسطين

لفلسطين أهمية بالغة ، فى نظر الفلسطينيين لانها وطنهم، وفى نظر العرب لانها قلب البلاد العـــربية ، وفى نظر المسلمين لان فيها كثيرا من مقدساتهم .. كمـا أنهـا موضع تقديس أهل الكتاب جميعا من مسيحيين ويهود.. وفوق ذلك كله فان موقعها الجغرافى له خطـورته ، فهى تطل على البحر المتوسط ، وتتاخم بلدانا كثيرة فى آسيا وافريقية ، اذا سيطر عليها شعب من غير جنس ابنـاء البلاد هدد السلم فى المنطقة كلها ، فما بالك اذا امتلكهـا شعب يعادى كل من حوله .. شعب أتى فاتحا متحديا، وطرد أصحاب البلاد من أرضهم ، إلتى فيها مقدسـاتهم وأموالهم ، وبيوتهم وقبور آبائهم وأجدادهم ..

انها لوصمة تلطخ جبين الانسانية ، وتهز الشـعور والضمير العالميين ؛ وفضيحة لا تليق بحضـارة العصر ومدنية القرن العشرين ، أن تتواطأ بعض حكومات الامم الحرة على طرد شعب متجانس من موطن آبائه وأجداده ، ليحل محله أناس من شذاذ الارض ، مختلفـو المذاهب والاجناس ، واللغات والثقافات ، والعادات والتقاليـد والامزجة . وسيسجل التاريخ هذا الجرم الفاحش الذى

يرتد بالجنس البشرى الى أحط تصرفات الهمج فى ظل قانون الغاب .. ان افظع الجرائم التى يسجلها التاريخ ليست اعتداء فرد على فرد ، أو استبداد قبيلة بقبيلة، أو اخضاع شعب لشعب ، وانما هى طرد أمة آمنة من وطنها دفعة واحدة ، ونهب مالها ، وتقتيل افرادها ، رجالا ونساء وأطفالا ، وتشريد ما بقى منهم ، وهو ماوقع فى هذا العصر الذى يسمونه عصر النور

***

قامت فى هذا القرن وما قبله حروب ، استذل المنتصرون فيها الامم المهزومة ، فجردوها من أسلحتها ، وفرضوا عليها تعويضات باهظة أو محتملة . ولكنهم لم يطردوا المهزومين من ديارهم ، ولم يفرضوا عليهم فقدان أوطانهم ، وانتهى أمر المهزومين بأن قاسوا آلام الهزيمة زمنا ما ، وبقوا فى أوطانهم يعملون ويكدون حتى التأمت جراحهم ، وعادوا كما كانوا أمما ، لها طابعها وكرامتها وقوتها ، تعيش فى أرضها حرة ، بعد أن عوقبت عقاب الهزيمة المؤقت . ولم نسمع قط أن أمة ذات حضارة وتاريخ ، تعاقب - بلا جريرة - بالطرد والتشريد ، والفقر والحرمان ، والذل والمهانة ، والتعرض للأمراض الفتاكة ، وتترك هائمة على وجهها ، تطلب الغوث ولا مغيث ، والعون ولا معين ، وقد فرض عليها الانحلال والفناء ..

هذا هو وضع فلسطين ، وهذا هو حظها من الحياة ، ونصيبها من مدنية القرن العشرين !

***

ولما كانت نكبة فلسطين غير مقصورة عليها ، والشر الذى

حاق بها سيجتاح جاراتها – ان عاجلا أو آجلا – فمن الواجب علينا أن نبسط الحقائق ونتدارسها ، ونبين كيف حيكت الدسائس ، وكيف نفذت المؤامرات ، وكيف ضاع هذا البلد العربى ، وشرد أهله فى الآفاق .. حتى يدرك الغافلون أن بلادنا كلها فى خطر ، وأن مأساة فلسطين ستعقبها مآس ونكبات ، ان لم نفهم ونتدبر ، ونستعد لدفع الاذى الماحق ، والشر المستطير

ولما كانت قضية فلسطين فذة فى أسبابها ونتائجها ، فريدة فى تطوراتها وملابساتها ، غريبة فى الدسائس التى حيكت حولها ، كان لزاما أن نفهم الصهيونية على حقيقتها، وأن نتعرف الصلة بينها وبين دين اليهود ، وأن نقف على الاسباب التى دفعت بعض الحكومات الى مناصرة أولئك الذين دبروا تلك المؤامرة لاجتياح فلسطين ، وما فتئوا يدبرون ويعملون لتحقيق مآرب أصبحت غير خافية

ويقتضينا البحث أن نبدأ بذكر طرف من تاريخ ظهور أديان التوحيد الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، بادئين بأبى الانبياء سيدنا ابراهيم عليه السلام

الخليل ابراهيم

منذ نحو ألفى سنة قبل الميلاد ، نشأ الخليل ابراهيم عليه السلام كلدانيا فى القسم الجنوبى من العراق ..وقام يدعو الى وحدة الخالق جل شأنه ، وينادى بعبادة الواحد الاحد بين أقوام يعبدون الاصنام . ثم هاجر من أور الكلدانيين بجانب الفرات الى أرض كنعان (فلسطين) ، ومعه زوجته « سارة » و « لوط » ابن أخيه .. ودخلها لا فاتحا ولا حاكما ، بل نبيا يعبد الله ، وفردا يسعى الى رزقه ويرعى الكلأ .. ثم كانت المجاعة فى فلسطين ،

فارتأى أن يرحل ومن معه الى مصر ، فدخلها أيام حكم الرعاة « الهكسوس » (١) . وأغلب الظن أن ذلك كان ابان حكم الاسرة الخامسة عشرة ، وأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثم خرج منها مزودا بالمال والماشية .. ورجع الى جهة الشمال للعيش فيها ، وتزوج من هاجر « المصرية » وأنجب منها سيدنا اسماعيل .. وبعد سنوات رزق من زوجته الاولى « سارة » بسيدنا إسحاق ، ثم حمل ابنه الاول اسماعيل وأمه « هاجر » الى مكة وأسكنها هناك . وبعد أن شب اسماعيل عاون أباه فى بناء الكعبة بمكة .. وقصة هذا البناء ، وتفجر بئر زمزم من قبل ، وقصة الفداء ، كل ذلك وارد فى كتب التاريخ وفى الكتب المقدسة، فلا محل لذكره فى بحثنا هذا ..

ثم توفى الخليل ابراهيم ، وترك ابنه الاكبر فى الحجاز ، واليه ينتسب العرب .. وأما اسحاق ابنه الاصغر ، الذى بقى فى كنعان ، فقد انجب ولدين هما « عيسو » و « يعقوب » (اسرائيل) والى هذا الاخير ينتسب بنو اسرائيل ..

أقام « يعقوب » فى أرض كنعان ، وأنجب اثنى عشر ولدا ، منهم « يهوذا » الابن الرابع – ومن اسمه أخذت

---

(١) الرعاة « الهكسوس » قوم وثنيون أتوا الى مصر تباعا من جهة فلسطين وسوريا نتيجة للقحط الذى تكرر وقوعه فى تلك البلاد ، فتسللوا الى مصر جماعات جماعات حتى كثر عديدهم ، وانتهزوا فرصة انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية، فاغتصبوا السلطة فى مصر وحكموها ، وكونوا أربع أسر ، من الاسرة الرابعة عشرة الى الاسرة السابعة عشرة . واستمر حكمهم من حوالى ٢٠٩٨ الى سنة ١٥٨٧ قبل الميلاد ولما كانوا أجانب عن البلاد ، فقد جوبهوا بمقاومات عنيفة من المصريين. واستطاع أمراء الجنوب – تحت زعامة مدينة طيبه – أن يواصلوا المقاومة حتى تمكن « أحمس » رأس الاسرة الثامنة عشرة المصرية من طردهم نهائيا من مصر ، وتعقبهم شرقا فى فلسطين وسوريا وما بعدها

كلمة يهوذ – ومنهم يوسف الصـــديق الذى تآمر عليه اخوته ، والقوه فى الجب ، ثم أخذته السيارة وبيع لعزيز مصر حوالى سنة ١٧٢٩ قبل الميلاد وتربى فى بيته ، ثم ارتقى الى أن أصبح أمينا على خزائن مصر (وزير مالية وتموين) .. وكان ملوك مصر فى ذلك الحين من الرعاة الاجانب (الهكسوس) كما أسلفنا ، وقد استقدم يوسف أبويه وأهله ، فأقاموا بها زمنا طويلا ينعمون بخيراتها ، ويكتنزون المال ، ويحتفظون بدينهم وتقاليدهم وعنصرهم ولمـا قويت الحركة الوطنية فى مصر ، وتمكن « أحمس » رأس الاسرة الثامنة عشرة من طرد الرعاة (الهكسوس) لم يتعرض لبنى اسرائيل ، فظلوا بمصر تحت حكـم الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية آمنين ، الى عهد الاسرة التاسـعة عشرة .. ومن ملوكها « رمسيس الثانى » الفاتح العظيم صاحب المعارك المشهورة ضد الحيثيين فى بلاد الشام ، وأشهرها موقعة قادش

***

ويمكن القول ان موسى عليه السلام ، ظهر فى مصر أيام « رمسيس الثـانى » .. وكان عدد اليهود قـد كثر ، وثراؤهم قـد زاد ، وتدخلوا بذلك فى اقتصاديات البلاد وسياستها ، فأوجس المصريون منهم خيفة حتى اذا خلف « منفتاح » أباه « رمسيس » أمعن فى اضـــطهاد هؤلاء الدخلاء وتسخيرهم ، فأجمعـوا أمرهم على تـرك مصر ، تحت زعامة سيدنا موسى وأخيه هارون

وقد يتساءل القارىء ، كيف أن فرعون مصر يضطهد اليهود ويعذبهم ثم يحول دون هجرتهم .. والظاهر أنهم كانوا فى ثراء وكثرة عدد عند ما أرادوا الخروج من مصر ، فخشى فرعون أن يلتقوا بأهل الشمال أعداء مصر ، وهم

يمتون اليهم بصلات القربى ، وقد يتكتلون معهم ، فتتعرض بذلك مصر لاخطار وحروب تخشى مغبتها ، فخرج فرعون وراءهم ، ليلويهم عن عزمهم ، فغرق هو ومن معه فى خليج السويس ..

ويرجح بعضهم أن خروج موسى كان أيام « منفتاح » الذى انتهى حكمه حوالى سنة ١٢١٣ قبل الميلاد .. كما يقول البعض انه لم يرد ذكر لموسى أو لبنى اسرائيل فى أى اثر من الآثار المصرية الا فى حجر من عهد (منفتاح) ذكر فيه أن اسرائيل ، « أبيدت ولم يبق لها بذر » ولم يشر الى موسى أو الى خروج بنى اسرائيل ، ولم يرد فيه عن اسرائيل غير هذه الجملة ضمن الكلام عن بلدان فلسطين ، مما يدل على أن بنى اسرائيل كانوا فى ذلك الوقت فى فلسطين .. وعلى هذا يكون خروج بنى اسرائيل فى عهد سابق لعهد منفتاح ..

خروج اليهود من مصر

خرج اليهود من مصر - بعد أن أقاموا فيها زمنا طويلا - مزودين بالميرة والذهب والفضة .. وانفلق لهم بحر « سوف » كما تقول الكتب الدينية ، ووصلوا الى شبه جزيرة سيناء سالمين .. بينما غرق فرعون وجنوده فى اليم . وأقاموا هناك فى التيه أربعين سنة ، وفيه أنزل الله عليهم المن والسلوى . وهنا تقول التوراة ما يأتى :

« .. لكنكم لم تشاءوا ان تصعدوا ، وعصيتم قول الرب الهكم ، وتمرمرتم فى خيامكم .. وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا الى أيدى الاموريين لكى يهلكنا » (١)

---

(١) سفر التثنية الاصحاح الاول

ولا داعى لشرح أسباب عصيانهم الله بأكثر مما أسلفنا .. وفى التيه مات هارون ، وتوفى بعده موسى ، وحل محله يوشع فى قيادة اليهود .. ثم اتجهوا بعد السنوات التى قضوها فى التيه الى جهة الشمال ..

وتقول التوراة : « .. ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحيثيين والاموريين والحويين واليبوسيين التى حلف لآبائك ان يعطيك ارضا تفيض لبنا وعسلا انك تصنع هذه الخدمة فى هذا الشهر .. سبعة ايام تأكل فطيرا ، وفى اليوم السابع عيد للرب .. »

« وكان لما أطلق فرعون الشعب ، أن الله لم يهدهم فى طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة ، لان الله قال : « لئلا يندم الشعب اذا رأوا حربا ويرجعوا الى مصر .. فأدار الله الشعب فى طريق برية بحرسوف ، وصعد بنو اسرائيل متجهزين من أرض مصر . وأخذ موسى عظام يوسف معه ، لانه كان قد استحلف بنى اسرائيل بحلف ، قائلا : ان الله سيفتقدكم فتصعدون عظامى من هنا معكم .. »

« وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى ايثام فى طريق البرية ، وكان الرب يسير أمامهم .. نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضيء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا .. لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب (١)

وجاء فى التوراة « .. فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الارض ، من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين

---

(١) سفر الخروج اصحاح «١٣»

والحيثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين (١)

يتضح من هذا ظهور نزعة الغزو والفتح عند اليهود .. اذ تأمرهم التوراة أن يفتحوا البلاد الواقعة بين النيل والفرات ، ويأخذوها لانفسهم بالطريقة التى أباحتها لهم التوراة . كما جاء فى الإصحاح الآتى :

« .. حين تقرب من مدينة لكى تحاربها .. استدعها الى الصلح ، فان أجابتك الى الصلح ، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك .. وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والاطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك ، وتأكل كل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك .. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا ، التى ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما الحيثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الهك لكيلا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم ، التى عملوا لآلهتهم ، فتخطئوا الى الرب آلهكم .. » (٢)

الاعتداء اليهودى الاول على فلسطين

سار اليهود الى جهة الشمال كما أمرتهم التوراة الى ان وصلوا الى بلاد الاردن شرقى النهر .. ثم تقول

---

(١) سفر التكوين اصحاح «١٥»
(٢) سفر التثنية اصحاح « ٣٠ »

ان الله أمرهم بعبور هذا النهر نحو الغرب ، أى نحـــو أرض كنعان « التى تسمى الآن فلسطين » ووعـــــدهم بامتلاكها ، فعبروه وساروا جميعا ومعهم الكهنة يحملون تابوت الرب حتى مدينة « أريحـــا » وتفصيل ذلك وارد فى التوراة حيث تقول :

« .. وكان فى المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالابواق أن « يشوع » قال للشعب اهتفوا لان الرب قد أعطاكم المدينة ، فتكون المدينة وكل مافيها محرما للرب . راحاب الزانية فقط ، تحيا هى وكل من معها فى البيت ، لانهـا قد خبأت المرسلين اللذين أرســـلناهما . وأما أنتـــم فاحترزوا من الحرام لئلا تحرموا وتأخذوا من الحـــرام وتجعلوا محلة اسرائيل محرمة وتكدروها .. وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدسا للـــرب وتدخل فى خزانة الـــرب . فهتف الشـــعب ، وضربوا بالابواق . وكان حين سمع الشعب صـــوت البـــوق ان الشعب هتف هتافا عظيما فسقط الســـور فى مكانه ، وصعد الشعب الى المدينة .. كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة . وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد الســـيف . وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الارض ادخـــلا بيت المرأة الزانية ، وأخرجا من هناك المرأة وكل مالها كمـــا حلفتما لها .. فدخل الغـــلامان الجاسوسان وأخـــرجا راحاب وأباها وأمها وأخوتها وكل مالها وأخـــرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة اسرائيل . وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها .. انما الفضـــــة والذهب وآنية النحاس والحـــديد جعلوهـــا فى خزانة بيت الـــرب . واستحيى يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها ،

وسكنت فى وسط اسرائيل الى هذا اليوم . لانها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لكى يتجسسا «اريحا» (١)

حكم داود وسليمان

وتنفيذا لما سبق من نصوص ، ورغبة من اليهود فى اغتصاب أراضى فلسطين وامتلاكها ، بدءوا كما قلنا بالهجوم على « أريحا » واستولوا عليها ، وتصرفوا فى اهلها وأموالها على النحو الوارد فى النصوص السابقة ، واستمروا بعد ذلك فى غزوهم

وفى حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد ، احتل اليهود أغلب البقاع الجبلية فى أرض كنعان .. ثم اختاروا « شاءول » ملكا لهم . وخلفه الملك داود الذى هزم الكنعانيين ووطد ملكه فى أرضهم . ومدة حكمه نحو أربعين سنة من حوالى سنة ١٠١٠ الى سنة ٩٧٠ قبل الميلاد . ومن بعده جاء الملك سليمان ، ووسع ملكه من جهتى الشمال والجنوب ، وبسط سلطانه على الاراضى التى كانت تفصل بين الامبراطوريتين المتخاصمتين : آشور ومصر ..

ولكنه لم يمتلك ساحل البحر المتوسط امتلاكا تاما بل كان هذا الساحل ، من الجنوب ملكا لقوم يدعون بالفلسطينيين ، أتوا من جزر البحر المتوسط ، واستقروا فيه ، واستردوا سلطانهم كاملا اثر موت الملك سليمان ، ومن الشمال أى فى لبنان ملكا للفينيقيين

وعلى هذا كانت فلسطين ، يسكنها أهلوها الكنعانيون ومعهم اليهود فى الوسط ، ويسكنها الفلسطينيون فى

(١) سفر يشوع اصحاح «٦»

الساحل ، ثم توالت العصور واندمج الكنعانيون والفلسطينيون فى وطن واحد باسم فلسطين . وقد بنى سليمان هيكله على جبل الثريا بأورشليم « القدس » . ومات حوالى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد . وبموت سليمان تطرق الضعف الى مملكته ، وانقسمت الى قسمين : مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة « نابلس » . ومملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم «القدس» وقد اندمجت الاولى فى امبراطورية أشور ، فيما بين سنة ٧٢١ و٧١٥ قبل الميلاد . وبقيت يهوذا تحت سيادة هذه الامبراطورية

وفى سنة ٥٨٥ قبل الميلاد أغار بختنصر ملك بابل ، التى حلت محل آشور ، على مملكة يهوذا وضمها الى ملكه ، ونهب مدينة القدس ودمرها ، ودمر الهيكل تدميرا تاما ، ونفى اليهود الى جهة الفرات فى منطقة بابل وطنهم الاصلى

وفى حوالى سنة ٥٣٨ قبل الميلاد بعد أن احتل « قورش - ملك الفرس - بابل ، سمح لليهود المنفيين بالرجوع الى فلسطين ، فرجع اليها بعضهم ، وأخذوا فى اعادة بناء الهيكل ، بتصريح من قورش .. وبقى أكثرهم فى بابل

وبعد قرنين أو أكثر خضع اليهود لحكم البطالسة خلفاء الإسكندر الاكبر ، الذى فتح هذه البلاد من قبل

وفى سنة ٦٣ قبل الميلاد اكتسح الرومان فلسطين ، واستولوا على القدس ، ولم تقم لدولة اليهود بعد ذلك قائمة الى عصرنا هذا

ومن هذا البيان يظهر بوضوح أن اليهود اغتصبوا فلسطين من أهلها اغتصابا ، بالقوة والقهر والتقتيل .. وانهم لم يمتلكوا ساحل البحر المتوسط الا فترة قصيرة . ولم تكن لهم دولة مستقلة ذات سيادة بالمعنى الصحيح

الا فى حكم داود وخلفه سليمان . واذا اضفنا مدة الضعف والانقسام فى الدولة اليهودية ، أمكن اعتبار نهاية سلطان اليهود على فلسطين حوالى ٧١٥ قبل الميلاد . وعلى ذلك تكون أطول مدة حكم فيها اليهود فلسطين بين سنة ١١٠٠ وسنة ٧١٥ قبل الميلاد

***

حكم الرومان بلاد فلسطين من سنة ٦٣ قبل الميلاد كما أسلفنا ، وبقى هيكل اليهود الثانى الذى سمح قورش ملك الفرس لهم باعادته ، وعاش اليهود تحت سلطة الرومان الى أن دمر الامبراطور تيطوس فى سنة ٧٠ ميلادية مدينة أورشليم وأحرق الهيكل بسبب ثورة قام بها اليهود

وفى سنة ١٣٥ ميلادية دمر الرومان أورشليم مرة أخرى تدميرا تاما وحرثوا أرضها .. ثم أتى الامبراطور الرومانى أدريانوس ، وأقام مكان الهيكل اليهودى هيكلا وثنيا ، باسم الهه المشترى « جوبيتر » .. وبقى هذا الهيكل الى أن قامت المسيحية فى أورشليم ، فدمره المسيحيون من أساسه فى عهد الامبراطور قسطنطين ووالدته هيلانه

الفتح العربى

ظلت فلسطين خاضعة للرومانيين والبيزنطيين نحو ٥٠٠ سنة ، الى أن فتحها العرب سنة ٦٣٦ ميلادية (١٥ هجرية) ، وأقاموا مسجد عمر مكان الهيكل الذى كان لليهود قديما ، ثم للوثنيين الرومان من بعدهم ، ثم دمره المسيحيون بعد ذلك نهائيا كما أسلفنا

ومن هذا يفهم بوضوح أن العرب المسلمين لم يغتصبوا هيكلا لليهود ، كما أنهم لم يغتصبوا مملكة من اليهود ، وانما أخذوا بلدا كان خاضعا للرومان ، ومن قبل للبطالسة ، ومن قبل لليونان ، ومن قبل للفرس ، ومن قبل لمملكة بابل ، ومن قبل لمملكة أشور .. واستمر العرب فى فلسطين الى عصرنا هذا ، أى نحو أربعة عشر قرنا ..

ورغم تعدد الفتوح ظل أهل البلاد الاصليون ، من الكنعانيين ومن عاش معهم ، يقيمون فى دورهم ويستثمرون أراضيهم ، تحت حكم الامبراطوريات المختلفة . وقد تأثروا بهذه الديانات فكانوا وثنيين ، ثم مسيحيين ، ثم مسلمين ومسيحيين . وتعدد الديانات والعقائد فى تلك الديار لاينفى أنهم اصحابها من يوم أن ولد التاريخ .. وهؤلاء السكان أصحاب تلك الديار ، هم الذين شرد أبناؤهم فى الايام الاخيرة ، وحل محلهم اليهود الاغراب ، الذين لم تكن لهم صلة بفلسطين سوى أنهم أغاروا عليها فى الماضى البعيد وحكموها قهرا فترة قصيرة كما بينا .. وهاهم أولاء الآن يعيدون سيرتهم الاولى ، بفضل معونة انجلترا وامريكا

اليهودية دين عنصرى

يختلف المؤرخون فى أمر التوراة ، فبعضهم يقول : ان التوراة الحالية لم يكتبها موسى الكليم ، وانما هى من وضع أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها .. ويقول آخرون : ان الاحبار ألفوها على التعاقب فى الفترة بين القرن الثالث عشر والخامس قبل الميلاد ، معتمدين فى تأليفها على روايات ، سمعوها قبل سبى بابل . وفريق يقول : ان جميع أسفار التوراة دونت بعد السبى البابلى ،

ودليلهم على ذلك كثرة الالفاظ البابلية فيها (١)

وليس يهمنا هذا فى كثير أو قليل ، وانما الذى يعنينا هو أن اليهود يؤمنون بصحة التوراة ، ويعتقدون انها صادرة من عند الله ، ويلتزمون أوامرها وقد اوردنا بعضها من قبل ، ويقدسون نصوصها ، ومنها أنهم شعب الله المختار فضلهم على العالمين ، وميزهم على الخلق . وبلغ من اعتقادهم بسمو عنصرهم أنهم يترفعون على العناصر الاخرى ، ولا يندمجون فيها بل انهم ينكرون المساواة مع الذين يشتركون معهم فى النسب الى الخليل ابراهيم . ويقطعون الصلة بينهم وبين إسماعيل أبى العرب ، حتى قالوا ان « الفداء » كان لاسحق ولم يكن لاسماعيل

من أجل ذلك لم يسعوا فى التبشير بدينهم ، وأنفوا من اشتراك غيرهم فى شرف الانتساب اليه . وحصروا هذا الشرف فى نسل يعقوب وحده ، واعتبروا باقى البشر همجا أو شبه أنعام « جوييم » خلقهم الله لخدمتهم ، وليكونوا تحت امرتهم

على أن هذا لم يمنع دخول عناصر أخرى فى دين اليهود ، مثل أهل اليمن الاقدمين ، ، الذين اعتنقوا اليهودية طواعية أيام حكم الرومان ، كذلك أثبت علماء الجنس البشرى أن عناصر آرية كثيرة قد اعتنقت اليهودية ، ومنها الصقالبة والجرمانيون اليهودمن سكان سواحل بحر البلطيق ، الذين تدل سحناتهم ، وتكوين رءوسهم ، والوان بشرتهم ، وزرقة عيونهم ، واصفرار شعورهم ، على أنهم آريون قطعا

لكن اليهود رغم أن دخل فى دينهم كثير من الشعوب

(١) انظر كلمة « توراة » فى موسوعة لاروس والموسوعة الفرنسية الكبرى والموسوعة البريطانية

المختلفة والعناصر المتعددة يعتبرون كل يهودى من نسل يعقوب ومن صميم الاسرائيليين .. وهذا الخليط المكون من عناصر مختلفة أصبح فى نظرهم شعب الله المختار ، عنصره دين اليهود لا حقيقة أصله وسلالته ، فضـــلا عن أن سلالة أسباط يعقوب قد قضي عليها الزمن وفنيت فى التاريخ . ولهذا اصبحت العنصرية عندهم هى الـــدين ، ولو تهود أحد أبناء القرن العشرين لاصبح فى نظرهم من سلالة أسباط يعقوب

المسيحية دين عالمى

كان من نتيجة تحفظ بنى اسرائيل وعدم التبشـــير لدينهم ، أن أصبحوا قلة فى العالم بعكس المسيحية التى ظهرت فيما بعد ، وعارضت فكرة الديانة العنصرية .. وكان الســـيد المسيح بمخـــــالفته بعض قواعد آبائه الاسرائيليين قد أثار حفيظة اليهود ، فحملوا عليه حملات شعواء ، وطالبوا الحاكم الرومانى بتسليمه اليهم، ليعذبوه ويصلبوه ، وكثير من نصوص الانجيل تؤكد مخـــــالفة المسيحية للديانة العنصرية ، وتنكر امتياز عنصر عـــلى عنصر .. وحسبنا أن نورد هنا بعضها . جاء فى الانجيل :

« .. فاصنعوا اثمارا تليق بالتوبة ، ولا تفتكروا أن تقولوا فى انفسكم لنا ابراهيم أبا .. لأنى أقول لكـم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم .. والآن قدوضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار » (١)

وجاء فيه ما يأتى :

« ... الحق أقول لكم لم أجد ولا فى اسرائيـــل

---

(١) انجيل متى اصحاح «٣»

ايمانا بمقدار هذا واقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات ، واما بنو الملكوت فيطرحون الى الظلمة الخارجية » (١)

وجاء فيه :

« .. فانى أقول لكم أن كثيرين سيطلبون ان يدخلوا ولا يقدرون ، من بعد مايكون رب البيت قد قام واغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون الباب قائلين يارب يارب افتح لنا يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . حينئذ تبدءون تقولون أكلنا قدامك وشربنا ، وعلمت فى شوارعنا .. فيقول : أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم . هناك يكون البكاء وصرير الاسنان متى رأيتم ابراهيم واسحق ويعقوب وجميع الانبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجا . ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون فى ملكوت الله .. وهو ذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين » (٢)

وجاء فيه :

« .. أجابوا وقالوا له أبونا هو ابراهيم . قال لهم يسوع لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم » (٣)

وذكر بولس فى رسالته الى أهل رومية ، أن الختان لا يجعل الانسان ابنا لابراهيم ، وانما ابناؤه من يسلكون فى خطوات الايمان ، وأن ابراهيم أب لنا جميعا والله جعله أبا لامم كثيرة

---

(١) انجيل متى اصحاح «٨»   (٢) انجيل لوقا اصحاح «١٣»
(٣) انجيل يوحنا اصحاح «٨»

وجاء فى رسائل بولس لاهل رومية أيضا : « لانالكتاب يقول كل من يؤمن به لايخزى .. لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى لان ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به » (١)

وذكر ايضا ، آن حكم الناموس يتم بالروح لا بالجسد ، وأن اهتمام الجسد موت ، وأما اهتمام الروح فهو الحياة والسلام ..

ونقل بولس كذلك عن السيد المسيح : ان أعمال الانسان هى التى تطهره أو تنجسه

***

مما تقدم يفهم بجلاء أن دين عيسى عليه السلام يختلف عن دين بنى اسرائيل فى أمور أهمها آن المسيحية ديانة لا تأبه بالعنصرية وانما تنظر الى اعمال المرء ، وأن لا امتياز بين عنصر وعنصر بعكس مايدين به اليهود أولئك الذين جعلوا من أنفسهم شعب الله المختار ، واعتبروا باقى البشر عناصر منحطة

وقد قام الحواريون بعد سيدنا عيسى بالدعوة لدينه ، وضحوا بما ضحوا ، وقاسوا فى سبيل ذلك ما قاسوا من تعذيب وتقتيل ، سواء أكان ذلك من اليهود أم من الوثنيين فى جميع أرجاء الارض

الاسلام دين عالمى

والدين الاسلامى الذى يعتبر محمدا خاتم النبيين والمرسلين، هو أيضا دين عالمىبنص القرآن اذ يقول: «وما

(١) رسالة بولس الرسول الى أهل رومية . اصحاح «١٠»

ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (١)

ويعتبر الانسان أرقى مخلوقات الله ، خلقه فى احسن تقويم ، وكرمه تكريما « ولقد كرمنا بنى آدم » (٢) وقرر المساواة بين الناس أجمعين ، فلا تفاضل بينهم الا بالعمل الصالح .. « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (٣)

وأكد الرسول هذه المساواة بأحاديث كثيرة، منها قوله في خطبة حجة الوداع :

« أيها الناس .. أن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على اسود ، ولا لأسود على أبيض ـ فضل ، الا بالتقوى .. الا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب »

من هذا وغيره من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، يفهم أن الاسلام دين عالمى ، وأن الناس سواسية فلا تفاوت بين العناصر ، ولا تفاضل بين الافراد ، فلا غدر ولا ظلم ولا كراهية . ويجب أن يسود العدل بين البشرية .. فالناس جميعا من اب واحد هو آدم ، لا ابراهيم ولا اسماعيل ولا إسحاق ولا يعقوب ، وأن أكرمهم عند الله اتقاهم

وقد سعى النبى عليه السلام الى تنقية النفوس وتطهيرها من الرجس ، حتى لا تصدر أعمال المرء عن هوى جامح ، او رغبة اثيمة

---

(١) سورة سبأ (٢) سورة الاسراء
(٣) سورة الحجرات

واذا تصفحت القرآن الكريم ترى فيه آيات بينات تدل على ما يجب ان يكون عليه الانسان من طهر وعفة وشهامة، وخير الناس جميعاً

***

وعلى هذه الاسس قام النبى عليه السلام بالدعوة الى دينه بين أهل الكتاب وعباد الاصنام ، يدعوهم الى طاعة الله والاخاء والحرية والمساواة ، ويجادلهم بالحسنى « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » (١) بغير ما عنف ولا اكراه .. ثم قام من بعده صحابته ، ينشرون الدين على هذا النحو فى جميع الارجاء

***

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان الاسلام ظهر فى مكة المكرمة فى أوائل القرن السابع الميلادى .. وكان النفوذ فيها لقريش الوثنية ، صاحبة الثروة والجاه ، والتى تنفرد بخدمة الكعبة التى بناها من قبل ابراهيم وابنه اسماعيل

وكان الوثنيون فى الحجاز أهل قوة وبطش وجاهلية ، وكان لليهود مستعمرات صغيرة فى يثرب « المدينة » وخيبر المتقاربتين .. وكان بعض المسيحيين يسكنون جهات أخرى اهمها نجران

فلما اعلن النبى دعوته ، كان اهل قريش اشد اعدائه مقاومة وبطشا .. ناصبوه العداء ، وآذوه هو واتباعه ، وبطشوا بمن دخلوا فى دينه ، حتى فكر بعضهم فى الهجرة فرارا بدينهم وأرواحهم .. فالى اية جهة يفرون ؟ والى

---

(١) سورة العنكبوت

من يلجئون ؟ .. لقد صحت عزيمتهم على الهجرة الى بلاد الحبشة ، وهى بلاد مسيحية يحكمها النجاشى ، لجأ اليه المسلمون وكان عددهم أحد عشر رجلا منهم جعفر بن ابى طالب ، واربع نسوة

كيف عامل المسيحيون النبى محمدا وصحبه ؟

لجأ الصحابة الاحد عشر ومعهم نسوة أربع الى النجاشي باشارة من النبى محمد عليه السلام .. وما أن استقروا هناك .. واطمأنوا ، حتى ارسلت قريش خلفهم برجلين من الوثنيين ، يطلبان من النجاشي ردهم الى بلادهم ، زعما منهما أن الامن مستتب فى الحجاز ، وان هؤلاء اللاجئين كفروا بدين آبائهم واجدادهم ، وانهم فوق ذلك لا يؤمنون بدين النجاشي . فلم يكن من هذا المليك الا أن حقق الامر بنفسه ، فتلا عليه المسلمون سورة مريم ، وفيها يذكر القرآن ان عيسى عليه السلام رسول من عند الله ، وان مريم العذراء حملت به دون أن يمسها بشر ، وانه روح الله وكلمته ألقاها اليها . وفى السورة ما يأتى بنصه :

« فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها الا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا فأما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا . فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا ، فأشارت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبد الله ، آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا ، وجعلنى

مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا .. وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » (١)

فلما سمع النجاشى والبطارقة هذا القول قال البطارقة: هذه كلمات تصدر من النبع الذى صـــدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح . وقال النجاشى : ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . ورفض النجاشى تسليم اللاجئين الى منـدوبى قريش ، بعـد ان افهم أن المسلمين يعترفون بعيسى ، ويقرون النصرانية ، ويعبدون الله . فرجع المندوبان ، وبقى المهاجرون فى بلاد الحبشة .. يكرم النجاشى مثواهم ، الى أن بدا لهم الرجوع الى وطنهم ظانين الا خوف عليهم ، لكنهم رأوا بعد رجوعهم أن الاضطهاد ما زال قائما . فهاجر ثانية الى بلاد الحبشة ثمانون مسلما ، ومعهم نساؤهم واطفالهم ، وعاشوا فى أمن وتكريم الى أن هاجر النبى الى يثرب (المدينة) فلحقوا به هناك

***

كذلك لم ير المسلمون من نصـــارى الحجاز تآمرا أو خداعا ، لان هؤلاء عرفوا أن الاسلام سجل كرامة المسيح عليه السلام ، وقدسيته هو وأمه البتول .. وأن سيدنا عيسى وقد شهد التاريخ بتعذيب اليهود له حتى وصلوا به الى الصلب قد أكرم القرآن شخصه ، ونزهه ، وحفظ ذاته المقدسة من أن يتعرض جسمه الطاهر للقتل والصلب فقال : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (٢) .. وان الله تعالى بقدرته رفعه اليه ، وهذا أرقى ما يقال عن السيد المسيح

---

(١) سورة مريم (٢) سورة النساء

ومما يدل على حسن معـــاملة المســيحيين للمسلمين الاوائل ، تصرف المقــوقس عظيم القبط فى مصر مع وفد المسلمين الذين حملوا اليه دعوة النبى للدخول فى الاسلام .. فقد أصغى المقوقس الى طلبات الوفد وزوده بهدية الى النبى منها السيدة مارية القبطية ، التى تزوج بها وأنجب منها ابراهيم

وهذا يدل على أن معاملة المسيحيين للمسلمين فى تلك الاوقات كانت معاملة نبل ، من رجال دين توحيـد عالمى لرجال دين توحيد عالمى .. ولم يكن فى الامر عنصرية أو عنجهية ، بل كان هناك تفاهم بالحســـنى ، ورغبة فى الوصول الى الحق

كيف عامل اليهود النبى محمدا وصحبه ؟

قلنا ان المسلمين يعترفون بدين عيسى وبدين موسى .. ويعتبرون أتباعهمـــا من أهل الـكتاب . أما اليهـــود فلا يعتـــرفون بدين عيسى ، ولا بدين محمـــد ، ويعتبرون أتباعهما من الكافرين أعداء الله .. ولا يعتقدون الا بصحة الموســـوية وحدها ، وأن بنى اسرائيل هم شـــعب الله المختـــار . ونجم عن هـــذه العقيدة الراسخة فى أذهانهم تصرفات مع نبى المسلمين وصحبه ، نجتـــزىء منها بما يأتى :

أولا : بعد أن أسلمت قبيلتـــا الاوس والخزرج وهما سكان يثرب (المدينة) ، وهاجر النبى وصحابته اليها ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وأصبح المسلمون فيها كتلة قوية متحابة ممتزجة ، عز هـــذا على يهود يثرب وغاظهم تآلف المسلمين ، فأوعز أحد اليهود واسمه (شاس ابن قيس) الى شاب يهودى أن يجلس بين الاوس والخزرج

وينشد ما قال بعضهم لبعض أيام الجاهلية ، من تفاخر وتنابذ بالالقاب ، ليثير بينهم العداء القديم ، ففعل .. فتنازع القوم ، وتغاضبوا ، وقالوا « السلاح السلاح » . فأدركهم رسول الله ، وقال : أتدعون الى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن أكرمكم الله بالاسلام ، وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم .. فعلموا أنها كيد من اليهود ، وألقوا السلاح واستغفروا ، وعانق بعضهم بعضا. وفى هذا نزل القرآن الكريم بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب ، يردوكم بعد ايمانكم كافرين » (١)

ثانيا : تكررت محاولات اليهود فى اثارة الفتن بين المسلمين فى المدينة ، فاضطر هؤلاء الى اجلاء اليهود عنها تباعا .. حرصا على الوحدة والدين ، لكن اليهود لم يسكتوا بعد جلائهم عن المدينة ، وذهب بعضهم الى مكة ليثيروا ثائرة القرشيين الوثنيين ضد محمد واصحابه .. ووصل امرهم الى أن قالوا للقرشيين ان وثنية هؤلاء أفضل من دين محمد .. مع العلم بأن دين محمد دين توحيد كدين موسى . وبهذه الخديعة تمكن اليهود من الاتفاق مع قريش للايقاع بالمسلمين .. وتحالفت قبيلة بنى النضير اليهودية مع قريش ، وتجمعوا آلافا عدة من قريش وبنى النضير وغيرهم . وذهبوا الى المدينة ليضربوا المسلمين ضربة قاضية ، فكانت وقعة الخندق المعروفة ، وفيها حفر المسلمون خندقا حول المدينة فعجزت الاحزاب عن غزوها ، وعسكرت خارجه . ولما طال أمد الحصار ، ولم تطق الاحزاب صبرا ، لجئوا الى اغراء بنى قريظة القبيلة اليهودية الباقية فى المدينة ، لتنقض عهدها الذى

---

(١) سورة آل عمران

عقـدته مع المسلمين .. ففعلت ، ومنعت عن المسـلمين المحاصرين المدد والميرة . وقد انتهى الامر بهزيمة الاحزاب ورجوعهم (١) . وقد ذكر القرآن الكريم هذه الغزوة فى الآيات « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٢) ... الخ »

***

هانحن أولاء قدذكرنا طرفا من حسن معاملة المسيحيين للنبى محمد وأصحابه ، فى بدء ظهور الاسلام ، كما ذكرنا طرفا من معاملة اليهود له ، ونقضهم العهود مع المسلمين مما حمل هؤلاء على اجلائهم عن الجزيرة العـربية اتقاء لشرورهم . وقد أثبت القـرآن هـذه الحقيقة بقـوله « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبـانا ، وأنهم لا يستكبرون » (٣)

تلك حقيقة رسخت فى أذهان المسلمين ، ودليل على كراهية اليهود لهم ..

ومن الادلة على كراهية اليهود للمسيحيين ، أن عظيم بيت المقدس عندما سلم المدينة الى عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء ، شرط عليه الا يسمح لليهود بالبقاء فى بيت المقدس وفى فلسطين .. وذلك ثابت فى العهد الذى وقعه خليفة المسلمين الى صوفرينوس بطريرك القدس . وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله

(١) كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل وكتب السيرة
(٢) سورة الاحزاب (٣) سورة المائدة

عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء « أورشليم » من الامان : أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها .. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم . **ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود** . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم ، فانهم على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الارض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية .. ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله .. وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية »

ولقد بلغ عطف المسلمين على المسيحيين أن عمر عندما دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة ، هم بالخروج ليؤدى الصلاة خارجها . ولما قال له البطريرك : ان دين المسلمين لا يمنع الصلاة فى الكنيسة . أجابه عمر : انه يخشى ان صلى فيها أن يعتقد الجهال من المسلمين أنها اصبحت مسجدا . ثم غادرها ، وأدى الصلاة خارجها

فهل للمسيحيين والمسلمين أن يدركوا ما كان عليه آباؤهم الاولون من تعاطف وحسن تفاهم ؟.. وأن اليهودية — كما يفهمها اليهود لا كما نفهمها نحن — عدوة

الفريقين تتربص بهما الدوائر ، وأن المسيحية والاسلام لا يعترفان بعنصرية ، وأن التفاوت بين بنى البشر يرتبط بالتفاوت فى الفضيلة والتقوى

أسباب تماسك اليهود

ثبت لنا مما اسلفناه ومما سنذكره ، أن اليهود يعتبرون المسيحية عدوهم الاول والاكبر ، وأن الاسـلام عدوهم الثانى .. تبعا لتاريخ ظهـور الدينين . وزاد فى عدائهم أنهم أصبحوا قلة ضئيلة أمام الدينين العالميـين اللذين انتشرا فى الشرق والغرب ، مع أنهم شعب الله المختار كما يعتقدون .. فتولد فى نفوسهم كثير من الغيرة والحسد ، وقويت عندهم الرغبة فى الوصول الى القوة والنفوذ ، رغم قلة عددهم ، بسبب تمسكهم بعنصريتهم ورغبتهم فى انفراد بنى اسرائيل باليهودية ، ونبذهم فكرة اشتراك بنى آدم ونوح وابراهيم واسماعيل فى شرف عنصرهم

ولا يمكن لمثل هذه القلة المترفعة الا ان تكون ضعيفة ، ولا سبيل الى اكتسابها القوة الا بالمال .. لهذا تركزت أعمالهم أول امرهم فى أقتناء الذهب والفضة .. فهم فى مصر ايام الفراعنـة غنموا مالا كثـيرا ، وخرجوا منها مزودين بالذهب والفضة ، حتى أنهم حين عصوا موسى وارتدوا الى الوثنية فى التيـه أقاموا لانفسهم عجلا من الذهب يعبـدونه .. وعنـدما أخرجوا من فلسطين ، وتشتت شملهم ، وتوطن فريق منهم بلاد العرب ـ وخاصة يثرب وخيبر أيام الجاهلية ـ كانوا من أبرع سكانها فى صياغة الذهب والفضة ، ومزاولة الربا ، كما يروى التاريخ .. وبهذا كان لهم نفوذ وأى نفوذ . وكذلك الذين انتشروا منهم فى ربوع أوربا وآسيا وافريقية كان ديدنهم التماس

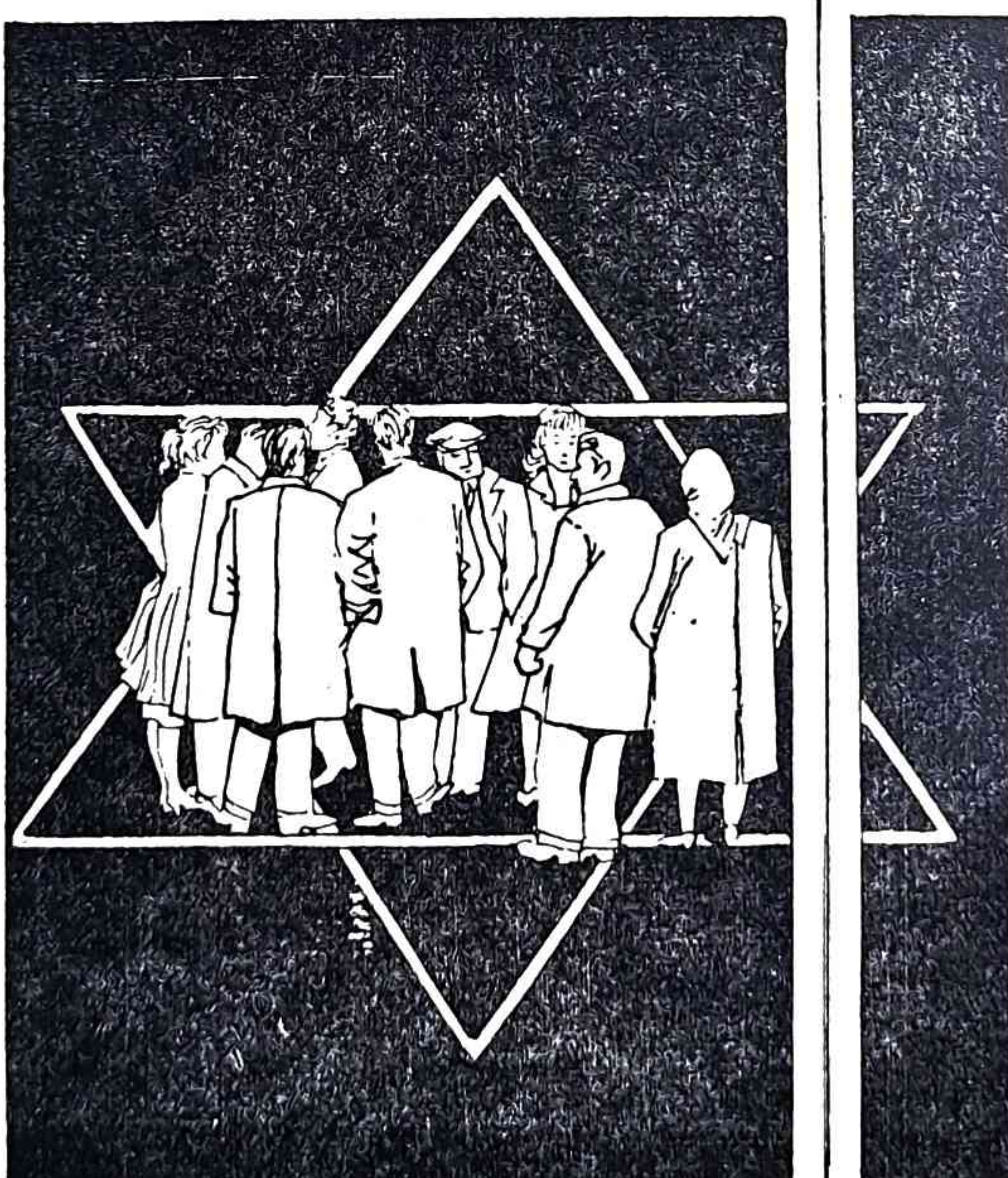
القوة بجمع المال ، عن طريق مزاولة التجارة والصياغة والربا . ولم يفكر اليهود كثيرا فى احتراف الزراعة ، لانها تحتاج الى بذل جهد كبير ، وتخضع لتقلبات الطبيعة .. ولان القلة تخشى على نفسها ان هى اختلطت فى الزراعة مع الكثرة التى تخالفها فى الدين .. ولان مزاولة الصياغة والتجارة والربا أجدى عليهم من الزراعة ، وتتيح لهم السكن فى المدن تحت حماية رجال الشرطة . فكانوا يتجمعون فى أحياء خاصة ، ويزاولون أعمالهم آمنين

كل هذا كان مدعاة الى تضامن بين اليهود ، ويقظة وبصيرة وحيل تفتقها مزاولة التجارة ، وتستلزمها أعمال الربا ، وما يدعو اليه كل ذلك من مرونة ووداعة وحذر ، ودقة ، أصبحت فى دم اليهود خصالا متوارثة ، لا يدانيهم فيها سواهم

ثم ان وفرة المال فى ايديهم ، وشدة الرغبة فى تحسين مركزهم ، وتجمعهم فى المدن ، كل أولئك سهل عليهم التعلم .. ولايخفى ما للعلم من قوة . فأقبلوا على المدارس والمعاهد ، لينتفعوا بتحصيل العلوم والفنون بجانب ما يرثونه عن آبائهم من نشاط ويقظة فى أعمال التجارة والمال .. فكان لهم من هذا المزيج قدرة خاصة ، أوجدت فيهم حاسة سادسة يدركون بها الضمانات التى تؤمن حاضرهم ومستقبلهم وتحفظ لهم المركز الاجتماعى والمالى اللائق بنشاطهم ، وهم بين شعوب كثيفة تختلف عنهم فى الدين والمسلك

الفصل الثانى

اليهود أمام العالم



اليهود بين المسلمين والمسيحيين

ظاهرة غريبة قد توجب الحيرة .. وهى أنه كيف اتفق كثير من الناس فى المشرق والمغرب على عدم الاطمئنان الى اليهود وعلى الحذر منهم ..

قد يرجع اليهود ذلك الى اختلاف الاديان ، والى الغيرة والحسد بسبب تفوقهم المالى ونشـــــاطهم الملحوظ .. أما غير اليهـــود فيرجعونه الى قســـوة هؤلاء فى مزاولة الربا والاعمال المالية مع غير بنى جنسهم ، والى انحراف الكثيرين منهم عن الفضيلة التى يجب أن يلتزمها الناس ، انحرافا تبدو آثاره واضحة فى الامور التجارية والاجتمـــاعية ، بوسائل يصفها بعضهم بالخديعة والنفـاق والرياء ممـا لا نريد بسطه هنا ..

ولقد رأيت مما سبق أن بنى اسرائيل عنـــدما وفدوا على مصر ، وانضموا الى سـيدنا يوسف كانوا لاجئين ، موادعين ، يلتمسون الرزق ، ويزاولون التجارة .. وقد آواهم الفراعنة ، وأكرموا مثواهم وافسحوا لهم مجـــال العمل فى مصر ، رغم الاختلاف فى الدين . وأوضح دليل على ذلك أن أصبح يوسف عليه السلام أمينا على خزائن مصر .. وتلك وظيفة تعادل فى أيامنا وظيفة وزير المالية ووزير التموين

لكن اليهود ما لبثوا بعد أن اثروا ، وكثر عديدهم ، أن تغيرت أحوالهم وخيف من نفـوذهم ، فانقلب المصريـون عليهم واضطهدوهم واستذلوهم ، حتى اضـطروا الى الهجرة ومعهم أموالهم التى لم يجردهم المصريون منها . وبعد أن أقاموا فى التيه أربعين عاما ، تسلطت عليهم فكرة الفتح والغزو بأقسى أنواعهما ، تنفيذا لاوامر التوراة التى سبق تسـطير بعضـها .. ومنهـا الامر الدينى بالهجوم العنيف على « أريحا » وتقتيل الرجال والنساء والاطفال ونهب الاموال

وبعد أن استتب لهم الامر فى أرض كنعـــان ، غضب عليهم ملوك الاشوريين والبابليين والرومان ـ وثنيين كانوا أو مسيحيين ـ فكيف أختص هؤلاء الملوك بنى اسرائيل بالعسف والتشريد دون باقى رعاياهم ؟ وكيف استمر اليهود فى الشغب والعنف ، حتى انتهوا الى أن استلموا السـيد المسـيح الاسرائيلى المولد والنشأة ، وفعلوا به ما شاءوا من ضروب القسوة والانتقام ، لانه أراد تصحيح عقيدتهم ، فعذبوه وصلبوه كما يقرر الانجيل أو شبه لهم بعد رفعه الى السماء كما يقرر القرآن

والذين هاجروا من اليهود الى الجزيرة العربية ، كان مسلكهم مع النبى محمد عليه السلام وصحبه غير كريم ، فانهم اسرفوا فى الدس والوقيعة ونقض العهود ، وتواطئوا على اغتياله والقضاء على دينه ، وهو دين توحيد كدينهم .. بل انهم تحالفوا مع الوثنيين من عرب الجـزيزة على قتال المسـلمين وابادتهم ، مفضلين عبـادة الاوثان على الاسلام ، وحاصروا المسلمين فى المدينة فى غزوة الخنـدق بجموعهم واحزابهم التى جمعت بين الوثنيين واليهود .. ومن هؤلاء قبائل بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة

كما سبق القول .. بل ان اليهود ـ كما يروى التاريخ ـ قد افتروا على النبى احاديث لم يقلها ، وشحنوا بها بعض الكتب حتى خاف المسلمون على أحاديث النبى أن يشوبها تشويه وتلفيق ، فعمد الفقهاء الى التثبت من الصحيح منها بعد عناء شديد ، وتبلبلت أفكار المحدثين والأئمة بسبب تلك « الاسرائيليات » التى لم يفكر المسيحيون فى ارتكاب مثلها .. والذى شجع اليهود على هذا الدس ، أن الاحاديث النبوية جمعت بعد وفاة النبى بروايات الصحابة وتابعيهم . وأكاد أجزم أن القرآن نفسه لو لم يكن مسجلا بجانب حفظه فى الصدور ، وثابتا بالاجماع ، لاقدم اليهود على دس آيات فيه غريبة عنه ، ولأفسدوا على المسلمين عقيدتهم .. لكن الله قد حفظها وأنزل فى كتابه الكريم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١)

***

أما فى أوربا فان اليهود لم يرجعوا فيها عما رسموه لأنفسهم نحو المسيحيين ، فلقد تغلغلوا فى تلك البلاد ووصلوا الى أرقى المناصب ، وجمعوا المال الكثير من التجارة والبيوت المالية ، وزاحموا الاوربيين فى أرزاقهم، وتدخلوا فى السياسة لاغراض خاصة فى نفوسهم ، وتنفيذا لبرامج وضعوها واتفقوا عليها .. ولما ضاق الاوربيون بهم ذرعا ، قسوا عليهم وطاردوهم ، وتوالت عليهم أنواع التعذيب ، ومصادرة الاموال فى بعض بلاد أوربا ، حتى اضطروا الى الهجرة تباعا .. وما زال صدى اضطهادهم فى روسيا وبولندا ورومانيا وألمانيا وغيرها يرن فى الآذان . ولم يرجع اليهود الى البلاد التى هاجروا منها الا بعد ان ظهر التسامح فى العصور الاخيرة ، وأعفوا من

(١) سورة الحجر

القيود التى كانوا يرسفون فيها ، كتحريم امتلاكهم العقار، ومزاولتهم الزراعة أو الصناعة ، وكانت هذه القيود عامة فى ايطاليا وفرنسا وبولندا ورومانيا وانجلترا وأمريكا وغيرها

ويلاحظ أن اليهود لم يعتقوا فى فرنسا رسميا الا فى سنة ١٧٩٠ ، وفى ايطاليا الا فى سنة ١٨٧٠ ، وفى ألمانيا الا فى سنة ١٨٧١ ، وفى الولايات المتحدة الامريكية الا فى سنة ١٨٨٧ ، وكانت انجلترا أبطأ الحكومات فى اصدار تشريع بالمساواة التامة بين اليهود وسائر المواطنين ، الى أن كان آخر مظهر لهم من مظاهر الحرية فى سنة ١٨٩٠ ، وما زال القوم هناك يكرهونهم ويخشونهم الى الان .. كما نلاحظ الحملات العنيفة التى حملها موسولينى وهتلر على اليهود فى هذا القرن ، وخاصة حملات « هتلر » وما ذكره من أسباب لها فى كتابه « كفاحى » وغيره

ولا نريد أن نرجع الى الوراء ، ونذكر أن اليهود لاقوا فى أسبانيا مثلا أيام محاكم التفتيش ألوانا من الاضطهاد والاذى والتقتيل ، الى أن أصدرت أمرها فى سنة ١٤٦٢ بطرد الباقى منهم

وانصافا للحقيقة نقرر أن شيئا من هذا لم يحدث لليهود فى بلاد العرب والمسلمين .. بل ان هذه البلاد كانت مأوى وملاذا لهم ، يلجئون اليها اذا ضاقت بهم بلاد أخرى ، فقد لجئوا بعد محنتهم فى أسبانيا الى تركيا — وخاصة مقدونيا — كما لجئوا الى البلاد العربية ، ولم يلقوا فى جميع بلاد المسلمين شيئا من الاضطهاد الاجماعى الذى حل بهم فى البلاد الاخرى ، تلك التى ظهرت بها جماعات كثيرة ، تدعو الى محاربة اليهود ، وتنادى بأنهم شعب خطر عليهم وعلى الانسانية ، وتعتبرهم فئة أصبحت

بقوة الذهب ذات نفوذ كبير وتضامن خطير ، سولت لها نفسها أن تؤذى البلاد التى تؤويهم فى شئونها الاقتصادية والمالية والاجتماعية ، بل وفى شئونها السياسية والوطنية ، فضلا عن اختلافها فى الدين والعادات والتقاليد

هل يفكر المسيحيون والمسلمون فى انقاذ انفسهم ؟

عرفنا مما سبق أن اليهود خاصموا سيدنا عيسى وطاردوه ، وارتكبوا معه من البشاعات الشيء الكثير .. وقام الحواريون من بعده بنشر دعوته ، واعتنقت المسيحية أمم كثيرة ، فلا غرابة أن يحقد اليهود على هذا الدين الذى أصبح عالميا .. ثم ظهر الاسلام وانتشر فكان العدو الثانى ، فلما خرب الاستعمار البلاد الاسلامية وقضى على ثقافتها وازدهارها واستقلالها ، وقام الغرب المسيحى بنهضته المعروفة رجع حسد اليهود بأقوى درجاته الى عدوهم الاول وهو المسيحية . وقاسى المسيحيون منهم ما قاسوا ، من أعمال مست اقتصاديات بلادهم وطمأنينتها وسياستها ، فبطشوا باليهود وأزاحوا عن مجتمعاتهم ، وطردوا الكثير منهم .. فكان لابد لليهود من أن يجعلوا هدفهم الاول حماية أنفسهم بضم صفوفهم، واكتناز الذهب والفضة ، والانتقام من المسيحية بتشكيلات سرية خطيرة . وبعد أن ينتهوا من عدوهم الاول يسهل عليهم السيطرة على المسلمين

فهل لنا أن نرجو أن يفهم المسيحيون هذه الحقائق ؟ وأن يتعاونوا مع المسلمين لدرء هذا الخطر المشترك .. فان المسيحيين ان لم يدركوا هذه الحقائق ، ويصونوا أنفسهم ، ويتعاونوا مع المسلمين معاونة الصديق للصديق، والند للند ، فسينزل بهم اليهود ـ بفضل نشاطهم

وتشـكيلاتهم ، وثرائهم وتضـامنهم واحقـادهم ـ الشر المستطير

وقد أزاح كثير من المسيحيين الستار عن نوايا اليهود نحوهم ، وطالبوا ولاة أمورهم باليقظة ، وأبانوا لهم الخطر اليهودى المحدق بشعوبهم

ونحن نورد هنا ـ فوق ما قلنـا ـ بعض الاسـاليب الصهيونية حتى يدرك الغافلون مآلهم اذا ظلوا سادرين فى غفلتهم

المـاسونية اليهودية

ان اليهود لاعتقـادهم بسمو عنصرهم وسـمو دينهم ، واحتقارهم لأى دين آخـر ، وانكارهم لدين عيسى ودين محمد ، وعلمهم أن المسيحيين هم الذين أجلوهم قديمـا عن فلسطين ، واستذلوهم بعد ذلك فى بقاع الارض التى يسـيطرون عليهـا ، أرادوا أن يضمنوا لأنفسـهم المكانة اللائقة بثرائهم ونشاطهم ، وينفذوا تعاليم التـوراة التى ذكرنا طرفا منها ، والتى تنص كذلك على وجوب تأديب الشعوب واخضاعها والانتقام منها ، كمـا جاء فى المزمور ١٤٩

« .. ليبتهج الاتقياء بمجد ليرنمـوا على مضاجعهم . تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم . ليصنعوا نقمة فى الامم وتأديبـات فى الشعوب . لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حـديد . ليجروا بهم الحكم المكتوب ... »

ولأن دينهم ـ كما اوضـحنا ـ يحضـهم على امتلاك البقاع من الفرات الى النيل .. ولأنهم قلة مشـتتون فى

الارض ، راوا تكوين هيئة سرية عالمية ، تعمل دائبة لتحقيق أغراضهم . وقد نجحوا فعلا فى اقامة الماسونية تحت ستار خلاب هو « الاخاء الانسانى » لا الدينى ولا الوطنى ، يهدفون من ورائها الى محو العقيدة الدينية وهدم الشعور الوطنى

فالماسونية تقضى على العقائد الدينية ، بادعائها أن الاديان سبب تأخر الأمم . وقد وصلت بمساعيها الى بذر بذور الالحاد فى روسيا ، حتى قامت حكومتها تقول : ان الاديان أفيون الشعوب ، ومعطلة لنهضاتها . ونفذت تلك التجربة فى روسيا فقامت فيها ثورة سنة ١٩١٧ الدامية ، وكان للصهيونية فيها أقوى الاثر مما يذكره التاريخ

والماسونية تسعى أيضا الى هدم الشعور الوطنى باعتباره منافيا للشعور الانسانى فى زعمهم .. ومتى تم ترويض الضعفاء من المسيحيين والمسلمين على هذا المذهب ـ مذهب الانسانية كما يقولون ـ بعيدا عن الدين والوطنية فقد بلغت الماسونية غايتها .. والايام تشعرنا بتغلغل المذهب اللادينى واللاوطنى ، فى أمم لم تفهم ما ترمى اليه الصهيونية

وقد جعلوا للماسونية مراتب ثلاثا :

أولها ـ « الماسونية الكونية » وهى أرقاها ، وأعضاؤها من اليهود الخلص ، يدعون بالحكماء ، ويرأسهم الحكيم الاعظم ، وهى مصدر السلطات لجميع المحافل الماسونية .. ولا يعرف أحد أعضاءها أو مركز نشاطها

وثانيتها ـ « الماسونية الملوكية » المعروفة « بالعقد الملوكى » واغلب اعضائها من اليهود ، ويطلق عليهم الرفقاء. ولا يسمح لغير اليهود بالانتساب اليها ، الا لمن ثبت

اخلاصه فى عضوية الماسونية الرمزية ، وحاز فيها الدرجة ٣٣ لخدمات أداها

وثالثتها ـ « الماسونية الرمزية » ويدخلون فيها معهم من يقع فى شباكهم من أتباع الديانات الاخرى ، ويبقى فيها خاضعا مخلصا لا يعرف شيئا من أعمالها وأهدافها ، سوى قيامه بطقوس وحركات لا يفهم مغزاها، وقانعا بألفاظ الاخاء الانسانى والحرية ، متوهما أن هدف الماسون خدمة الانسانية

وجميع طقوس هذه الماسونية ، ورموزها ، وألبستها ، وأوشحتها ، وأوسمتها .. يهودية بحتة مأخوذة عن مراسم وشعائر يهودية

وتتخذ الماسونية أعضاءها من غير اليهود مطايا لبلوغ مآربها فى مصالح الحكومات والشركات ،وجميع المؤسسات والهيئات ، تحت مظهر الاخاء المزعوم

تلك هى الاحبولة الكبرى التى وقع فى شراكها كثير من المسيحيين والمسلمين ، فى جميع بقاع الارض ، ومنهم ملوك وامراء ووزراء وساسة ، وعلماء ورجال أعمال ، ووجهاء وموظفون .. فالمسيحى أو المسلم يدخل الماسونية وأغراضها الظاهرة انسانية بحتة ، فلا يراجع نفسه : لم تكون هذه الهيئة سرية ؟.. ولم يكون عمل الخير سريا ؟ ولم الرموز والاوسمة والدرجات ؟.. ثم يروض هذا الدخيل ، حتى اذا فسدت عقيدته الدينية والوطنية وأصبح مطية طيعة للماسون رفعوه الى درجات عالية ، وأغدقوا عليه الاوسمة والالقاب ، الى أن يحوز الدرجة ٣٣ ولا يتعداها ، ثم يسعون فى رفع شأنه فى المجتمع ، ويعملون له الدعاية ، حتى ينال مركزا فى حكومته ويوجهونه وأمثاله من الاذلة العظماء الى ما فيه مصلحة الصهيونية .

ونجم عن هـذا تنفيـذ مآرب يهودية خطـيرة فى ادارات الحكومات وسـياساتها ، وانفســاح المجـال للتجسس اليهودى ، واثارة الفتن والحروب

فالمـاسونية اذن تهـدم الشـعور الدينى والوطنى فى المسيحيين والمسـلمين ، وهؤلاء المسـاكين لا يعلمون أن الشعور الدينى والعنصرى عنـد اليهـود أقوى شـعور وأشده ، وهو ليس شعور دفاع عن كيانهم فحسب ، وانما هو شعور يرمى الى اذلال الامم المسيحية والاسـلامية ، وتفكيك الاواصر بين بنيها .. وهى تتخذ فى كل أمةوسائل تتفق وعقليتها ووضعها الاجتماعى والاقتصادى والثقافى ، ولا ترمى مع اختلاف الاساليب الا الى غاية واحـدة هى كما قلنا : تحطيم من عداهم من « الجوييم »

ولا يمكن تحديد تاريخ قيام المـاسونية تحديدا قاطعا .. لكن المؤكد أنها قامت من زمن بعيد ، وأن أغراضـها كانت ولا تزال ضد المسيحيين أولا ثم ضد العالم أجمع ، ذلك بأن اليهـود يهدفون الى تقـويض النظم القـائمة ، واقامة دكتاتورية يهودية عالمية

ولقد فطن بعض رجال الدين المسيحى ورجال السياسة الى أمور أثارت دهشتهم ، وطبعت فى نفوسهم فكرة قيام جمعيات سرية لأغراض هدامة

من ذلك ما كتبه الكاردينـال « كونسـالفى » وزير خارجية قداسة البابا « بيوس » السابع من الفاتيكان الى الامير « مترنيخ » الوزير الاول لدولة النمسا فى ٤ يناير سنة ١٨١٨ ، اذ يقول :

« وليست الامور على ما يرام فى أى مكان ، وانى أرى يا عزيزى الامير أننا أصبحنا نعتقد أننا فى حل من اتخاذ أبسط الاحتياطات ، وانى هنا أحذر كل يوم سفراء أوربا

من الاخطار المقبلة التى تديرها الجمعيات السرية ضد النظام الذى أعيد بصعوبة الى سيرته الاولى ، وانى لاحظ أن السفراء يقابلون تحذيراتى بعدم الاكتراث ، وراحوا يتصورون أن الكرسى البابوى سرعان ما ينتابه الخوف ، مستخفين بنصائحنا التى توحى بها الحيطة »

وأضاف الكردينال : « انى اذ أتوجه الى الدول العظمى إنما أتجرد تماما من أية منفعة شخصية ، وانى أنظر الى المسألة من ناحية أسمى .. وانه لمن الخطل عدم التفكير فى هذه المسألة من الآن ، لأنها لم تصبح بعد — ان صح القول — ملكا للرأى العام (كان ذلك عام ١٨١٨) وسيندم لعدم مواجهتها بحزم بعد فوات الفرصة » (١)

ونقرن هذه الشبهات ضد الجمعيات السرية الهدامة بما جاء فى خطاب الربانى « ريشنهورين » فى براج عام ١٨٥٩ أمام قبر أحد كبار الربانيين «سيمون بن يهودا» اذ قال :

« لندفع بالمسيحيين الى الحرب .. اذ بالذهب والملق سنكسب الى صفنا العمال ، وهم الذين سيطيحون بالرأسمالية المارقة .. واننا سنعد العمال بأجور لم يحلموا بها قط ، ولكنا سنرفع كذلك أسعار الحاجيات ، وبهذه الطريقة سنعد العدة للثورات التى يقوم بها « الكفار » أنفسهم ، والتى سنجنى ثمارها .. وعند الساعة المحددة مقدما سنضرم الثورة التى بقضائها على كافة الطبقات المسيحية سنضع المسيحيين تحت امرتنا » (٢)

---

(١) راجع رسالة « بدائيات » بالفرنسية للسيدة ماريا كريستينيا جوستينيانى بانديتى طبعة روما سنة ١٩٥١

(٢) من خطاب أبلغه اليهودى « لاسال » ونشره السير « جون ريد كليف » فى مجلة كنتمبوران فى أوائل يوليو سنة ١٩٠٣

ونضيف أن « أدولف كريمييه » رئيس التحـــالف الاسرائيلى العــالمى كتب فى مجلة « أرشيف اسرائيلية » عدد ٢٥ ســنة ١٨٦١ قائلا : « لابد للوطنيـــات من الاندثار .. اما اسرائيل فلا يجب أن تختفى »

كما نضيف أن اليهودى « رينيه جـــرو » اعترف فى مجلة « نوفوميركير » عدد مايو سنة ١٩٢٧ بأنه « توجد مؤامرة يهودية ضد جميع الامم »

***

وبمقارنة هذه التصريحات بعضها ببعض وبكثير غيرها، مما يضـيق المقـــام عن سرده ، رأى بعض المشــتغلين بالسياسة العالمية أن هناك ارتبــاطا وثيقا بين أعمـــال الماسونية العالمية ، وبين الثورات المتعاقبة التى قامت فى فرنسا فى مارس سنة ١٨٤٨ ثم اتسع نطاقها مع توالى السنين .. فقامت فى فرنســا ثورة ســنة ١٨٧١ ، وفى البرتغال سنة ١٩٠٥ ، وفى تركيـــا ســنة ١٩٠٥ ، وفى الصين سنة ١٩١١ ، وفى روسيا سنة ١٩١٧ ، وفى المجر وألمانيا سنة ١٩١٨ ، وفى اسبانيا ١٩٣٦

وقد اشتدت الحال ، وتفاقمت الدســائس ، الى أن أوصلت العالم الى الحرب العالمية الاولى ، ثم الى الحرب العالمية الثانية . وليست تلك المصــائب ســوى سلسلة تدبيرات جهنمية ، ترجع فى أصولها الى ينبوع واحــد ، وتهدف الى غرض واحد ، هو القــاء العــالم فى جحيم مستعر يقضى عليه ، ويقوم على أنقاضه نظام تهدف اليه المــاسونية اليهــودية ، بقيــام دولة عالمية صــهيونية ، أساسها الذهب والفتن والاضطرابات

وكتب الدكتور لويس ارنست ، وهو من أكثر يهود فينا اعتدالا :

« واليهود إذا ما أحسنوا – ولو قليلا – البقاء متحدين ، أصبحوا من القوة بحيث لا يمكن لاحد ان يحول دون تخريبهم الدول وشل التجارة ، ووقف جميع الاعمال . ولما كانوا منتشرين على وجه الارض ، ففى وسعهم أن ينزعوا الثقة من أية دولة بحيث تعرقل دواما عن المضى فى عملها » (١).

لهذا كله صدر مرسوم بابوى رقم ٦٨٤ بتحذير الكاثوليك من الاشتراك فى الهيئات السرية ، والمحرمة ، والمشتبه فيها .. وهذا يتناول الماسونية طبعا

فهل لى بعد ذلك أن أطالب الحكومات العربية والاسلامية بتحريم الماسونية ، وما تفرع منها تحريما باتا ، كما فعل قداسة البابا وسطرناه هنا ، صيانة للعقائد والشعوب

أندية الروتارى

لم يكتف اليهود بالماسونية السرية ، رغم انها تتشكل فى البلدان بأشكال مختلفة ، تبعا لطبائع كل بلد ونظمه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية .. بل أقاموا هيئة أخرى علنية منفصلة عنها ، تؤدى بعض مهامها تحت ستار الاخاء الانسانى ايضا ، وسموها « أندية الروتارى » . وتنعقد هذه الاندية فى العواصم والمدن الكبرى .. والغرض الظاهرى منها هو النظر فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية بالقاء المحاضرات والخطب ، والعمل على التقارب بين أتباع الاديان المختلفة والبلدان المتعددة .. أما الغرض الحقيقى منها فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الاخرى ، فيكون الاخاء والود ، وينمحى بذلك سوء التفاهم الدينى والعنصرى عند غير اليهود ..

---

(١) راجع رسالة بدائيات سابقة الذكر

وبذلك يصلون الى جمع المعلومات التى تساعدهم فى تحقيق اغراضهم ، اقتصادية كانت أو صناعية او سياسية .. وتلك مهمة غاية فى الدقة والبراعة

ولقد فطن الفاتيكان الى خطر هذه الاندية كما فطن من قبل الى خطر الماسونية ، فصدر مرسوم من المجلس الاعلى المقدس بتاريخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٠ قرر فيه الكرادلة « دفاعا عن العقيدة وعن الفضيلة عدم السماح لرجال الدين بالانتساب الى الهيئة المسماة بنادى الروتارى، وعدم الاشتراك فى اجتماعاتها ، وأن غير رجال الدين مطالبون بمراعاة المرسوم رقم ٦٨٤ الخاص بالجمعيات السرية والمحرمة والمشتبه فيها »

قرارات حكماء صهيون

بعد أن اتسعت أعمال الماسونية ، وكثرت فروعها ، وتعددت محافلها فى كثير من انحاء الارض ، وتسلل اليهود الى ادارات الحكومات والمؤسسات المالية والتجارية ، وارتفع بعضهم الى مناصب الوزارة فى كثير من الدول ، نسجت منهم الامم الاوربية وخاصة الشرقية منها كروسيا وبولندا ورومانيا ، فظهرت حركة عداء ومطاردة لهم ، تصحبها أحيانا مصادرات لاموالهم ، حتى اضطر كثير منهم الى النزوح عن تلك البلاد ، واخذوا يبثون شكاواهم مما لاقوه من عسف وجور ، مستعينين فى ذلك بصحفهم ونشراتهم واخوانهم ، وبالمحافل الماسونية المنبثة فى الارض وفيها كثير من المسيحيين والمسلمين .. ثم عقدوا مؤتمرا عاما لهم فى مدينة (بال) بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة الصحفى النمساوى «تيودور هرتزل » .. الزعيم اليهودى، باعث الصهيونية الحديثة ، والذى له اكبر الاثر فى جمع

كلمة اليهود حول فكرة اقامة وطن يهودى له كيانه واستقلاله

وغاية الصهيونية الرجوع الى (أورشليم) عاصمة ملك سليمان والاستيلاء عليها ، واقامة مملكة لليهود تمتد من الفرات الى النيل كما ذكر فى التوراة . والصهيونيةمشتقة من كلمة صهيون ، وهو تل من تلال أورشليم .. وتطلق على أورشليم نفسها من قبيل اطلاق البعض على الكل .. واليهود يقدسونه ويترنمون بذكره فى مزاميرهم ، ومنها ما جاء فى المزمور ٨٧ ونصه :

« ... الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب . قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله .. »

وفى مؤتمر « بال » المذكور اجتمع اعضاء من يهود العالم ، وشرحوا الوسائل التى يصونون بها انفسهم ، ويستعيدون بها مجدهم ودولتهم .. ودونت محاضر جلساتهم ، وحفظت مع تقارير حكمائهم ـ التى لا يعرف من وضعها ولا متى وضعت ، كما لا يعرف ان كانتوضعت فى وقت واحد ، أو فى أوقات متفرقة ـ انما الذى يهمنا أن هذه التقارير أصبحت دستورا مقدسا لدى اليهود جميعا يعملون بوحيه ، ويسيرون على منهاجه ..

ويحتفظ اليهود بتقارير حكمائهم هذه فى مخابىء سرية لا يعرفها غير الخاصة من زعمائهم .. وقد عثرت سيدة مسيحية على نسخة من هذه التقارير وصلت الى الكاتب الروسى الكبير « سرجيوس نيلوس » سنة ١٩٠١ . وفى السنة نفسها أعلن « تيودور هرتزل » زعيم الصهيونية فيما اذاعه من منشورات الى الصهيونيين من قبل لجنة العمل الصهيونى انه رغم ما بذله من توصيات قد افتضح لسوء الحظ أمر بعض تلك القرارات السرية ونشرت فى غير وقتها ..

ظهرت، اول نسخة من هذه القرارات (البروتوكولات) مطبوعة باللغة الروسية سنة ١٩٠٢ ، ثم ترجمت الى كثير من اللغات الاخرى ، فى المانيا وانجلترا وفرنسا وغيرها ، فأخذ اليهود يتنصلون من تبعاتها لما أحدثته من أثر عميق فى الناس . وتحوى هذه القرارات (البروتوكولات) أربعة وعشرين فصلا ، يمكن الرجوع الى نصوصها كاملة فى كتب نشرت بلغات مختلفة (١) ، كما جاء ملخص هذه القرارات فى بعض الكتب (٢)

ومما يثير الدهشة ان حكماء صهيون لم يكتفوا فى قراراتهم بالنص على اخذ فلسطين ، ولا على فرض سلطانهم من الفرات الى النيل ، بل نصت قراراتهم على وجوب تحطيم العالم بوسائل شرحوها ، حتى يتسنى للصهيونيين السيطرة عليه ، واقامة دكتاتورية يهودية تستعبد كل من فيه .. وأول اهدافهم تقويض الدول المسيحية والقضاء على سلطان المسيحيين

وهذه خلاصة تلك القرارات :

القرار الاول :

ينص على أن سياسة اليهود ازاء الجوييم (أى غير اليهود) يجب أن تقوم على العنف والارهاب ، حتى يتمكن اليهود من حكم العالم ، وأن قوة القانون ماهى الا القوة الوحشية مقنعة .. وعليه فقانون الطبيعة ان الحق للقوة، وأن الحرية السياسية ليست حقيقة وانما هى فكرة ويجب أن يسخرها اليهود لاجتذاب العامة ، وأن أزمة الحكومة التى تخضع لقانون الحياة ستقبض عليها يد

(١) كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية طبعة برنار جراسيه كتاب الخطر اليهودى بالعربية للسيد خليفة التونسى . كتاب المؤامرة اليهودية على الشعوب العربية ترجمة الخورى أنطون

(٢) كتاب الصهيونية والماسونية للسيد عبد الرحمن سامى عصمت

جديدة تحل محل الحكومة التى اضعفتها التحررية ، وان قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء بلا قائد .. وان فكرة الحرية لا يمكن تحققها بعد أن طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين ، كما قد مضى الزمن الذى كانت فيه الديانة هى الحاكمة ، وان السلطة اليهودية الماسونية لا تقهر ، وستقع الدول فى قبضة اليهود ، وسيمد الاستبداد المالى الى الدول عودا لا مفر لها من التعلق به لانقاذ نفسها

ويحض هذا القرار على العمل لتكون الشعوب فى يد فرد يمكن به قيادتها ، وازالة الارستقراطية المسيحية الواهنة ، وافساد نواب الامم وحكامها ، والعمل على القضاء على سلام الامم وتضامنها وطمأنينتها ، وتقويض دعائم حكوماتها . ويقرر أن نشر المشروبات الروحية والفحش من اسباب انحلال الحكومات القائمة ، وأن الحرية والاخاء والمساواة ان هى الا الفاظ جوفاء

القرار الثانى :

يقرر ان الحروب الاقتصادية هى اساس السيادة اليهودية ، ويحض على وجوب وجود مستشارين يهود اكفاء ، بجانب الحكومات الظاهرة ، كما يحض على الترويج للمذاهب الهدامة وضرورة نجاحها ، وينوه بأهمية الصحافة ، وأهمية الذهب ، وقيمة الضحايا اليهود

القرار الثالث :

يحض على بث الرعب فى قصور الحاكمين ، والعمل للوصول الى السلطة ويلفت الى أهمية توزيع النشرات ، والتسلط على أعضاء البرلمانات ، واستعباد الامم اقتصاديا ، ويحض على تكوين جيش ماسونى يهودى ، ودفع المسيحيين الى الانحلال ثم المجاعات ، والتمهيد لظهور وتتويج الحاكم العالمى اليهودى ، وينوه الى أسس البرامج

للمدارس الماســونية القومية فى المستقبل ، ويحض على السعى فى خلق الازمات العامة مع تامين اليهود ، والعمل على ان يكون استبداد الماسونية تحت سيطرة العقــل ، ويتحدث عن العلاقة بين الماسونية والثورة الفرنسيةالكبرى، ويذكر أن الملك المستبد انما هو من دم صهيوني ؛ ويعدد الاسباب التى تحفظ قوة الماسونية ومهمة وكلاء الماسونية السريين .. ويتــكلم عن الحرية وكيف تكون فى ظــل الصهيونية

القرار الرابع :

تكلم عن المراحل المختلفة للجمهورية ، وعن الماسونية الظاهرة ، وعن الحرية وطرق تحطيم عقيدة المسيحيين ، وعن المزاحمة الدولية فى التجارة والصناعة ، وعن أهمية المضاربات وعن عبادة الذهب

القرار الخامس :

تكلم عن كيفية تركيز سلطة الحكومة ، وعن الوســائل التى بها تتحكم الماسونية فى العالم ، وعن الاسباب التى تحول دون اتفاق الحكومات ، وعن حماية اليهود ، وعن أن الذهب هو محرك الادارة فى الحكومات ، وعن احتــكار التجارة والصناعة ، وعن أهمية حملات المعارضة والانتقاد، وعن الخلافات التى تولد المتاعب والوسائل التى تمكن من اكتساب الراى العام ، وعن الحكومات العليا اليهودية

القرار السادس :

تكلم عن الاحتكار ، وعن أن ثروة المسيحيين ناجمــة عن الاحتكارات ، وعن ارستقراطية ملاك الاراضى .. واعاد الكلام عن التجارة والصناعة والمضاربات ، وتكلم عن الترف واسبابه وعن ارتفاع أجر العامل ، وارتفاع أثمان الحاجات

الضرورية ، وعن الفوضى والسكر ، وعن الغايات السرية من الدعاية للنظريات الاقتصادية

القرار السابع :

تناول الاسباب التى تدعو الى زيادة التسلح ، والعمل على اثارة الخواطر وخلق الاضطرابات ، واثارة البغضاء فى العالم ، والقضاء على مقاومة المسيحيين باثارة الفتن بينهم واشعال الحروب العامة .. وذكر أن كتمان السر بين اليهود هو ضمان النجاح فى السياسة اليهودية ، وتكلم عن الصحافة والرأى العـــام ، وعن المدافع الامريكيــة واليابانية والصينية

القرار الثامن :

تكلم عن الموظفين والمساعدين فى النظام الماسونى المقبل، وعن الاقتصاديين والماليين ، وكيفية الاختيار فى الوظائف العليا للحكومة اليهودية المقبلة

القرار التاسع :

تكلم عن بث المبادىء الماســـونية فى تعليم الامم ، وعن دكتاتورية الماسون ، وعن اشاعة الرعب بين الحكام والعامة، وعن الذين يخدمون الماسونية ، وعن القوة العاقلة ، والقوة العمياء للدول المسيحية ، وعن الحكم المطلق الحر ، وعن السيطرة على التعليم والتربية ، وعن تفسير القوانين

القرار العاشر :

تكلم عن ضرورات السياسة وتعميم الانحطاط بين الامم، وعن الانقلاب الدولى الماسونى المنتظر ، وعن الانتخابات العامة ، وعن أقطاب الماســونية ، وعن سموم الحـــرية الفردية ، وعن ان الدستور هو أساس تطاحن الاحزاب ، وعن التاريخ الجمهورى ، وعن أن رؤساء الجمهوريات هم

صنائع الماسونية ، وعن مسئولية رؤساء الجمهوريات ، وعن استخدام الرؤساء ذوى الشهرة والضمير الملوث من غير اليهود ، ليكونوا منفذين لرغبات الماســونية ، وعن العمل للانتقال بالعالم الى الحكم الماسونى المطلق : ووقت المناداة بالملك اليهودى العالمى

القرار الحادى عشر :

تكلم عن برنامج الدستور الماسونى ، وبعض تفصيلات عن الانقلاب المنتظر ، وقال عن المسيحيين : انهم خراف وتكلم عن الماسونية السرية ، وعن محافلها الظاهرة

القرار الثانى عشر :

تكلم عما تقصده الماسونية من كلمة (حرية) .. وأنها « هى حق عمل ما يبيحه القانون » .. وعن مســتقبل الصحافة فى الدولة الماسونية ومراقبتها ، وعن وكالات الانباء ، وعن كيفية تقدم الماسونية ، وعن تضامن الماسون فى الصحافة الحديثة ، وعن عصمة النظام المقترح

القرار الثالث عشر :

تكلم عن الحاجة الى الخبز اليــومى ، وانها تكره غير اليهود على الخضوع والذلة ، وعن الشــئون السياسية والصناعية ، وعن الترفيه واللهو وشغل الناس بهما ، وعن بيوت الشعب .. وذكر أن الاحتيــاج الى الخبز اليــومي هو الذى يسكت المسيحيين ، ويجعلهم خداما للماسونية ، وغير ذلك من اساليب الضغط والسيطرة

القرار الرابع عشر :

تكلم عن ديانة المستقبل ،وقال «اننا متى وصلنا الى الحكم فاننا لن نعترف بأى دين سوى دين الهنا الاوحــد الذى ارتبط به حظنا ، والذى يتقرر به حظ العالم ومصيره ..

لهـذا وجب علينا ان نمحو كل العقائد . واذا كان هـذا العمل يخلق الملحدين المعاصرين ، فان هذه المرحلة المؤقتة لا تقف عقبة امامنا ، بل ستكون مثلا للاجيال المقبلة ، التى ستستمع الى تنبـؤاتنا نحو ديانة موسى التى ستعم الشعوب كافة »

القرار الخامس عشر :

تنبأ بانقلاب عالمى يوما ما ، وبحكومة حكماء اليهود المركزية ، وبانتشار المحافل الماسونية ، وذكر أن الماسونية هى الموجهة لكافة الجمعيات السرية ، وانها سلطة مطلقة .. وتكلم عن الذهب العالمى ، وعن مظهر الحكومة الدينى فى المستقبل ، وأن حق الاقوى هو الحق الاوحد ، وأن ملك اسرائيل سيكون بطريرك العالم

القرار السادس عشر :

تكلم عن التعليم ، وكيف يكون فى حكم الماسونية ، وأبان أن الجامعات أصبحت عقيمة . وتكلم عن اعلان سلطة الحاكم فى المدارس ، وعن الغاء التعليم الحر ، وعن النظريات الحديثة ، وعن حرية الفكر والتعليم بالتصوير ، وكشف عن التصميم على الغاء الجامعات ، واحلال نظام فكرى جديد محلها ، وأن رؤساء الجامعات واساتذتها سيزودون سرا ببرامج سرية ومفصلة لا يمكنهم الخروج عليها ، ويختارون بتدقيق شديد ، ويكونون خاضعين للحكومة ، وسيحذفون من التعليم الحقوق المدنية وكل ما يتعلق بالمسائل السياسية ، فان تلك الاشياء لا يتلقاها الا حفنة من الاشخاص ، تختارهم الكليات العليا ، وألا تمكن الجامعات من تخريج اناس يعملون على ايجاد مشاريع دستورية ، كأنهم يعملون على اخراج ملهاة أو

مآس ، ويشغلون أوقاتهم بمسائل سياسية لم يفقهها آباؤهم من قبل ولم يعلموا عنها شيئا .. الخ

القرار السابع عشر :

تكلم عن المحاماة ، وعن نفوذ رجال الدين غير اليهودى ، وعن حرية العقيدة . وذكر ان ملك اليهود سيكون بطريركا وبابا .. وبين وسائل الكفاح ضد الكنائس الحالية ، ومسائل الصحافة المعاصرة وطريقة تنظيم رجال الشرطة المتطوعين فيها ، وتكلم عن الجاسوسية وفق نظام الجمعيات اليهودية ، وعن اساءة استعمال السلطة

القرار الثامن عشر :

تكلم عن وسائل الامن ، ومراقبة الفتن ، وعن أن الحراسة الظاهرة للملك هى تقويض للسلطة ، وعن حراسة ملك اليهود

القرار التاسع عشر :

تكلم عن حق تقديم المقترحات ، وعن الجرائم السياسية التى تقضى فيها المحاكم

القرار العشرون :

تكلم عن البرنامج الاقتصادى والضريبة التصاعدية ، وأوراق التمغة والنقد وعن ديوان المحاسبة ، وحبس رءوس الاموال ، واصدار العملة والمقايضة بالذهب والميزانية وقروض الحكومة وسندات الصناعة . وقال عن ملوك المسيحيين ومندوبيهم انهم كانوا ستارا لدسائس الماسونية

القرار الحادى والعشرون :

تكلم عن القروض الداخلية والضرائب وصناديق

الادخار ، وعن الدخل ، والغاء بورصة الاوراق المالية وعن الضريبة على سندات الصناعة

القرار الثاني والعشرون :

تكلم عن هالة السلطة وعبادتها الروحية ، وقال « ان الوقت قريب والحوادث الماضية تنبىء بمستقبل سيحقق . وقد اخبرتكم بسر علاقاتنا مع المسيحيين ، وبسر اعمالنا الاقتصادية بما لا يحتاج الى مزيد . وفى ايدينا أقوى سلطة وهى الذهب ، ويمكننا فى يومين أن نسحبه من خزائننا بأكبر كمية ترضيكم . ولسنا بحاجة الى التأكد بأن حكومتنا قد قضى بها الله ، وأن الامن سيستتب بشىء من العسف . وأننا سيمكننا أن نثبت أننا أولياء النعم .. نحن الذين اسدينا الى العالم المضطرب الخير الحقيقى ، وحرية الفرد الذى سينعم بالهدوء والسلام ، وبحسن الروابط بشرط أن يراعى القوانين التى نصدرها »

القرار الثالث والعشرون :

تكلم عن انقاص انتاج أدوات الترف وعن الصناعات الصغيرة ، وعن البطالة ومنع السكر ، والقضاء على الهيئات القديمة ، واعادة تكوينها على نظام جديد ، وتكلم عن الحاكم المختار من الله ، وانه بعد القضاء على المجتمع القديم سيرتفع عرش ملك اسرائيل ، وسينتهى بذلك أمر العالم القديم

القرار الرابع والعشرون :

تكلم عن اسلوب صيانة دولة اليهود ، وان اعضاء من نسل داود سيعدون ويربون الملوك وخلفاءهم ، الذين ينتخبون لمواهبهم الخاصة ، وان خطط المستقبل لن تكون معروفة الا للملك والثلاثة الذين دربوه ، وان ملك اليهود

لا يمكن تناوله بالنقد او المؤاخذة بأى حال

***

كان لنشر ترجمة هذه القرارات من الروسية الى لغات العالم دوى عظيم ، أحدث هزة كبرى فى الاوساط الاوربية والامريكية ، وعلقت عليها صحف كثيرة من بينها جريدة « التيمس » كبرى صحف لندن ، فقد نشرت مقالات فى ٨ مايو سنة ١٩٢٠ وفى ١٦ و ١٧ و ١٨ أغسطس سنة ١٩٢١ اوضحت فى أولاها أن اليهود نظموا — منذ أجيال — تدبيرا سياسيا عالميا يحمل بين طياته البغض التقليدى الشديد للمسيحيين .. كما نشرت جريدة « المورننج بوست » — وهى من اشهر صحف لندن — فى عددها الصادر فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٢١ مقالا ، ذكرت فيه أن ما تضمنته قرارات حكماء صهيون هو الوسائل التى حطمت ويمكن ان تحطم الامبراطوريات الكبرى

من هذا كله ندرك بغير عناء اسباب قيام الثورة الروسية الكبرى فى سنة ١٩١٧ وقتل القيصر نيقولا الثانى سنة ١٩١٨ ، ووقوع روسيا فى أيدى اليهود وفرضهم النظام الشيوعى عليها ، وقضائهم رسميا على الدين المسيحى هناك ، واعتبارهم الاديان جميعها أفيونا للشعوب ، وكذلك ندرك اسباب جعل الشيوعية مذهبا تحت اسم « الكومنفورم » ، تبشر به روسيا لتجتذب الطبقات الفقيرة ، كى تصل عن طريقها الى هدم النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية القائمة فى العالم

عود الى مؤتمر (بال)

ان لمؤتمر « بال » اهمية عظمى فى تاريخ اليهود .. ويعتبر بحق المرحلة الفعالة للوثبة الصهيونية الكبرى ..

ذلك أنه بعد أن اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهـــود وبخاصة فى أوربا الشرقية ــ روسيا وبولندا ورومانيا ــ وبعد أن هاجر كثير منهم من تلك البلاد ، أخرج « تيودور هرتزل » كتابا يدعو فيه اخوانه اليهود فى العالم كله الى التضامن والكفاح ، ليتسنى اقامة دولة صهيونية لهـا كيانها واستقلالها .. ثم انعقد هذا المؤتمر فى مدينة «بال» بسويسرا ــ كما ذكرنا ــ وتكرر انعقـــــاد المؤتمرات الصهيونية فى سويسرا وغيرها ، وانتشرت أخبارها فى الصحف . ثم خطا « هرتزل » وأعوانه خطوات جـدية لتحقيق مآرب اليهود . وممـــا قام به أنه عرض على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين وتملك الاراضى فيها ، مع استعدادهم لدفع مبلغ كبير من المال مقابل ذلك .. فأبى السلطان عبد الحميد السماح لهم بما طلبوه ، فولوا وجوههم نحو انجلترا ، وكان لهم فيها نفوذ كبير ، اذ كان فيها من اليهود كبار رجال المال ، واخصهم اللورد روتشيلد عميد اليهود هناك ، وكثير غيره من الوزراء والكتاب والصحفيين والنواب . وكان من أثر ذلك أن أرسل وزير خارجية انجلترا فى سنة ١٩٠٣ الى اللورد كرومر عميدها فى مصر ، أن يساعد اليهود على استعمار شبه جزيرة سينا (١) . وبمعنى آخر أراد وزير خارجية بريطانيا الامين على مصر ، اقتطاع جزء كبير من أرضها ومنحه لليهود ، دون التفات الى «مصر» صاحبة البلاد . ولم يكن الانجليز وقتئذ سوى محتلين ، أتوا اليها لتأييد عرش الخديوى ، وأعلنوا أنهم سيغادرونها بعد استتباب الامن فيها

---

(١) مساحة « سيناء » تبلغ ٨٢ الف كيلو متر مربع .. وهى أكبر من مساحة « ســـورية » ، وتزيد على ثلاثة أمثال مساحة «فلسطين» ، وعلى ثمانية أمثـــال مســـاحة « لبنان »

نفذ « كرومر » أمر وزارة خارجية بريطانيا .. ورضى أن يقتطع هذا الجزء الكبير من مصر ، ويهبه لليهود .. كى يتمكنوا من اقامة مستعمرة أو دولة يهودية فيـه . وقام الخبراء من انجليز ويهود بمعاينة « سينا » واختيار المواقع التى تصلح لاستعمار اليهود ، لكنهم رأوا صعوبة فى ريها واستثمارها فرفض اليهود امتلاكها . وهنا يقول الدكتور « حاييم وايزمان » فى مذكراته ـ وهو خليفة هرتزل فى زعامة اليهود ، وأول رئيس لجمهورية اسرائيل ـ انه يأسف لرفض اليهود استعمار سينا ، وكان من رأيه قبول استعمارها وتوطنها ، لتكون نقطة يرتكز عليها اليهود فى الوثوب مستقبلا الى جارتها فلسطين

وبعد هذا الرفض ، عرض الانجليز سنة ١٩٠٤ على اليهود استعمال جزء فى شرق افريقيا (أوغنده) .. مع العلم بأن هذه المنطقة كانت تحت حماية مصر فى عهد اسماعيل بمقتضى معاهدة أخفاها الانجليز كما يشهد التاريخ

وهكذا كان حظ المصريين مع الانجليز ابان الاحتلال ، فانهم أرادوا ان يهبوا لليهود « سينا » وهى من أرض مصر ، ثم «أوغندة» من بعد ذلك ، وكانت تابعة لمصر .. ثم انتهوا أخيرا الى أن وهبوهم فلسطين العربية ، والتى لا يمتلكونها ، بعد طرد أهليها وتشريدهم ، كما سنبين ذلك

الفصل الثالث

وعد بلفور



الحرب العالمية الأولى

شبت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، وانضم الاتراك الى الالمان فى هذه الحرب ضد بريطانيا وحلفائها .. وكان سلطان تركيا ـ كما نعلم ـ هو خليفة المسلمين . وكانت البلاد العربية ـ العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وشرق الاردن ، وفلسطين ، وشبه الجزيرة العربية ، واليمن ـ تحت سلطانه . وكان المفروض أن هذه البلاد تشد أزره ، وتعاونه ضد بريطانيا وحلفائها ، وتخضع لما يأمر به السلطان .. لكن الامور لم تجر على هذا النحو ، وكانت السلطنة العثمانية هى وحدها المسئولة عن تفكك أوصال الامبراطورية وضيق العرب بحكمها

والدليل على هذا ان السلطنة العثمانية كانت الى عهد السلطان عبد الحميد امبراطورية أتوقراطية ، يحكمها السلطان وحاشيته ، وقد أهملت هذه السلطنة مقوماتها ، من عدل وعلم وفن وانتاج ، وجعلت من العرب أمة مهيضة الجانب لا شأن لها فى ادارة حكم نفسها ، وحاربت اللغة العربية ، وجعلت التركية هى اللغة الرسمية فى مصالح البلاد جميعها .. ولقيت الشعوب العربية كل عسف وجور ، بل ان الشعب التركى نفسه قاسى من حكامه كثيرا من العنت والجور .. فساد الجهل والفقر أجزاء الامبراطورية بما فيها الاقاليم التركية ، وانتشر الظلم

والرشوة .. كما انتشر الفساد والمحسوبية وامتهنت كرامة الرعايا ، وحرم عليهم الافصاح عن آرائهم ، فلا تكتب جريدة ولا يصدر مؤلف الا بادارة السلطة العليا ووفق أهوائها .. الى أن اندلعت الثورة التركية ، وبعدها أعلن الدستور فى سنة ١٩٠٨ . وقامت الحياة النيابية ففرحت كل شعوب الامبراطورية بهذه الخطوة المباركة ، أملا فى أن يقوم حكم ديموقراطى سليم

ولكن ما لبثت تلك الافراح أن ذهبت ، أثر قيام جمعية الاتحاد والترقى ، وتسلمها زمام الامر فى الدولة ، فقد كان اتجاهها اتحاد العنصر الطورانى « التركى » ، وتمييزه على العنصر العربى ، فأحس العرب بسوء مصيرهم وهوان شأنهم ، فغضبوا ، وكونوا جمعيات سرية وعلنية ، تطالب بحرية العرب وباشراكهم فى ادارة شئون بلادهم .. وكما طالبوا أيام عبد الحميد بشىء من الاستقلال الداخلى ، طالبوا بهذا ايضا أيام جمعية الاتحاد والترقى ، وهى مطالب حاربتها السلطة المركزية فى الآستانة بكثير من العنف والعسف .. ونجم عن ذلك مهاجرة كثير من أحرار العرب الى بلاد أخرى ـ أخصها مصر التى كانت ملاذ الاحرار من مسيحيين ومسلمين ـ كما فر كثير منهم الى أوربا بصفة عامة ، وباريس بصفة خاصة .. وألفوا هنا وهناك جمعيات سرية وعلنية ، كما اصدروا صحفا ومؤلفات فيها الكثير ضد الادارة التركية

ولقد ذهبت الى الآستانة سنة ١٩٠٩ ، مع صديقى المرحوم محمد فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى ، ونفر من أصدقائنا لتقديم التهنئة للاتراك بدستورهم الجديد .. وهناك دهشت حين رأيت بعض الضباط من العرب

– ومن بينهم زميلى القديم فى المدرسة الخديوية الثانوية الضابط عزيز المصرى – يشكون مر الشكوى من سوء معاملة جمعية الاتحاد والترقى . وكانوا أشد ما يكونون ألما لما يلقونه من اهمال شأنهم وعدم الثقة بهم وقد كونوا من بينهم تشكيلة سرية تسعى لجمع صفوفهم ، والدفاع عن عنصرهم ومركزهم الاجتماعى ، وحقهم فى العمل لرفع شأن بلادهم العربية

وعلمت فيما علمت أن كثيرين من زعماء العرب أهينوا وشردوا وعذبوا لاجترائهم على المطالبة بحرية بلادهم واستقلالها استقلالا ذاتيا فى دائرة السلطنة العثمانية ، مع استعدادهم للدفاع عن السلطة والولاء لها !

وبعد أن رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت ، أيقنت أن مستقبل الامبراطورية العثمانية مهدد اذا استمرت سادرة فى خطتها .. وسينتهى أمرها حتما الى ما انتهت اليه الامبراطوريات القديمة التى أهملت قواعد العدل والانصاف ، وتغاضت عن نشر العلوم والفنون والاخذ بأسباب الرقى فى التجارة والصناعة وبث روح الاخوة بين المواطنين

لهذا كان طبيعيا أن يتخذ العرب لهم خطة عندما شبت الحرب العالمية الاولى ، كى يتخلصوا من ربقة الظلم والاستبداد .. وكان الشريف حسين شريف مكة اكبر شخصية تمثل العرب حينئذ ، فانتهز الانجليز الفرصة واتصلوا به ، وأفهموه أن اشتراكه في الحرب الى جانب الحلفاء يحقق أمانى العرب أجمعين .. وعلى اثر ذلك كتب الحسين شريف مكة فى ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ الى السير هنرى مكماهون – المندوب السامى فى مصر –

بصفته ممثلا للحكومة البريطانية ، كتابا جاء فيه ما يأتى :

« يجب أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية بكل معنى من معانى الاستقلال ، وتكون حدودها شمالا مرسين وأطنة حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض ... الى حدود فارس ، وشرقا حدود فارس حتى خليج البصرة ، وجنوبا المحيط الهندى . ويستثنى من ذلك منطقة عدن التى تبقى كما هى ، وغربا البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى « مرسين »

فرد عليه السير هنرى مكماهون بكتاب فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ بما يأتى :

« نتشرف باسداء الشكر الى سموكم من أجل افصاحكم عن شعوركم الخالص نحو انجلترا ، وأنه ليسرنا أن تكون المصالح العربية بريطانية ، والبريطانية عربية ، فى رأى سموكم ورأى رجالكم ، وبهذا القصد نثبت لكم ما جاء فى رسالة اللورد كتشنر التى وصلت اليكم .. وهى الرسالة التى سطرت فيها رغبتنا فى استقلال العرب والبلدان العربية .. وأما مسألة الحدود فيلوح لنا أنها سابقة لاوانها ، وأن وقتنا ليضيق عن البحث فى مثل هذه التفاصيل ، ونحن بعد فى أبان الحرب .. وفى حين أن التركى لا يزال هو المحتل احتلالا فعليا ، فى كثير من الاقسام الواقعة ضمن تلك الحدود ، لا سيما وقد بلغنا ـ فعجبنا وأسفنا ـ أن بعض العرب فى هذه الاقسام ، غير مفتنمين لهذه الفرصة العظيمة السانحة لهم ، بل هم عنها صادفون ، والى جانب الالمان بسلاحهم واقفون ، وما الاول الا سالبهم الجديد ، وما الثانى الا ظالمهم العتيق »

فكتب الشريف الحسين فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ كتابا جاء فيه :

« .. ولكنكم يا صاحب الفخامة تصفحون فتسمحون اذ أقول بصراحة : ان ما بدا من التوانى والتردد فى مسألة الحدود ـ باعتبار البحث فيها فى الوقت الحاضر مضيعة للوقت ـ قد يتخذ دليلا على فتور ، أو شىء من هذا القبيل »

فأجاب السير مكماهون فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ بما يأتى :

« لقد تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٩ سبتمبر بكثير من الغبطة والسرور ، وكان للعبارات الودية المخلصة التى وردت فيه أكبر تأثير فى نفسى ..

« وانى ليؤسفنى أنكم لاحظتم فى كتابى الاخير ، وحديثى عن قضية الحدود ، شيئا من الفتور والتردد مع انى لم أقصد ذلك .. بل كنت أود أن أقول ان الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثا مثمرا ..

« وقد أدركت من كتابكم الاخير أنكم تعلقون أهمية كبرى على قضية الحدود ، وانكم تعتبرونها من المسائل البريطانية ، وانى ليسرنى ان ارسل اليكم البيانات التالية التى أثق كل الثقة بأنها ستفوز برضائكم »

« ان سنجق مرسين والاسكندرونة وبعض الاقسام السورية الواقعة فى غرب سناجق دمشق ، وحمص ، وحماه ، وحلب ، لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة .. ولذلك يجب ان تستثنى من الحدود المقترحة

« ونحن نوافق على تلك الحدود مع التعديلات المشار اليها أعلاه .. على ألا تنتقص شيئا من معاهداتنا الحالية مع الزعماء العرب . أما الاراضى التى تستطيع انجلترا

العمل فيها بملء الحرية ، ودون أن توقع اضرارا بمصالح حليفتها فرنسا ، فقد خولت باسم حكومة بريطانيا العظمى أن أعطيكم التأكيدات التالية بشأنها ، وأن أجيب على كتابكم بما يلى :

« ان انجلترا مستعدة على أساس التعديلات المشار اليها أعلاه ان تعترف باستقلال العرب ، ضمن البلاد المشمولة فى الحدود والتخوم التى اقترحها شريف مكة ، وأن تؤيد ذلك الاستقلال ، وتضمن بريطانيا العظمى حماية الأراضى المقدسة من كل اعتداء خارجى .. وتعترف بأنها مصونة من كل تعد ، وتقدم بريطانيا ارشادها للعرب عندما تسمح الحالة بذلك ، وتساعدهم على تأليف شكل الحكومة التى يلوح أنها أفضل الاشكال فى مختلف البلاد العربية المذكورة

وانى لعلى ثقة بان هذا التصريح يجعلكم أبعد ما تكونون عن الشك فى عطف بريطانيا على أمانى أصدقائها العرب منذ القدم ، ويؤدى حتما الى تحالف وثيق أبدى ، سيكون من نتائجه المباشرة طرد الاتراك من البلاد العربية ، وتحرير العرب من النير التركى الذى كان ولا يزال يثقل أعناقهم منذ أعوام .. »

ولما كان هذا الخطاب عهدا من الحكومة البريطانية للعرب ، مؤيدا مطالبهم فى الحدود التى اقترحها شريف مكة ولم يخرج منها الا ما كان مرتبطا بمصالح فرنسا ـ وقد سبق أن طلبت هذه فى السنة نفسها ان يكون لها وحدها حق الرقابة على سوريا ـ فقد أبان هذا العهد من بريطانيا انها تكفلت باعطاء التأكيدات فيما يختص بالاراضى التى تستطيع العمل فيها بملء الحرية ، ودون أن توقع اضرارا بمصالح حليفتها فرنسا

وبناء على هذا العهد الصريح الذى لاشك فيه ولالبس، والذى يدخل فلسطين حتما فى دائرة المملكة العربية المستقلة ، اجاب الشريف الحسين بالقبول بكتاب فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ جاء فيه :

« حبا فى تسهيل الاتفاق ، وفى تأدية خدمة للاسلام ، نرجع عن اصرارنا على ادخال ولاية مرسين واطنة فى المملكة العربية .. أما ولايتا حلب وبيروت وسواحلهما البحرية فانهما ولايتان عربيتان صرفا ، ولا فرق هناك بين مسلم ومسيحى عربى .. اننا لنعلم ان حظنا من هذه الحرب قد يكون نجاحا يضمن للعرب حياة تليق بماضيهم او هلاكا فى سبيل ادراك هذه الغاية .. ولولا ما اعهده من توطد عزائم العرب على ادراك هذه الغاية لآثرت العزلة على رأس جبل .. ولكن العرب هم الذين ألحوا أن أتولى توجيه النهضة الى هذه الغاية .. والله المسئول أن يطيل بقاءكم ، ويتولى نصركم ، وهو مأمولنا ورجاؤنا »

فكتب السير هنرى مكماهون كتابا فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ الى الشريف الحسين جاء فيه :

« يسرنى أنكم توافقون على اخراج ولاية مرسين واطنة من حدود الأقطار العربية .. وبخصوص ولايتى حلب وبيروت فقد أخذت حكومة بريطانيا العظمى علما بملاحظاتكم ، انما لما فى الامر من مصالح لحليفتنا فرنسا فالمسألة تستدعى تبصرا دقيقا ، وسنوجه اليكم فى حينه مذكرة اخرى فى هذا الصدد »

فأجاب الشريف الحسين فى يوم راس سنة ١٩١٦ بكتابه النهائى بما يأتى :

« .. اما الاقسام الشمالية وسواحلها فقد ذكرنا فى

كتابنا السابق أقصى ما امكن من التعديلات .. وذلك كله أنما كان من أجل انجاز تلك الأمانى التى يشوقنا نيلها باذن الله سبحانه وتعالى .. وهو هو ذلك الشعور نفسه الذى حدا بنا الى تجنب ما يخشى أن يضر بالتحالف بين بريطانيا وفرنسا ، وبالاتفاق المبرم بينهما فى هذه الحرب وويلاتها .. لكنا نرى من الواجب علينا ان نؤكد للوزير الخطير اننا فى أول فرصة تسنح بعد نهاية الحرب سنطلب منكم ما نصرف عنه اعيننا اعتبارا من اليوم ، ونتركه الآن لفرنسا فى بيروت وسواحلها »

فكتب السير هنرى للشريف يقول :

« تلقيت أمرا من حكومتى لاعلمكم ان جميع مطالبكم مقبولة .. »

وعلى اثر ذلك أعلن شريف مكة والعرب الحرب على تركيا فى ٩ يونية سنة ١٩١٦

وكان من نتيجة هذه المفاوضات أن اللجنة الوطنية السرية فى سوريا قررت فى سنة ١٩١٥ رفض ما عرضته عليها الحكومتان العثمانية والالمانية من الوعد بالاستقلال، واعتزمت توحيد العمل مع شريف مكه

كما أن الأتراك قد حاولوا أيضا أن يدخلوا مع العرب فى معاهدة منفردة ، تقوم على أساس اعتراف تركيا ، باستقلال البلاد العربية . وقد ابرق الملك حسين فى السنة الأخيرة من سنى الحرب بنبأ هذا العرض الى الحكومة البريطانية .. فأجابه وزير خارجيتها ، وكان المستر بلفور بواسطة المعتمد البريطانى فى جدة شاكرا له صدق ولائه ومصرحا بما ياتى :

«حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالاتفاق مع دول

الحلفاء تؤيد عهودها السابقة ، المتعلقة بالاعتراف باستقلال البلاد العربية »

ويفهم من رفض الشريف حسين واللجنة الوطنية السرية فى سوريا ماعرضته عليهما تركيا وألمانيا انهما كانا على ثقة تامة بوعود انجلترا ، وانها لا محالة منفذة تعهداتها بصدق وأمانة (١)

ولا يفوتنا هنا ان نذكر ما كان من أثر لما ارتكبه جمال باشا الطاغية التركى من الفظائع ضد أحرار العرب فى بيروت وغيرها، فقد ساعد ذلك على اصرارهم على التخلى عن تركيا ، وعلى محاربتها

وعد بلفور

اطمأن العرب الى تعهدات بريطانيا الصريحة السالف ذكرها ، وأنها ستنيلهم استقلال بلادهم بالحدود التى عرضها الشريف حسين .. عدا الاستثناء الذى اتى على لسان السير مكماهون خاصا بمصالح فرنسا فى سوريا والذى كان نتيجة اتفاق سرى يعرف بمعاهدة « سيكس بيكو » سنة ١٩١٦ وأن هذه الحدود التى اتفق عليها مع شريف مكة تشمل فلسطين قطعا

اطمأن العرب الى ما تعهدت به الدولة البريطانية ، وبخاصة بعد هذا التصريح الصادر من السير مكماهون بلسان دولته فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ وفيه يقول : « ان الأراضى التى تستطيع انجلترا العمل فيها بملء الحرية ، ودون أن توقع ضررا بمصالح حليفتها فرنسا

---

(١) انظر تفاصيل الثورة العربية فى كتاب « حول الحركة العربية الحديثة » للاستاذ محمد عزة دروزة .. وكذلك تقرير اللجنة الملكية البريطانية برئاسة اللورد بيل والصادر سنة ١٩٣٧

تؤيد انجلترا استقلال هذه الاراضى .. وتضمن بريطانيا العظمى حماية الأراضى المقدسة من كل اعتداء خارجى ، وتعترف بأنها مصونة من كل تعد »

بعد هـذا كله ، وبعد أن أعلن العـرب الحرب على الأتراك ، واستمروا فيها بجانب الحلفاء ، وأشعلوا فى جزيرة العرب ثورة عامة عارمة ، بذلوا فيها ما بذلوا من تضحيات فى الاموال والارواح ، وكان لها اثرها الفعال ـ باعتراف بريطانيا العظمى وحلفائها ـ فى احراز النصر .. بعد هذا كله ، صدم العـرب باعلان تصريح من جانب الحكومة البريطانية عرف بتصريح بلفور .. وجهه المستر بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى الى اللورد روتشيلد اليهودى فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وهو بنصه :

« .. يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى ، الذى ينطوى عـلى العطف عـلى امانى اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة واقرته ..

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ..

« على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقـوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البـلدان الأخرى »

وان من ينعـم النظـر فى هـذا التصريح يدرك ان تعبيراته وكلماته المـائعة كانت نتيجة تدبير خفى كشفت الأيام ستره واظهرت نوايا واضعيه

ولا يغرنك تصريح للرئيس ولسن فى ديسمبر سـنة

١٩١٧ أقره الحلفاء بلا قيد ولا شرط وأعلنوه للملأ ، ذلك هو تصريح الاربعة عشر مبدأ للسلم العام ، وقد جاء فيه :

«ان الاجزاء التركية من السلطنة العثمانية الحالية يجب ان تضمن لها سيادتها التامة .. اما الشعوب الاخرى « غير التركية » الخاضعة الآن للحكم التركى ، فينبغى لها العيش بأمان واطمئنان ، وأن تتاح لها فرصة الرقى فى مدارج الحكم الذاتى ، دون تدخل او ازعاج »

كما لا يفرنك تصريح مشترك أعلنته بريطانيا العظمى وفرنسا على الأمم العربية ، ومنها فلسطين فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ وجاء فيه ما يأتى :

« ان الهدف الذى سعت الى تحقيقه بريطانيا وفرنسا عندما خاضتا فى الشرق غمار الحرب التى أثارتها مطامع الالمان هو تحرير شعوبه التى مضى عليها ردح طويل من الزمن وهى تذوق الأمرين تحت حكم الأتراك ، واقامة حكومات وادارات وطنية .. تستمد سلطتها من السكان الوطنيين وتسير وفق رغباتهم الحرة

« وتحقيقا لهذه المقاصد ستقوم فرنسا وبريطانيا العظمى فورا بتشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية فى سوريا والعراق ، اللذين تم تحريرهما بواسطة الحلفاء ، وفى البلاد الاخرى التى تسعى هاتان الحكومتان لتحريرها ، وان تعترفا بها حين تأليفها .. وهما لا تنويان قط أن تعرضا على سكان هذه الاصقاع أى شكل من المؤسسات الحكومية ، بل ان جل غايتهما ان تضمنا بما تقدمانه من المعاضدة والمساعدة الوافية حسن سير الحكومات والادارات التى يختارها السكان انفسهم »

ولا يفرنك ـ مع الأسف الشديد ـ ميثاق عصبة الأمم

ذلك الميثاق الذى وضعه الحلفاء وتم توقيعه فى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٩ وأعلنوه للملأ .. وهاك نص المـــادة ٢٢ من الميثاق :

« ان المستعمرات والأقاليم التى قضت نتائج الحرب بخروجها من سيادة الدول التى كانت تحكمها فيما مضى، والتى تسكنها شعوب لا تستطيع حكم نفسها فى الأحوال الشاقة التى تسود العالم الحديث ، ينبغى أن يطبق عليها المبدأ القائل : أن خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة فى عنق المدنية . وأن تدمج فى هذا الميثاق الضمانات اللازمة لحسن أداء هذه الأمانة .. الخ »

ولقد وضع الحلفاء فى ميثاقهم هذا أسسا للمــدنية نبيلة هى مبدأ تقرير المصير ، وألا غنائم فى الحرب ولا ضم ولا الحاق ضد رغبات الشعوب ، وأن الأمم والبلاد لم تصبح سلعا تباع وتشترى

ووضعوا بدل نظام الضم ، والالحاق ، والفتح ، نظام الانتداب .. وهو ليس شيئا سوى ما قررته المادة ٢٢ من أن خير الشعوب ورقيهـــــا أمانة مقدسة فى عنق المدنية

كيف ظفر اليهود بوعد بلفور ؟

وضح مما سبق أن هناك فرقا شاسعا بين المبادىء التى أعلنها الدكتور ولسن والتزامات دول عصبة الأمم ـ وهى مبادىء صريحة ـ وبين النص الغريب المبهم الذى جاء فى تصريح بلفور .. فما علة هذا التناقض ؟ وما السر الذى ينطوى عليه تصريح بلفور ؟. وهل انتصرت مبادىء عصبة الأمم بزعامة الدكتور ولسن ، أو انكشف الغطاء فيما بعد عما يريده بلفور وشيعته من وعده الذى أعلنه

لليهود وللعالم فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ؟

الحقيقة أن مبادىء الدكتور ولسن وتصريحات عصبة الأمم قد فشلت فشلا ذريعا ، وأن وعد بلفور قد انتهى باعطاء فلسطين لليهود ، وبطرد العرب اصحاب البلاد منها ، وبتدفق هجرة اليهود اليها ، وقيام ما يسمونه الآن « دولة اسرائيل »

وهذا كله يقتضينا البحث فيما أدى الى هذه الكارثة التى ما كنا نعرف عناصرها من قبل .. وحسبى أن أسرد الوقائع الآتية :

ان لوعد بلفور اسبابا قديمة وحديثة ، وكلها متصلة الحلقات يدركها من يتتبع الحوادث ، ويتفهم أغراض الماسونية اليهودية . وقد عرضنا شيئا غير قليل مما يكشف أغراض الماسونية اليهودية ، كما عرضنا ملخصا لقرارات حكماء صهيون . ونريد الان بسطا مجملا لبعض حوادث قامت فى القرن التاسع عشر أو العشرين ، ليعلم من لم يكن يعلم ، تسلسل أعمال الصهيونية ، وتغلغل النفوذ اليهودى فى ادارة البلاد الاوربية وغيرها .. مما يثبت أن الصهيونية لاتبغى سوى ان تعصف بحكومات الأرض ، واقامة دولة عالمية لليهود ، تتحكم فى رقاب تلك الشعوب المنحطة فى نظرها .. وأولها الشعوب المسيحية القوية التى تقف سدا أمام انتشار سطوتهم ونفوذهم

أتى وقت كانت فيه روسيا وما جاورها أشد أعداء اليهود وقد اذاقتهم الذل والمصادرة والطرد ، لما اقترفوه من قسوة فى معاملاتهم مع سكان أوربا الشرقية ، وهى معاملات مالية واقتصادية .. ولما خلقوه من أسباب الفوضى والاضطرابات فى تلك البلاد .. فكان لابد للماسونية اليهودية من الانتقام لما أصاب اليهود من محن ،

اضطرت الكثيرين منهم الى الهجـرة من شرق أوربا ، واتخذوا لذلك سبلا شتى : منها قيـام كارل ماركس اليهودى الألمانى بنشر نظرياته المعروفة فى حرب الطبقات وفى وضع مبادىء الشيوعية ، وقد اعتنقهـا كثير من الروس اليهود وغير اليهود ، ومن هؤلاء لينين زعيـم روسيا الأكبر وكان متزوجا بيهودية .. وتروتسـكى الزعيم الجهنمى للشيوعية وهو يهودى لحما ودمـا - وكثير غيرهما - قاموا بالثورة الروسـية الكبرى سنة ١٩١٧ ، وباغتيال القيصر والامراء والاعيان سنة ١٩١٨ ، كما فتكوا برجال الدين وألغوا الدين المسيحى نفسه

ومن أغرب ما سطره التاريخ ، أن الماسونية اليهودية التى روجت للمبادىء الشيوعية ثم قامت بالانقـلاب الشيوعى فى شرق أوربا ، هى رأسمالية محضة فى غرب أوربا ، ويحمل لواءها اللورد روتشيلد اليهودى وأضرابه

واليهود هم الذين سعوا ونجحوا فى ابرام معـاهدة « برست ليتوفسك » وهى المعاهدة التى أعقبت هزيمة الامبراطورية الروسية أمام ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى بعد واقعة « المستنقعات » الشهيرة ، التى انتصر فيهـا الألمان بقيادة الماريشال «هندبرج» ، وانهزم فيها الجيش الروسى شر هزيمة ، وانسحبت روسيا بسببـها من الحرب ، وانفصلت عن حلفائها دول الغرب .. وتألفت اثر ذلك حكومة روسية برئاسة اليهودى « كيرنسكى » الذى حل مجلس الدوما (البرلمـان الروسى) ، وكانت حكومته قنطرة بين النظام القيصرى والشيوعية الحمراء التى قامت فى روسيا بعد ذلك

وكما أن « لينين » زعيم الشيوعية فى روسيا كان زوجا ليهودية ، فان « تروتسكى وراديك وزينوفييف »

وثلاثة أرباع قوميسارى الروس كانوا يهودا (١)

وفوق ذلك كله ، فان يهود روسيا يعترفون صراحة بأنهم هم الذين صنعوا الثورة الروسية ، ويفاخرون بما عملوا . ومن ذلك ما نشرته جريدة تصدر بمدينة شيركوف باسم دركومونيست (أى الشيوعى) بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩١٩ بقلم اسرائيلى اسمه (م. كوهين) وجاء فى مقاله ما يأتى :

« يمكن القول بلا مبالغة أن الثورة الروسية الكبرى كانت من عمل اليهود وأن هؤلاء اليهود لم يقوموا بهذا العمل فحسب ، وانما تولوا رعاية المذهب السوفييتى . ويمكننا أن نطمئن نحن اليهود ما دامت ادارة الجيش الاحمر العليا فى أيدى ليون تروتسكى (٢)

ومن هذا يتضح أن الماسونية اليهودية كانت ذات وجهين : فهى لروسيا شيوعية مخربة .. وهى للغرب ولامريكا ، رأسمالية صهيونية . ولم يكن ذلك الا تنفيذا لقرارات حكماء صهيون ، وهى تنص بأن يكون للماسونية فى كل بلد نظام خاص ، وأساليب خاصة ، كى تصل الى تقويض العالم واقامة دولة اليهود العالمية

***

واذا تركنا الشرق واتجهنا الى الغرب ، نرى الدكتور حاييم وايزمان - بعد أن مات تيودورهرتزل - اتجه الى الغرب ، وهو روسي المولد والجنسية ، وانتهى مطافه الى انجلترا وتجنس بالجنسية الانجليزية ، واصبح أستاذا للكيمياء فى جامعة منشستر ، واتصل هناك

---

(١) أنظر كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية السالف الذكر
(٢) أنظر المقال فى كتاب الخطر اليهودى الماسونى بالفرنسية بقلم الاب جوان

بالزعيم الصهيونى روتشيلد ، كما اتصـــل بكبار رجال انجلترا .. وتمكن بمساعدتهم من ان يجذب اليه لويد جورج وونستون تشرشل وبلفور وغيرهم من المسيحيين الانجليز ، كما كان معه فى خطته من الانجليز اليهود كثيرون من العظماء والوزراء ، منهم اللورد ريدنج وهور بليشـــا والسير هربرت صـــمويل . وكان فى وزارة لويد جورج وزيران يهوديان ، هما السير الفريد موند ، والاونورابل أدوين مونتاجو ، كما كان فى المجلس الاستشارى الخاص ستة أعضاء من اليهود

سعى هذا النفر القوى فى التمهيد لاستيلاء اليهود على فلسطين . وكان لليهود فى تلك الاوقات أعضاء فى الوزارة وفى مجلس العموم وفى مجلس اللوردات ، وكثير من رجال المال والصـــحافة ، كمـــا كان لهم نفوذ كبير فى الولايات المتحدة الامريكية ، وفيها عدد منهم يقدر بالملايين . وقد تركز نفوذهم هناك فى المؤسســـات المالية والتجـــارية وسيطروا على الصحف ، وكانت قوتهم تظهر بوضوح فى انتخابات رئاسة جمهورية أمريكا ، وكذلك فى انتخـــاب حاكم ولاية نيويورك ، وكان نفوذهم ملحوظا فى المحكمة العليا الامريكية

فلما سيطر وايزمان وروتشيلد على عقول بعض الوزراء والعظماء فى انجلترا كان لابد من وضـــع صـــيغة يعلنهـــا « بلفور » ولا يثير ظاهرها مخـــاوف العرب ... وهنـــا يعترف وايزمان فى مذكراته بأن المفاوضـــات بينه وبين الانجليز قد استمرت زمنا طويلا ، الى أن تم الاتفاق بوحى اليهود انفسهم على وضع الصيغة النهائية التى أعطاها بلفور الى اللورد روتشيلد فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧

ويمكننا أن نجـــزم أن الانجليز كانوا يتفـــاوضون مع

الشريف حسين ، فى الوقت الذى كانوا يتفاوضون فيه مع الصهيونيين ، وانتهى الامر بوضع حلفين متناقضين : أحدهما لاصحاب الحق سكان البلاد وهم العرب ، وثانيهما للغدر بالعرب واقطاع اليهود أرض فلسطين

وتعمدوا ان يكون نص وعد بلفور مبهما مائعا لا يدل على شىء واضح مع الاتفاق سرا على أن تكون فلسطين تحت حماية انجلترا ، ومع الوعد الخطير بمنع اقامة حياة نيابية ، وبضمان هجرة اليهود الى فلسطين ، حتى يصبحوا كثرة يمكن معها اقامة دولة يهودية

وبهذا سقطت مبادىء ولسن ، كما سقط مبدأ عصبة الأمم الذى أعلن للناس وهو حق تقرير المصير ، وأن «خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة فى عنق المدنية » !!!

***

ثم وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى ... ويقول حاييم وايزمان فى مذكراته : ان اليهودى الأمريكى « بنيامين كوهين » كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون — وزير خارجية بريطانيا حينذاك — وضع صك الانتداب على فلسطين والاتفاق على نصوصه

وبعدئذ عين السير هربرت صمويل اليهودى أول حاكم عام لفلسطين من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٥ ، كما عين المستر « نورمان بنتوتش » اليهودى نائبا عاما ، مسيطرا على التشريع والمحاكم .. وعين كذلك حاييمسون اليهودى مديرا لدائرة الهجرة ، وعين غير هؤلاء كثيرون من اليهود فى المناصب الرئيسية ، حتى أصبحت فلسطين محكومة فعلا باليهود

وفتح الانجليز الباب على مصراعيه للهجرة ، كما قامت الوكالة اليهودية بزعامة روتشيلد وغيره بشراء الأراضى ،

على ألا يعمل فيها أى عامل عربى ،وكل بقعة من الأرض يشتريها اليهود يطرد العمال العرب منها ، ليحل محلهم عمال من اليهود

وضح الخفاء بمجرد وضع فلسطين تحت الانتـــداب البريطانى .. ولم يخف زعماء اليهود ما كان مبيتا بينهم وبين الانجليز ، فقد صرح السير « الفـــرد » اليهودى (لورد ميلتشت) سنة ١٩٢٢ « بأن اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل اصبح قريبا جدا ، وانه سيكرس ما بقى من حياته لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى »

كمـا صرح المســتر جابرتنسكى زعــيم الصــهيونيين الاصلاحيين أمام لجنة « شو » سنة ١٩٢٩ بأنه ينبغى صراحة أن تشجع الحكومة البريطانية الاستعمار اليهودى تشجيعا فعليا ، كى توجد فى البلاد أكثرية يهودية

وصرح الزعيم اليهودى « زينكويل » بقوله :

« .. وما على العرب الا أن يهدموا خيامهم ، ويرحلوا الى الصحراء من حيث أتوا »

***

ونشر المستر (بنتويش) اليهـــودى ـ والذى كان رئيسا للنيابة العمومية فى فلسطين ـ كتابا طبعه فى لندن سنة ١٩١٩ أســماه « فلســطين اليهود » مع ملحق له أسماه « انقاذ بلاد يهوذا » جاء فيـــه كلام كثير مثير للشعور نقتبس منه ما يأتى :

« ولكن لا هذا ولا ذاك (أى الصلوات) يجددان بناء الهيكل (محل البراق الشريف) ـ انما أبناء الجيـــل الذين سيقومون بهذا ، والذين يعتقدون أن العمل هـــو الصلاة الحقيقية ، سينزلون فى القدس ويسكنونها ..وهم ينتظرون قيام « قورش » جديد و « نحميا » جديد ،

يشقان الطريق لاستعادة المكان المقدس الطاهر لليهودية (وهو المسجد الاقصى)

وقد نشر اليهود من الخرائط والرسوم أنوعا كثيرة ، منها صور للحرم الشريف ، وقبة الصخرة ومكان البراق ، وقد وضعوا عليها جميعا شعارهم القومى والدينى ،وكتبوا عليها كتابات بالعبرية ، تثير العواطف وتؤلم النفوس ، رأيتها بنفسى وقدمتها الى لجنة التحقيق فى قضية البراق

.. وكل هذا يدل دلالة أكيدة على أن القوم مصممون على انتزاع فلسطين من أهليها ، واغتصاب كل مقدسات العرب مسيحية كانت أو اسلامية

***

لليهود أن يفكروا كما يشاءون ، وأن يحاولوا اغتصاب ما يريدون .. لكن البلاء الاعظم أن يتواطأ المسيحيون من الساسة البريطانيين مع الصهيونية .. فلقد جاء فى تقرير اللجنة الملكية بفلسطين (لجنة اللورد بيل) لسنة ١٩٣٧ ، ما يفضح الامر ، ويثبت الحقيقة المرة ، والتواطؤ المعيب

جاء فيه ان المستر « ونستون تشرشل » وزير المستعمرات سنة ١٩٢٢ ، أصدر بيانا فى شهر يونية من السنة المذكورة عن السياسة البريطانية فى فلسطين يقول فيه « الا ضرر من تكوين طائفة لليهود فى فلسطين ، وأن تنمية الوطن القومى فيها ، لا تعنى فرض الجنسية اليهودية على أراضى فلسطين اجمالا .. بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين فى انحاء العالم ، حتى تصبح مركزا يكون فيه للشعب اليهودى برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية .. الخ »

وقد أعتبر المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات

أن هذا هو تفسير حكومة جلالته لتصريح بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧

ثم جاء فى تقرير اللجنة المذكورة ما يأتى :

« وقد اعتبر هذا التفسير للوطن القومى فى بعض الاحيان أنه يحول دون انشاء دولة يهودية .. غير انه وان كانت عباراته قد وضعت فى قالب يرمى الى تخفيف خصومة العرب للوطن القومى بقدر الاستطاعة ، ليس فيه مايمنع من انشاء دولة يهودية فى النهاية . وقد قال لنا المستر تشرشل نفسه ، عندما أدلى بشهادته أمامنا ، انه لم يكن يقصد الحيلولة دون اقامة دولة كهذه .. وقد اشتركت الجمعية الصهيونية فى هذا الرأى ، وصرحت لجنتها التنفيذية أن هذه الجمعية ستسير فى أعمالها على أساس سياستها المبسوطة هنا ، وأن السبب الذى حال دون الاشارة الى الدولة اليهودية فى سنة ١٩٢٢ (أى فى بيان المستر تشرشل) هو عين السبب الذى حال دون الاشارة اليها فى سنة ١٩١٧ (أى فى تصريح بلفور) .. فلقد كان الوطن القومى مجرد تجربة »

ثم يأتى فى تقرير لجنة بيل أيضا ما يلى :

« ومن الواضح على كل حال انه لم يكن فى استطاعة حكومة جلالته أن تتعهد بانشاء دولة يهودية ، بل كل ماكان فى وسعها عمله هو أن تتعهد بتسهيل نمو (وطن) .. أما نمو هذا الوطن نموا كافيا ، وتطوره الى درجة يصبح معها دولة ، فذلك أمر يتوقف فى الدرجة الاولى على حماسة اليهود وعزيمتهم .. وقد قال لنا المستر لويد جورج الذى كان رئيسنا للوزارة فى ذلك الحين ، فى معرض الشهادة :

« لقد كانت الفكرة الا يعمد فى معاهدة الصلح ، الى اقامة دولة يهودية فورا ، دون الرجوع الى رغبات أكثرية

السكان . وهذا هو التفسير الذى فسر به التصريح فى ذلك الحين .. ومن الجهة الاخرى كان فى النيــة أنه متى حان الوقت لمنح فلسطين مؤسسات تمثيليـــة (أى برلمانا) ، ووجد أن اليهود قد اغتنموا الفرصة التى تبيحهـــا لهم فكرة الوطن القومى ، وأصبحوا فى غضــون ذلك يؤلفون أكثرية السكان ، فعندئذ تصبح فلسطين دولة يهودية »

من هذا وضح الخفاء ، وصار معنى انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين هو العمل على تكوين دولة يهودية ، لا وطن روحى كما كانوا يقولون .. ولهذا كانت مساعدة الهجرة لتمكين اليهود من أن يكتسحوا فلسطين ، ويمتلكوا أراضيها . وهذا هو السبب فى مخالفة ميثاق عصبـــة الامم ، وعدم اعطاء فلسطين حكمها الذاتى الى أن يتمكن اليهود من الحصول على الاكثرية وتكوين دولتهم

وجاء فى تقرير لجنة « بيل » أيضا ما يأتى :

« فرغبة الزعماء العرب الملحة فى الحصول على الاستقلال القومى فى سنة ١٩٣١ هى نفس الرغبة التى كانت تملكهم سنة ١٩٢٠ . والسبب الرئيسى فى اتخـــاذهم الموقف العدائى من الوطن القومى فى سنة ١٩٣١ كما كان فى سنة ١٩٢١ اعتقادهم بأن هذا الوطن قد سد الطريق دون تحقيق تلك الرغبة .. وقد يغيب عن البال أحيانا أن وفدا عربيا يترأسه رئيس اللجنة التنفيذية العربية قدم الى لندن فى مارس سنة ١٩٣٠ ، وهو الشهر الذى نشر فيـــه تقرير « لجنة شو » وأن العرب حسب الخلاصة الرسميـــة للمحادثات ، التى جرت بين أعضاء الوفد ورجال الحكومة شرحوا قضيتهم فى أثناء هذه المحادثات ، لا فيما يتعلق بشراء الاراضى والمهاجرة فحسب ، ولكن فى مسألة الحكم الذاتى أيضا ، وان جواب الحكومة لهم كان يدور حـــول

النقطة الاخيرة . وهذا ما جاء فى الخلاصة الرسمية بصدد ذلك :

« لقد قيل للوفد ان التغييرات الدستورية الشاملة التى طلبها لايمكن قبولها بالكلية ، لانها تجعل القيام بالتزام حكومة جلالته حسب صك الانتداب مستحيلا . وقد أوضح أنه لايمكن البحث فى اقتراحات لاتتفق مع مقتضيات الانتداب .. وبما أن تنفيذ رغبات الوفد العربى بخصوص الحكم الديمقراطى يجعل قيام حكومة جلالته بمسئولياتها كدولة منتدبة على فلسطين مستحيلا ، وبما انه بالرغم من الشرح والتأكيدات المعطاة من قبل وزراء جلالته لم يتمكن الوفد أن يرى سبيلا لتعديل موقفه ، فقد أصبح من الواضح أنه لافائدة ترجى من مداومة البحث فى هذه المسألة » (١)

ومما يوجب الاسى أن مؤتمرات عربية انعقدت فى القدس أيام الانتداب البريطانى ، وتقرر فى أحدها اقامة جامعة عربية هناك أسوة بالجامعة اليهودية التى ساهمت بريطانيا فى انشائها من قبل .. وتنفيذا لقرار المؤتمر سافرت مع سماحة مفتى فلسطين السيد محمد أمين الحسينى الى «عمان» ، ومنها عبر الصحراء الى بغداد ، فأكرم المسئولون وفادتنا ، وتكونت هناك لجان لجمع شىء من المال . وبعد أن أقمنا فى بغداد خمسة عشر يوما ، وفى البصرة يومين فى ضيافة حكومة العراق ، ذهبنا بالباخرة الى مدينة كراتشى أيام الحكم البريطانى ، فوصلنا اليها فى ١٥ مايو سنة ١٩٣٣

أقمنا فى شبه القارة الهندية نحو خمسة أشهر ، جسنا فيها خلالها فى فصل القيظ المحرق ، وسعينا فى تكوين لجان

---

(١) راجع أيضا كتاب « قضية فلسطين » تأليف السيد نجيب صدقه ، وكتاب « قضية فلسطين العربية » وضع الهيئة العربية العليا

من مسلمى الهند تستولى على مايجمع من تبرعات وترسله الى مصرف فى فلسطين دون أن يكون لنا أى تدخل فى جمع التبرعات ، فاننا قررنا أن نكون دعاة لا محصلين

ولقد قوبلنا بالحفاوة والتكريم فى تلك البلاد ، وتألفت من كبار القوم وأثريائهم لجان لجمع التبـرعات ، ووعدنا الامراء والوزراء والاغنياء بالعون والتأييـد ، ودعانا نائب الملك وحكام الامارات من انجليز وغيرهم الى مآدب رسمية وغير رسمية .. لكننا بعد أن قضينا شهورا عدة لم نلحظ تنفيذا لما وعدنا به من قبل ، وكنا فى حيرة من هذا التناقض، الى أن أطلعنا كبير مسئول على كتـاب رسمى سرى من السلطة البريطانية الى المسئولين فى البلاد ، مفاده أن رجال الوفد الفلسطينى هـم من العظمـاء الذين يجب حسـن استقبالهم والحفاوة بهم ، لكن جمع المال لمشروعهم يتعارض وسياسة حكومة جلالته فى فلسطـين .. ويسهل على القارىء بعد هذا أن يعرف النتيجة المحتومة لمشروع تعليمى انسانى تراه بريطانيا معارضا لسياسة انتدابها على فلسطين

***

وهناك مسألة أخرى ـ نوهنا عنها فى المقدمة ولابد من تفصيلها ـ تدل على اندفاع بريطانيا فى العمل لتكوين دولة اسرائيل قبل أن يحتضنها ترومان

ذلك أن المؤتمر البرلمانى العالمى للبلاد العربية والاسلامية قرر ـ كما سبق القول ـ تأليف لجنـة منى ، ومن ثلاثة من أعضاء المؤتمر البارزين ، للذهاب الى انجلتـرا ، كى نقنع ولاة الامر بعدم الاسترسال فى مناهضة العرب .. فذهبت مع زميلى السيد خليق الزمان ، والسيد عبـد الرحمن صديقى ، بالباخرة الى انجلترا عن طريق فرنسنا

.. على أن يلحق بنا فى انجلترا السيد فارس الخورى عن طريق دمشق ــ استامبول ــ وكم كانت دهشتنا عظيمة عندما أبرق الينا من استانبول بمنعه من مواصلة السفر برقية أفهمتنا تدخل انجلترا للحيلولة بينه وبين استمرار سفره . وليست هذه هى العقبة الوحيدة التى وضعها الانجليز أمام هذا الوفد ، فاننا بعد أن وصلنا لندن وطلبنا مقابلة رئيس وزرائها ووزير خارجيتها ، أخبرنا بعدم امكان مقابلة أحد من رجال الحكومة البريطانية لوفد من المؤتمر العربى بصفة رسمية ، وكانت حجتهم أن مجلس الوزراء قرر قبل بضعة أيام قرارا بشأن فلسطين لايمكن العدول عنه ، ولا المناقشة فيما يخالفه

وهذه هى عقبة ثانية أقامتها انجلترا فى وجه الوفد ..

لم أر ازاء هذه الحالة سوى أن ألجأ الى سفير مصر هناك ــ وقد كان الدكتور حسن نشأت ــ الذى أكرم وفادتنا مدة اقامتنا ، وسعى لدى ولاة الامور حتى أخبروه بامكان مقابلتى بمفردى وبصفة غير رسمية كعضو فى مجلس الشيوخ المصرى ، وأن تكون المقابلة مع وزير المستعمرات ــ وكان وقتئذ مستر « ملكولم ماكدونالد » نجل مستر رمزى ماكدونالد رئيس الوزارة السابق ــ ورفضت الحكومة مقابلة العضوين الاخرين

***

وأمام هذه الحالة ــ وباتفاقى مع زميلى ــ رضيت بمقابلة وزير المستعمرات بصفة شخصية ، عسى أن أقنعه بشىء فى مصلحة فلسطين .. وكان ذلك فى خريف سنة ١٩٣٨ بوزارة المستعمرات

وتلقانى الرجل بكل ترحاب واحترام ، ومكثت معه

زمنا ليس بالقصير .. عرضت فيه حق فلسطين فى معاونة انجلترا لها ، كما ذكرت له أن مصلحة انجلترا نفسها ماديا وأدبيا أن تكون فى جانب العرب ، أصحاب الحق ، وهم ملايين كثيرة فى بقاع متلاصقة ، ويمكن أن يكونوا يوما ما عضدا للسلام العام ، ونصيرا للحكومات التى تسعى فى حرية الامم ومنها انجلترا - وأذكر انى أدليت اليه بما يفيد أن اليهود يسعون لمصلحتهم ، غير ناظرين الى مصلحة غيرهم ولو كانت انجلترا ، وأن على انجلترا أن تختار أحد أمرين : اما سواعد الملايين من العرب ، واما ذهب اليهود .. فابتسم وودعنى أحسن توديع ، بعد أن دعانى لسماع خطاب له عن فلسطين يلقيه بعد يومين أو ثلاثة فى مجلس العموم . وفى الغد أعطانى أحد نواب الانجليز تصريحا بحضور مجلس العموم .. فذهبت فى الموعد المضروب ، وأجلسونى وحدى فى شرفة ممتازة ، ورأيت فى الشرفتين المجاورتين عدة أشخاص أيقنت أنهم من كبراء اليهود . وأتى دور وزير المستعمرات فتكلم كلاما مستفيضا تحدوه الفصاحة واللباقة ، وكله يرمى الى الرغبة فى التوفيق بين مصالح العرب ومصالح اليهود ، وليس فيه سوى البلاغة والتطمين ، دون ابداء أى رأى ايجابى محدد . وانتهى الامر على ذلك ، وكانت هذه هى الملاحظة الثالثة التى أخذتها على السياسة البريطانية

أقمنا فى لندن أكثر من أربعين يوما ، نسعى فى بث الدعاية .. وكان لفلسطين مكتب هناك ، قابلنا فيه مرارا مكاتبى الصحف الكبرى فى انجلترا مثل التايمز والديلى تلغراف وغيرهم .. كما لقينا فيه بعض كبار الانجليز من سيدات ورجال ، ورأيت ممن قابلناهم عطفا ظاهرا على عرب فلسطين ، لم أتمالك بسببه من الجهر للحاضرين بأن

الشعب البريطانى أفضل عندى من الحكومة البريطانية .. وانتهت رحلتنا كما ترى على غير ما نرجو بفضل السياسة التى كانت تنتهجها بريطانيا فى تلك الاوقات

***

اظهرت الحـــوادث التى سـبقت وعد بلفور ، والتى اعقبته ، الاسباب التى دعت الى صدوره .. كما أماطت اللثام عن المعنى المقصود من ألفاظه . فقد ثبت من أقوال اليهود أنفسهم ، ومنهـم الدكتور حاييـم وايزمان « أن اليهود كانوا فى مداولات مستمرة مع كبار رجال الانجليز ، ومنهم بلفور وتشرشل ولويد جورج واللورد كيرزون .. وكان يناصر الدكتور « حاييـــم وايزمان » فى مفاوضاته لفيف من اليهود الانجليز أمثــال اللورد روتشيلد واللورد ريدنج ، وأن أساس المداولات كان خلق دولة يهــودية فى فلسطين ، تحت حماية انجلترا .. كما ثبت ان هذا الغرض صادف هوى لدى الاستعماريين من الانجليز ، زاعمين أن هذا يثبت اقدامهم فى بقعة لم تكن لهم ، بقعة تنسلخ من السلطنة العثمانية ــ وهى فى حرب معهم ــ وتخـرج من حوزة العرب الذين خاضوا غمار الحـرب ضد تركيــا ، ليفوزوا باستقلال بلادهم عن الترك وعن الانجليــز . وقد رجحت كفة الاستعمار ، وأدى ذلك الى التفـاهم السرى الذى تم بين اليهود والانجليز الاستعماريين ، على ألا يظهر هذا التعاقد الخفى الا بعد أن تلوح للغــرب بوادر الظفر والنصر على الالمان وحلفائهم .. وبشرط أن يكون التعبير ــ عن هذا الاتفاق فى تصريح بلفور ــ بكلمات مبهمة مطاطة ، لا تزعج العرب حتى تنتهى الحرب ، وعندئذ ينفذ الفريقان الانجليزى واليهودى ما أرادوه تباعا .. وهذا ماظهر جليا

فى تحقيق اللجنة الملكية (لجنة بيل) مع تشرشل ولويد جورج

فلقد أبان تحقيق هذه اللجنة بما لايحتـــاج الى دليل الامور الآتية :

أولا : الاتفاق على انشاء دولة يهودية فى فلسطين

ثانيا : التمهيد لهذه الدولة بشراء الاراضى ، وانشـاء المستعمرات اليهودية

ثالثا : أن يهب الانجليـز أراضى حـكومة فلسطين الى اليهود

رابعا : تشجيع الهجرة ليتدفق اليهود على فلسطين ، ومنع اقامة حياة نيابية حتى يصبح اليهود أكثرية فيها

خامسا : تدريب شباب اليهود على الاعمال العسكرية ، والحاقهم بالجيش البريطانى كمحاربين كى يكونوا قادرين على صد أى اعتداء عربى

سادسا : تعيين لجان تحقيق متعاقبـــة لتهدئة نفوس العرب ، واعلان بيانات ومشاريع ، واصدار كتـاب أبيض لكل لجنة يكون بعضها مانعا لهجرة اليهـــود بلا قيد ولا شرط ، كما يمنع بعضها الهجرة بعد مدة معينة ، ويحبذ بعضها تقسيم فلسطين بين العرب واليهـود ، وينوه عن تبادل السكان وغير ذلك من الاراء التى طفحت بها تقارير لجان التحقيق المختلفة وغيرها

وقصد بذلك كله تخدير العرب واعطاء الفرصةلليهود لتنفيذ مآربهم

***

ومما يؤلم النفوس حقا ، أن يكشف التاريخ بعد سنوات عدة عن حقيقة مرامى تصريح بلفور ونيات من وضعـوه ، فقد وضح أنه كان مهزلة لا تشرف من أبرموه ، ومأسـاة

تاريخية اقترفها رجال عظماء يهيمنون على سياسة دولة عظيمة ، كان واجبهم الاول والاقدس صيانة تاريخ بلادهم من الشوائب

ان سياســة البريطانيــين كانت ترمى الى بسط سلطانهم على فلسطين ، آملين أن يستقروا فى بقعــة من الشرق الادنى ، تكون لهم مركزا استراتيجيا ممتــازا يسيطرون به عليه .. وقد دفعتهم شهوة الاستعمــار الى محاباة اليهود ، محاباة وصلت الى حد التنكيل بالعــرب كلما ثاروا ذيادا عن حرياتهــم وبلادهم ، فكان العسف والسجن والتقتيل نصيبهم .. بينما اليهود لم ينلهم شىء من عقوبة مهما أسرفوا فى اعتداءاتهم

***

استمرت الهجرة اليهودية المتفق عليها ، واستمر شراء الاراضى ، وازداد سلطان اليهود ، وحصنوا مستعمراتهم . ويظهر أن الاستعمار الانجليزى قد تخبط أخيرا فى سياسته نحو اليهود والعرب ، فتلكأ نوعا ما فى تنفيذ رغبات اليهود ، وظن هؤلاء أن هناك فكرة تقسيــم فلسطين بينهم وبين العرب ، فى حين أنهم يريدون اغتصاب البــلاد كلها .. فثاروا على الانجليز أنفسهم ، وأذاقوهم العذاب ، واختطفوا من رجالهم من اختطفوا ، وجلدوا من ضباطهم من جلدوا ، وقتلوا من قتلوا ، ونسفوا من الدوز والمركبــات وقاطرات السكك الحديدية ما نسفوا ، حتى أصبح مركز الانجليــز هناك لايطاق

وقد وصل أمر اليهود فى بطشهم بالانجليز ، أن يهوديين أتيا الى مصر ، وقتلا فى القــاهرة اللورد (موين) وزير الدولة البريطانى فى الشرق الاوسط ، فى نوفمبــر سنة ١٩٤٤ أمام داره .. ولولا مرور أحــد رجال البوليس

المصرى مصادفة ومطاردته للقاتلين والقبض عليهما ، لرفع الانجليز عقيرتهم ، واتهموا مصر بارتكاب هذا الجرم الفظيع وطالبوا بالتعويضات ، لكنهم لم يحركوا ساكنا ضد اليهود بعد القبض على القاتلين ، والحكم عليهما بالاعدام من محكمة مصرية

كذلك فعل اليهود بالكونت (برنادوت) السويدى الذى ندبته هيئة الامم لايجاد حل لمشكلة فلسطين ، وكان ذنبه أن اقترح تقسيمها بين العرب واليهود ، تقسيما لم يرض أطماع اليهود ، فاغتاله هؤلاء فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ، ولم تعق هذه الجناية البشعة تنفيذ مآرب اليهود

***

من هذا يتضح أن بريطانيا ـ صاحبة تصريح بلفور ـ عجزت عن الاحتفاظ بهيبتها ، بعد أن قويت شوكة اليهود ، وآزرتهم الولايات المتحدة الامريكية ، واحتضن (ترومان) الصهيونية وباركها .. وعندئذ سلمت بريطانيا بما ليس منه بد .. وطوت ثوب الانتداب عن فلسطين نهائيا ، وسلمتها لا الى أهليها العرب الذين كانت بلادهم « أمانة مقدسة فى عنق المدنية » وانما الى الصهيونيين الغاصبين .. وخرج المستعمرون من تلك الديار غير مشكورين من أحد

معاهدة فرساى

لم يقف تأثير الماسونية عند الاحداث المختلفة التى وقعت منذ قيام الثورة الفرنسية الكبرى وما أعقبها من ثورات الى نهاية القرن التاسع عشر ، بل كان لها الاثر البالغ فى أكبر حادث وقع فى أوائل القرن العشرين ، وهو الحرب العالمية الاولى التى شبت سنة ١٩١٤ كما قلنا ،

واختتمت بمعاهدة فرساى .. تلك المعاهدة التى أعدت قبل ابرامها بوقت طويل ، عن طريق مفاوضات خافية على الرأى العام ، أجريت فى مؤتمرات ماسونية ، كالمؤتمر السرى المشهور الذى عقدته الجمعيات السرية للحلفاء والدول المحايدة بمحفل الشرق الاعظم بباريس فى ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ يونية سنة ١٩١٧ – أى قبل وعد بلفور بأربعة أشهر – والذى يمكن الاطلاع على نص محاضره فى الكتيب الذى نشره الكونت دى بونسان بعنوان « جمعية أمم دولية ماسونية » .. ويتجلى لقارىء هذا المستند أن الخطط التى وضعتها الماسونية سنة ١٩١٧ قد حققت أغراضها كاملة تقريبا

والعمل الجدى للماسونية يتم بتدخل صامت خفى ، والماسونى يخفى دائما حقيقته وبذلك يمكنه التهرب من كل مسئولية .. وكلمات الاخ الماسونى (رحيس) فى محفل الشرق الاعظم بفرنسا فى عام ١٩٢٨ جد واضحة ، ولها مغزاها فى هذا الموضوع ، اذ قال :

« بحافز من محفل الشرق الاعظم – كما أوضحت – علينا أن ندرس فى هياكلنا المحفوفة بالصمت والسكينة ، جميع المسائل المتعلقة بحياة المدن والامة والانسانية ، وان اخواننا سيزودون بمعلومات وافية ، وسوف لا يغادرون هذا المحفل الا وهم على علم تام ومجهزون للكفاح ، الا أنهم سيودعون فى محفلهم مسوحهم وصفاتهم .. وسينزلون الى المدن كمواطنين عاديين ، ولكنهم مشبعون بروحنا ، وسيقوم كل منهم بعمله فى بيئته المهنية ، وفى حزبه ، ونقابته ، بوحي ضميره ، ولكنى أعود فأكرر أنهم يستوحون فى ذلك تعليمات يتلقونها . وستكون النتيجة مثمرة ، اذ يتسرب النفوذ الماسوني رويداً رويداً فى كل مكان ،

وسيذهل العامة حين يرون النتائج المحتومة لهذه الروح ولهذا التماسك .. وتطفى هذه النتائج على اذهان العامة المذهولين صائحين : « فوق جموعنا بأسرها تجركنا قوة لايمكن انكارها .. هذه القوة هى الماسونية ، القوة الروحية » (١)

ولقد أتت معاهدة فرساى متفقة مع أغلب الاسس التى وضعها هذا المؤتمر اليهودى .. أتت شديدة الوطأة ، باهظة التكاليف على المانيا وحليفاتها ، بل على فرنسا نفسها ، وتبخرت مبادىء الدكتور ولسون الاربعة عشر ؛ كما ذابت الوعود البراقة التى طالما أعلنها لويد جورج وكليمنصو . وهذا يدل على أن قوة الصهيونية ، كانت أعظم من مبادىء هذا الثالوث المكون من ولسون ولويد جورج وكليمنصو .. ذلك الذى أدار الحرب العالمية الاولى ، مع أن الدكتور ولسون لم ينجح فى انهاء الحرب الا بفضل مبادئه الاربعة عشر ، وهى مبادىء الانسانية ، وحق كل أمة فى تقرير مصيرها ، وقد أعلنها ابان الحرب للعالم عامة ، وللألمان بصفة خاصة ، فسرت بينهم وتغلغلت فى نفوسهم واعتقدوا صحتها ، وآمن بها الشعب الالمانى والجيش الالمانى وقت أن كان قويا يحتل أراضى فرنسا وغيرها ، ورجع الى بلاده محتفظا بكرامته ، يطالب هو وقائده الاكبر هندنبرج بانقاذ الانسانية حتى لايكون هناك غالب ومغلوب .. ولكن القوة اليهودية سرعان ما اسقطت تلك المبادىء كما أسقطت الدكتور ولسون نفسه ،واسقطت معها وعود لويد جورج وكليمنصو .

كانت المساعى فى وضع معاهدة فرساى محوطة

---

(١) راجع رسالة بروتوكولات التى من ذكرها

بتدبيرات الصهيونيين ، الذين ساعدتهم انجلترا فى ذلك الوقت .. فقد أرسلت اللورد ريدنج اليهودى سفيرا لها ومندوبا فوق العادة الى الولايات المتحدة الامريكية للاتفاق مع اليهود المحيطين بالرئيس ولسون على المسائل السياسية والاقتصادية الدقيقة ، التى نجمت فى الاشهر الاخيرة عن الحرب ، ولتحديد مبادىء الصلح فى هذه المسائل

وهؤلاء اليهود الامريكيون الاقوياء المحيطون بالرئيس ولسون كانوا : السفير مورجانتو ، والبنكير الكبير يعقوب شيف ، والقاضى برانديز ، والاستاذ فرانكفورتر

ولا يخفى أن ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب الاولى ، وفرار الامبراطور غليوم الثانى الى هولاندا ، وقعت فى أيدى اليهود . ودليلنا على ذلك أن وزير خارجيتها «هاس» ووزير ماليتها « شيفر » ووزير داخليتها « بروس » كانوا يهودا .. كذلك بروسيا ــ وهى القسم الاكبر من ألمانيا ــ كان كل وزرائها من اليهود . وكان « كورت اسنر » اليهودى حاكما على بافاريا . وحكم « بيلاكوهين » اليهودى هنغاريا ، ولم يدم حكمه طويلا نظرا لطغيانه الفظيع ، كما كان لليهود أكبر النفوذ فى النمسا موطن هتلر

ومما يثير الدهشة ، أن الوفد الالمانى الذى ذهب الى باريس فى مفاوضات الصلح كان كل أعضائه من اليهود .. ومنهم « أوسكار أوبنهينر » ، و « ماركس واربورج » .. وهذا الاخير أخ لصهر البنكير الامريكى اليهودى « يعقوب شيف » سالف الذكر

ورأى الالمان من وطأة مشروع معاهدة فرساى وشدتها ، وتتجهيه كليمنصو وحلفائه ما أدهشهم وأذهلهم . وحاول مندوبوهم أن يتكلموا ، ويتناقشوا قبل توقيع المعاهدة ،

لكن كليمنصو قال لهم : « انكم جئتم هنـــا للتوقيع لا للنقاش » فاضطروا الى توقيعها وهم صاغرون

وبالجملة فان معاهدة فرساى لم تــكن فى صـــالح المنتصرين ولا المهزومين .. وانما كانت ايحاءيهوديا صرفا، يحقق مصالح المصارف اليهودية الكبرى وشركات الاحتكار العالمية ـ تلك التى أثرت من الحرب ـ ومصالح المكتنزين للذهب فى العالم

وقد اعترف « اسرائيل زانجويل » الزعيم الصهيونى المعروف ، أن عصبة الامم كانت ايحاء يهوديا صرفا .. وقال « لوسيان وونف » مندوب الجمعيات اليهودية الذى حضر اجتماع مجلس عصبة الامم فى جنيف :

« ان هذه العصبة تتفق قراراتها مع أنبل التقاليـــد اليهودية وأقدسها ، وأن واجب اليهود المقدس أن يؤيدوا هذه العصبة بجميع الوسائل الممكنة » (١)

***

كل هذا أذهل الالمان ، واوجد فى نفوســـهم حسرة ، وغرس فيهم الحقد وفكرة الانتقام ، فصمموا على الكفاح ، والاخذ بالثأر عند سنوح الفرصة ..

ولا ريب أن هذا هو السبب فى ظهور « هتلر » ، بل هو السبب فى نشوب الحرب العالمية الثانية

كماأن معاهدة فرساى سببت انقسام أوربا الى ثـــلاث كتل مسيحية متعادية : حلفاء الغرب ، ثم ألمانيا ومعها أوربا الوسطى ، ثم روسيا الشيوعية . وهذا ما تبتغيه قرارات حكماء صهيون والماسونية لتحطيم العالم المسيحى ، وبالتالى لتحطيم العالم كله ، حتى يقتتل المسيحيون ، ويقضى بعضهم

(١) انظر مقدمة كتاب قــرارات حكماء صهيون بالفرنسية طبعـــة برنار جراسيه لسنة ١٩٣٧

على بعض ، ويسود اليهود .. وبهذا ظفرت الصهيونية بمغانم كثيرة ، ووطدت سلطانها الخفى ، وأحكمت سيطرتها الاقتصادية على العالم

وان من يمعن النظر فى معاهدة فرساى وشروطها وملحقاتها ، وما خلفته من مآس واضطراب عالمى - سواء فى السياسة او الاقتصاد او الاجتماع - لا يشك فى أنها كانت وحيا يهوديا صهيونيا ، ألقى على رجال الحكم فى انجلترا وفى الولايات المتحدة الامريكية .. وهى وان كانت خفيفة الوطأة نوعا ما على الانجليز والولايات المتحدة الامريكية بسبب مساعدتها للصهيونيين - الا انها جرت على الشعوب الاخرى ، وخاصة المانيا والنمسا وفرنسا ، الضنك والفقر والاضطراب . وذلك كله كان السبب الرئيسى فى قيام « هتلر » واتباعه للاخذ بالثأر من هذا العالم الظالم ، الذى قاده الصهيونيون ، واوقعوا كثيرا من أممه فى هوة سحيقة

وكان طبيعيا أن يشيد الصهيونيون بهذه المعاهدة ، ويعلنوا فى مؤلفاتهم وصحفهم أنها معاهدة عدل ، تتفق والفضيلة اليهودية والخلق اليهودى ، وأن اليهود جميعا يجب عليهم أن يؤيدوها كل التأييد ، وما ذلك كله الا لانها وما تبعها من معاهدات كانت ترمى الى خلق مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية متشعبة ، تؤدى الى تسخير العالم لخدمة الماليين اليهود والمصارف اليهودية ، والمصانع اليهودية ، والمؤسسات اليهودية ، وتساعد اليهود على تحقيق أهدافهم السياسية ، وان من يقارن بين الفقر الذى عم البلاد المسيحية والاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى وبين الثراء العريض الذى حازه اليهود من يوم معاهدة فرساى الى الان ، يعلم حق العلم كيف كانت معاهدة

فرساى وما تبعها من معاهدات ، نكبة على العالم أجمع ٠٠ كما كانت اكبر غنيمة للصهيونية نفذت بها ما شاءت مما تضمره نحو الانسانية عامة ، والمسيحية بنوع خاص ٠٠ وسيبقى العالم فى هذه الاضطرابات والحروب ما بقى مسيحيو العرب والشرق خاضعين فى عمى لاساليب الصهيونية العلنية والخفية ، ومؤسساتها الاقتصادية والادبية ، والانسانية كما يزعمون

ولقد نشرت جريدة (المورننج بوست) اليومية – وهى من كبريات صحف بريطانيا – فصولا عدة عن قرارات حكماء صهيون ، وعن وثائق أخرى اكتشفت ، ونوهت بأن المسئولية واقعة على اليهود ، وهى مسئولية القلق العالمى العام ٠٠ ذلك القلق الذى سبب استمرار الصعوبات السياسية والاقتصادية الناجمة عن الحرب

ومن المؤسف أن الترجمة الروسية لقرارات حكماء صهيون لم يعن بنقلها الى اللغات الاخرى الا بعد حين ، وأن بعض النسخ الروسية التى حفظت فى مكتبات المتحف البريطانى فى لندن لم يعرف الناس عنها شيئا ، الى أن انتشرت ترجمة هذه القرارات ، وعرفها كثير من الناس بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، فأذهلت من قرءوها

ونشرت جريدة « التيمس » اللندنية الكبيرة فى ٨ مايو سنة ١٩٢٠ مقالا عن الخطر اليهودى بعنوان « رسالة مقلقة، دعوة الى التحقيق » بمناسبة نشر ترجمة قرارات حكماء صهيون قالت فيه :

« لا يمكن أن يعجزأحد عنأن يكتشف روسيا السوفيتية فى البروتوكولات (أى قرارات حكماء صهيون) كما أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن القوميسيرين السوفييت يكادون يكونون جميعا من اليهود ٠٠ » الى أن قالت : « من أين

يتأتى الاستخفاف بملاحظة نبوءة القرارات ، وقد أنجز جانب منها ، على حين أن جوانب منها فى طريق الانجاز ؟ هل كنا نقاتل طوال هذه السنين الفاجعة لننسف ونستأصل التنظيم السرى لسيطرة ألمانيا على العالم ، لغير هـدف الا لنجد تحته خطرا آخر أعظم ، لانه أشد خفاء ، هل تخلصنا بتوتير كل عرق فى جسم وطننا من « سلم ألمانى » لغير شىء الا لنتورط فى « سلم يهودى » (١)

هذا عرض موجز ينبئك بما تبيته الصهيونية ، وقـد نجحت نجاحا كبيرا ، وأوجدت فى أوربا تكتلات متعادية ، تبغى الصهيونية من ورائها اكمال ما قصـدته من تحقيق رغباتها الجهنمية

ظهور هتلر والنازية

لابد لنا لاستكمال البحث من ذكر طـرف من أعمال « هتلر » حتى هيأ ظروف الحرب العالمية الثانية ومعداتها .

أهين الالمان وافتقروا وتمزقوا ، وضاعت مستعمراتهم وثرواتهم ، فعملوا فى صمت وحقد لاسـترداد شرفهم ومكانتهم ، بعد أن تبين لهم كذب الوعود التى أعلنهـا ولسون والحلفاء ، فكونوا جمعيات ، منها جمعية انضم اليها « هتلر » ، وكان لهذا الثائر مجاله فى القاء الخطب وتوزيع النشرات الى أن تكون الحزب النازى — أى الحزب الوطنى الاشتراكى — بزعامته . وكان فى مقدمة أعماله القضاء على الصهيونية ، وطرد اليهود من بلاده ، وآهانتهم وتعذيبهم وتجريدهم من أموالهم وجنسيتهم الالمانية

وقد يقف المرء حائرا امام تلك القسوة التى قام بهـا

(١) انظر كتاب الخطر اليهودى للسيد محمد خليفة التونسى

هتلر واعوانه ضد اليهود ، اذا علم أن هتلر لم يكن من المتدينين المتزمتين ولا من المتعصبين للمسيحية ولا من حماتها .. فما السبب فى كراهيته لليهود ، ومطاردته لهم بقسوة بالغة ؟

السبب الراسخ أنه آمن هو وقومه بمبدأ عبادة الوطن الجرمانى ، ورأى أن اليهود قد نفذوا فعلا قرارات حكمائهم وخطط ماسونيتهم ، وثبت له ولامته ان اليهود جحدوا هذا الوطن الالمانى . وذكر فى كتابه « كفاحى » انهم كانوا شرا على الوطن ، يعملون بأساليب كثيرة ، ووسائل قاسية تهد من كيانه ، وأن من أعمالهم أنهم استنزفوا أموال الشعب بالربا الفاحش ، ومنها انهم لم يكونوا فى المعاملات من الذين يطمأن اليهم ، ومنها أنهم أفسدوا التعليم فى دور العلم ، كما أفسدوا الفنون جميعا ، واحتكروا أو كادوا يحتكرون المصارف المالية ، والبورصات ، وبيوت السمسرة ، والشركات التجارية والصناعية ، ودور النشر والصحف والسينما ، وغير ذلك من الهيئات التى تحتكر المال وتختزنه

ومنها أن اليهودى يأتى الى المانيا غريبا فقيرا جائعا ، ثم لا يلبث بوسائل شاذة أن يصبح بعد سنوات قليلة من سراة القوم واغنيائهم

ومنهـا وهو المهم تدخل اليهود فى سياسـة الدولة وتوجيهها .. ومنها وهو الاهم لديه أن كان من اليهود عدد كبـير احترف التجسس ضـد الوطن ولمصـلحة الاجانب

لم لا يكون الاعتقاد الجازم من هتلر واعوانه دليـلا قاطعا على أنه فطن الى خطر الصهيونية ، وفطن الى تاريخ الماسونية وبرامجها الهدامة ورغبتها فى تقويض العالم ؟!

.. وهو وان لم يكن من المتعصبين للدين الا انه فكر بعقلية المواطن المخلص ، والانسان الذى يريد انقاذ وطنه من الشرور التى حاقت به وبخاصة بعد أن رأى أوربا المسيحية متعادية ، منقسمة على نفسها الى معسكرات ثلاثة : أولها الشيوعية الروسية التى خلقها اليهود ، وثانيها الرأسمالية الغربية التى يهيمن عليها اليهود ، وثالثها أوربا الوسطى المغلوبة على أمرها

وكان لليهود فى نظره سياسات مختلفة ، تبعا لاختلاف إمزجة الامم وثقافاتها ، ولكن غايتها واحدة .. ففى الشرق شيوعية ، وفى الغرب رأسمالية ، وفى الوسط تفتيت وتخريب وتجسس ، دفع الالمان الى نظام النازية

***

وهكذا تخاصم المسيحيون وتحاربوا واقتتلوا .. وبفضل الدهاء الماسونى تحالفت الشيوعية الشرقية مع الرأسمالية الغربية . وقامت الحرب الثانية وعرض هتلر على الغرب أن يتضامن معه لدفع خطر الشيوعية فرفض الغرب عرضه .. وكانت النتيجة المحتومة استمرار الحرب الثانية ضد المحور (المانيا وايطاليا واليابان) الذى قام لمحاربة الشيوعية .. ثم انهزم المحور ، واليوم يندم حلفاء الغرب على ما اظهروا من ود وتحالف مع الشيوعية ، وهم يحصدون الآن ما زرعوه

وما دام هذا البله فى الساسة المسيحيين مستمرا ، فسيظل العالم المسيحى مرعى خصيبا ، تعمل فيه الصهيونية ، وتنفذ مآربها التى ستنتهى لا محالة بانحلال العالم وسيادة اليهود

ومن غريب المشاهدات التى تحير العقول ، ان

الصهيونية ، التى كانت السبب فى ثورة روسيا على القياصرة ، والتى تتحكم الآن فى الشيوعية التى ألغت المسيحية فى تلك البلاد ونشرت الالحاد فى ربوعها .. هذه الصهيونية هى الآن صديقة الغرب ، وفيه من أصحاب الملايين والعلماء الصهيونيين ، والفنانين والخبراء العدد الوفير .. وفيه من الوزراء والنواب وذوى النفوذ ما لا يحصره عد .. وفيه الكثير من السكرتيرين فى هيئة الامم المتحدة ولجانها المتعددة ، كما كانوا فى عصبة الامم القديمة . كل هذا يوجب الدهشة والحيرة ويشعر بخطر على الغرب شديد

واشد من هذا كله وأنكى ، كثرة الاساتذة اليهود فى الجامعات والمدارس فى الغرب ، واشتراك العلماء اليهود فى صناعة القنابل الذرية والهيدروجينية وأسرارها .. وهم الآن على علم بدقائق هذه الصناعة ومراكزها التى كان يجب اخفاؤها على غير المسيحيين ، فأسرار هذه الصناعة التى يتوقف عليها مصير الانسانية أصبحت فى ايديهم وفى أمانتهم ، وليقل لنا رجال الغرب المسيحيون كم من الصهيونيين افشوا السر ؟.. وكم من اليهود ثبتت عليهم تهمة التجسس لمصلحة الاعداء ؟

ان الصحف ووكالات الانباء تطالعنا من وقت لآخر بأسماء الجواسيس الذين خانوا الغرب والشرق ، وكشفوا عن أسرار القنابل الذرية والهيدروجينية وأسرار الخطط والاستحكامات العسكرية ، فهل بحث المتخاصمون ، بين هؤلاء الجواسيس عن عدد اليهود الذين لا يبغون سوى تحطيم العالم كما أسلفنا ، وليست الوطنية عندهم سوى دينهم وعنصرهم ؟ .. هل يعتقد رجال السياسة أن اليهودى الامريكى مواطن امريكى حقا ؟ او انه يهودى قبل

كل شيء ، دينا وعنصرا ؟ ومثل هذا يقال عن اليهودى فى بريطانيا وفرنسا وغيرهما

انى أترك الجواب لضمير كل مسيحى مدرك لحقائق الاشياء

ويحسن بنا فى هذا المقام اتماما للبحث ان نورد نصوصا قاطعة ، أثبتها يهودى ، ذو ضمير وفطنة ، تبرأ من الصهيونية اسمه «الفريد ليلينتال» فى كتاب وضعه بعنوان (ثمن اسرائيل) جاء فيه ما يأتى :

« قال رئيس الوكالة اليهودية بيرل لوكر (وهو مواطن امريكى) بكل تبجح وصراحة ، تبرز سياسة الصهيونية واضحة جلية :

(.. ان راية اسرائيل هى رايتنا .. ومن واجبنا ان نتألم من أجل هذه الراية .. وعلينا أن ننظر الى هذه الراية الصهيونية التى بدأت تخفق فوق دولة اسرائيل ؛ وكأنها تخفق فوق رأس كل منا .. وان كل آمالنا أن نراها تخفق فوق رأس جميع الشعب اليهودى . وذلك بعد أن ننتهى من جمع المشتتين من اليهود ضمن هذه الدولة)

وفى اجتماع وزارى عقد يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ قال بن غوريون رئيس حكومة اسرائيل ما يأتى :

(ان اجيالنا السالفة لم تتحمل الاضطهاد والآلام لكى ترى ثمرة جهادنا التى تنحصر فى جمع ٨٠٠،٠٠٠ يهودى فقط ضمن اسرائيل .. ان واجبنا يحتم علينا ان ننقذ جميع اليهود الموجودين فى البلدان العربية والأوربية)

وقال بن غوريون رئيس حكومة اسرائيل المذكور فى تصريح رسمى له عن اهداف الوطنية الصهيونية فى ٣١

يوليو سنة ١٩٤٩ عندما خطب فى حفل حضره فريق من اليهود الأمريكيين ، كانوا يزورون اسرائيل :

(.. ان من واجب يهود العالم ان يعـودوا الى وطنهم الاول . ومع اننا حققناحلمنا الاول فى اقامة دولة يهودية، فنحن ما زلنا فى أول الطريق ففى اسرائيل الآن حـوالى مليون يهودى فقط بينما تقيم أغلبية الشـعب اليهودى خارج دولتنا .. وهدفنا الآن ينحصر فى حث جميع يهود العالم على العودة الى اسرائيل .. ولهذا فنحن نتوجه الى الآباء اليهود كى يساعدونا فى ارسال أبنائهم وبناتهم الى هذه الأرض المقدسة .. وحتى فيما لو امتنع هؤلاء عن مسـاعدتنا فسنعمل على استقدام الشـبيبة اليهـودية الناشئة)

وبعد انتخابات سنة ١٩٤٩ قال بن غـوريون المذكور (علينا أن ننقذ ما بقى من شعب اسرائيل مشتتا فى أنحاء العالم ، وعلينــا كذلك أن ننقذ ممتلكاتهم . فبغير هذين الامرين لا يمكننا اعادة بناء هذه الدولة (١)

***

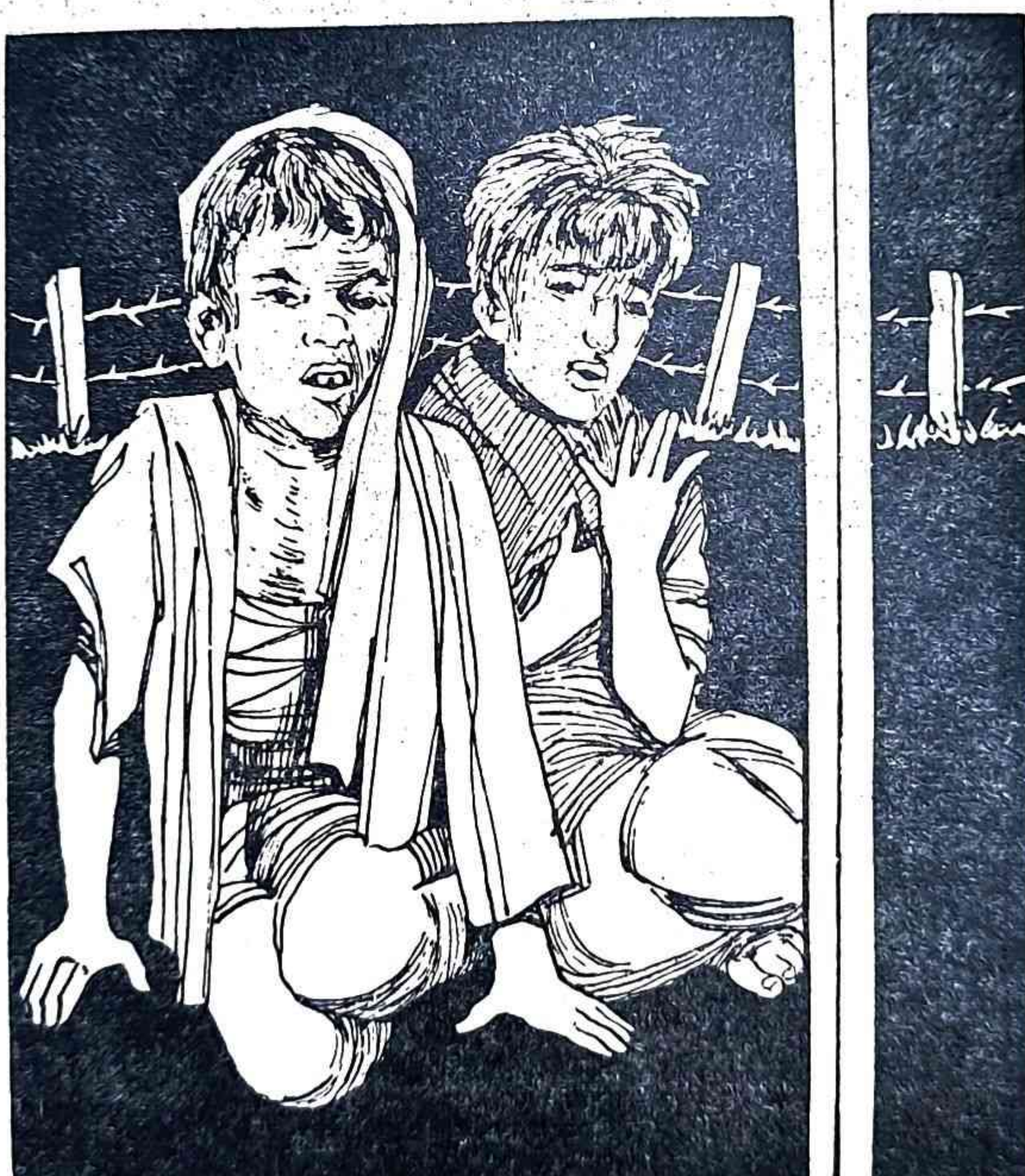
يفهم من كل ما تقدم بلا كبير عناء أن الصهيونية تعتبر اليهود المقيمين خارج اسرائيل ــ سواء فى أوربا أو أمريكا أو غيرهما ــ طوائف مشتتين فى المنفى ، وانهم مواطنـون اسرائيليون قبل كل شىء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولــة الجـديدة مهما تكن جنسيتهم الرسـمية التى يسبغونها على انفسهم .. وفى هذا القدر كفاية

---

(١) هذه النصوص منقولة عن كتاب « ثمن اسرائيل » لالفريد ليلينتال الامريكى اليهودى

الفصل الرابع

مأساة فلسطين



أسبابٌ ونتائج

اذا اصاب الانسان فى شئونه الخاصة بلاء ، اخذ يبحث أسبابه ، ويتدارس نتائجه ، ويحاسب نفسه على مافرط منها ، ويندم على أن فعل ما وصل به الى هـذا البلاء ، ويقول : ليتنى لم أقترف ما أوقعنى فى الخطل ، ونأى بى عن النجاح والتوفيق ..

هذا شأن الفرد ، فما بالك بالأمة وهى مجمـوعة من الأفراد .. بل هى مجموعة من الاجيال ، ومن الذكريات ومن التاريخ ، ومن الحضارة التى تحرص الانسانية على الاحتفاظ بها ، لأن فيها خيرا للبشر ونفعا لبنى الانسان

وما بالك بأمة عزيزة على كل عربى ، عزيزة على كل مسلم ، لانها قلب ، وكل بلد عربى جسـد .. ولان فيها من التراث الدينى والتاريخى ما يجب ان نصونه ونحميه من كل عدوان وأذى

تلك هى فلسطين ، وقد حل بها البلاء الذى نحس به جميعا ، ويحز فى نفوسنا ويقض مضاجعنا .. حل بها بلاء مضن عنيف ، اريد به فناؤها ، وليس بعد الفناء بلاء

ومن الواجب علينا ان ندرس الأسباب التى جرت على فلسطين هـذا البلاء ، حتى نتعرف الأمور ، ونقف على الحقائق جلية ، لتكون درسا حيا لكل فرد ولكل أمة ولكل

شعب فى الحاضر والمستقبل .. ان الحياة عبر وعظات ، فاذا لم تحركنا هذه العظات والعبر الى ما فيه خيرنا كنا غير جديرين بحياة كريمة

وارى لزاما على ـ وقد اهتممت بقضية فلسطين مدى ربع قرن ـ أن أعرض الحقائق التى عرفتها عن خبرة ، ولمستها بعد بحث ودراسة وتمحيص

جامعة الدول العربية :

سكن أهل فلسطين بلدهم من بدء التاريخ ، ومن قبل ظهور الاسلام والمسيحية وقد أرادت الصهيونية ان تعبث بوجودهم فى هذه الأرض ، فكان تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .. وأراد أهل البلاد العربية أن يصونوها من هذا العبث ، وان يكونوا يدا واحدة فى دفع البلاء ؛ ودعاهم هذا الى تكوين جامعة الدول العربية ، وتم التوقيع على بروتوكولات الاسكندرية فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وتم التوقيع على ميثاق الجامعة فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ، وتعاهد المتعاقدون فى ميثاق الجامعة ان يتضامنوا فى الحفاظ على أقطارهم ، وعلى حرياتهم واستقلالهم

ودعما لهذه الغاية النبيلة ، اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية فى قصر « زهراء انشاص » فى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ ، وصدر فى هذا الاجتماع قرار اجماعى ملخصه « ان قضية فلسطين ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، وانما هى قضية العرب جميعا ، وان فلسطين العربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها »

وتوالت الاحداث وصدر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ مع الاسف قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود .. فثار عرب فلسطين احتجاجا ،

واشــــتدت ثورتهم ، وقدموا اموالهم وارواحهم ، فـــداء لحرية وطنهم

وفى ١٢ ابريل ســـنة ١٩٤٨ وثورة فلســـطين مستعرة الأوار ، وفد رؤساء الدول العــربية الى مصر لحضــور اجتماع اللجنة السياسية ، ووقعوا جميعا قرارا نصه :

« اذا دخلت جيوش عربية فلسطين لانقاذها ، فيجب أن يفهم صراحة انه يجب النظر الى هــذا التدبير كحــل مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال او التجزئة لفلسطين .. وأنه بعد اتمام تحريرها تسلم الى اصحابها ليحكموها كما يريدون »

وفى ١٣ أبريل سنة ١٩٤٨ أدلى الملك عبدالله فى عمــان فى وفــد من لاجئى فلســـطين ، بتصريح نشرته الصحف اليومية جاء فيه :

« وأشهدكم الله اننى لا أطمع فى فلسطين ، ولا أبغى ضم جزء منها الى بلادى ، لأننى سأدخلها مع بقيــة الجيوش العربية ، لتحرير تلك البلاد العربية العزيزة . وبعد أن يتم لنـــا ذلك ســـنترك لكم مهمة تقرير ما ترونه ملائمـــا ومناســـبا .. فاذا وجـــدتم أن مصلحتكم تقضى عليــكم بالانضمام الينا ، فاننا نرحب بذلك كل الترحيب .. وانى اطمئنكم كل الاطمئنان على ذلك ، اذ لا يوجد اردنى واحد تظله بلادى يرضى باغتصاب فلسطين بعد تحريرها »

وفى ١٤ ابريل سنة ١٩٤٨ علق الملك عبد الله على البيان الذى صدر فى اجتماع زهراء انشاص بقوله :

« ليس الوقت وقت فتح او طمع لاية دولة من دول الجامعة ، ولكنه وقت جهاد وصبر وتنظيم .. واذا ادخلت الدول العربية جيوشها فلسطين فلا شك ان هذا لا يكون

الا باجماع منها وتحمل للمسئوليات كلها .. وبعد انقاذ هذه البلاد ، ففلسطين هى فلسطين .. ولأهلها الكلمة الاخيرة فيما يعود عليها بلا اكراه ولا اجبار »

حرب فلسطين :

استفحل شأن الصهيونية فى فلسطين ، واعتدوا على حقوق العرب وأمنهم وسلامتهم .. فدفع هؤلاء العدوان بالقوة ، وقررت الحكومات العربية الوقوف بجانب الفلسطينيين فى الذود عن حريتهم ، وفى حمايتهم من طغيان الصهيونية ، التى تريد طرد هذا الشعب العربى من دياره التى سكنها وحماها منذ آلاف السنين

وقضت بعض الظروف والملابسات ، أن تعين الحكومات العربية الملك عبدالله قائدا أعلى للجيوش العربية ..

وأود أن أنبه الى أن نكبة فلسطين كانت لأسباب وعوامل كثيرة، لاكها الناس فى الأندية وسطرتها الصحف فى أخبارها، أهمها :

أولا : تواطؤ بعض الدول — وعلى رأسها انجلترا وأمريكا — للقضاء على فلسطين واعطائها لليهود ، ومساعدتهم بالمال والسلاح والذخيرة وهذا العمل تقع مسئوليته على تلك الدول، وخاصة انجلترا ، التى عبثت بوصايتها على فلسطين ، ثم امريكا التى ساعدت اليهود بالمال والسلاح

ثانيا : ما قام فى الأذهان من ان الدول العربية كانت فى سبات عميق ، ولم تكن مستعدة لخوض غمار هذه الحرب والدفاع عن فلسطين

ثالثا : ما عرف من خيانات فى شراء أسلحة فاسدة ، اوقعت البلاد العربية فى ورطة كبرى

رابعا : اختيار الملك عبد الله قائدا اعلى للجيوش

العربية .. واعتقادى أن هذا الاختيار كان اكبر نكبة على فلسطين ، وكان خطأ جسيما لا يغتفر وقعت فيه الحكومات العربية .. لا لان الملك عبد الله أساء الى الوكالة التى أعطيت له ، وانما لأن الاردن كان محتلا بالانجليز ، وكان قائد الجيش فيه «جلوب» الانجليزى .. وما كان فى مكنة الملك عبدالله أن يعارض تصرفات هذا القائد وانجلترا تحتل بلاده وتساعدها ماديا لتحتفظ بكيانها الاقتصادى .. وكل هذه الظروف كانت تحتم على الدول العربية ألا تجعل القيادة العليا للانجليز باسم الأردن ، وهى تعلم ما ينجم من مآس وأضرار باعطاء انجلترا قيادة جيوش تحارب اليهود الذين تحتضنهم هى وتدافع عنهم .. ان هذا هو أفظع ما يكون فى تصرفات السياسة العربية فى ذلك الحين

وان من يتتبع الحوادث فى حرب فلسطين يخرج منها بنتيجتين :

احداهما ــ أن بريطانيا عبثت بأمانة الوصاية على فلسطين ، وسلمتها لغير أهليها

والأخرى ــ وهى اشد ايلاما ، أن قوما من العرب ظاهروا هذه السياسة ، جهلا ، أو جريا وراء مغانم الدنيا التى لا يدرون متى يودعونها الى حياة اخرى ، لا يغنى عنها مال ولا جاه ولا سلطان

وبيان ذلك :

أولا ــ ترك الانجليز فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وكان الواجب أن يردوها الى أهلها العرب . ولكنهم لم يفعلوا ، وسلموا مدينة « حيفا » الى اليهود .. وأراد عرب حيفا ان يدافعوا عنها ، واستنجدوا بقوة اردنية كانت تعسكر حولها ، ولكنها لم تحرك ساكنا

ثانيا ـ كان الجيش الأردنى اقرب الجيوش العربية الى مدينة القدس ، وكان من الطبيعى ان يزحف اليها يوم دخلت الجيوش العربية فلسطين فى ١٥ مايو ، ولكنه لم يفعل .. وظل أربعة أيام لا يبدى حراكا ، بينما كان اليهود يهاجمونها بقوة حتى استولوا على احيائها الجـــديدة وكادوا يستولون على أحيائها القديمة لولا دفاع المجاهدين الفلسطينيين ، ولولا ان الكولونيل الاردنى عبد الله التل أخذ بأيديهم ـ مخالفا بذلك أوامر قائد الجيش الاردنى جلوب الانجليزى ـ واســتطاع المجاهدون الفلسطينيون والقائد عبدالله التل استرجاع القدس القديمة .. وحينذاك دخلها الجيش الأردنى دخول الظافرين

ثالثا ـ من مدن فلسطين المهمة مدينتا « اللــــد » و « الرملة » وبهما أكبر مطار في فلسطين ، وهو من أكبر مطارات الشرق . واللد ملتقى سكك حديد فلسطين وخط سكة حديد الحجاز . وكان الجيش الأردنى فى هذا الوقت الذى كانت فيه الحرب دائرة بين العرب واليهود يحتل هذه المنطقة الاستراتيجية الحيوية ، ولكن قائده الانجليزى جلوب أمر بتجريد قوات الجهاد المقدس فيها وكذا سكانها العرب من أسلحتهم ، ثم أمر بانسحاب الجيش الاردنى ؛ فاحتلها اليهود دون مقاومة

وفى هذه الفترة كان الجيش المصرى يزحف من الجنوب الى الشمال معتمدا على معـونة الجيش الاردنى فى اللد والرملة ، وكان الجيش العراقى يزحف من الشمال الى الجنوب . فلما انسحب الجيش الاردنى انكشف جناح الجيش المصرى ، واصبح معرضــا لــكارثة كبرى ، ولم يستطع الجيش العراقى ان يتقدم لمعونة الجيش المصرى واضطر لان ينسحب الى منطقة طولكرم

رابعا ــ تواترت الانباء أن العراقيين رغبوا فى نجدة الجيش المصرى ، وطلبوا أن تمر قواتهم عبر شرق الأردن لينجدوا قوات الفالوجا ، لكن القائد جلوب عارض فى هذا ، وبقيت القوات المصرية وحدها فى الميدان

خامسا ــ فى سنة ١٩٤٨ هاجمت القوة الأردنية المجاهدين الفلسطينيين فى منطقة رام الله ، وكانت تبغى الاستيلاء على مقر قيادتهم ولكنها لم تفلح.. فأعادت الكرة فى يناير سنة ١٩٤٩ وأرسلت قوة مصفحة استولت على المكان ، وشردت المجاهدين ، وأخذت أسلحتهم وذخائرهم

سادسا ــ قررت هيئة الامم المتحدة فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ تدويل مدينةالقدس ــ مع أن الكونت برنادوت كان يرى ضمها الى فلسطين العربية ــ وقد وافقت الحكومات العربية على تدويل القدس ، لأنها لمست تأهب اليهود للهجوم عليها ، وعدم امكان الاعتماد على حكومة شرق الاردن فى صدهم ، فخافت وقوع القدس فى أيدى اليهود وقبلت تدويلها . أما حكومة شرق الأردن فقد عارضت تدويل المدينة ، وشذت عن اجماع الحكومات العربية . وترمى حكومة شرق الاردن من وراء ذلك الى تسليم القدس الجديدة الى اليهود نهائيا والاعتراف بملكيتهم لها ، على أن تكون القدس القديمة ملكا خالصا لشرق الاردن . ولا ندرى كيف استساغت حكومة شرق الاردن فى ذلك العهد امتلاك القدس القديمة ، مع أن هذا لا يتفق مطلقا مع ما صرح به الملك عبدالله من انه لا يبغى منفعة شخصية أو فائدة ذاتية ، ولا يتفق مطلقا مع قرارات الجامعة العربية التى وافقت عليها حكومة شرق الاردن

سابعا ــ قامت بفلسطين حكومة عربية مستقلة، مؤيدة من الجمعية التأسيسية التى انعقدت فى مدينة غزة ،

وبادرت حكومات الجامعة العربية بالاعتراف بها الا حكومة شرق الأردن ، فانها لم تفعل ـ بضغط انجلترا طبعا ـ واصطنعت مؤتمر « أريحا » وساقت اليه من أهل فلسطين نفرا ممن كانوا تحت امرتها وسلطانها ، لا يملكون حرية القول والعمل ، ولا يستطيعون دفع الأذى عن انفسهم فى هذه المحنة القاسية التى نكبتهم بألوان من العوز والضيق والبؤس والبلاء . وفى هذا المؤتمر ، ومن هؤلاء النفر القليل المغلوب على أمره ، بويع الملك عبدالله على ما تحت يده من أرض فلسطين ، وانتهت هذه المأساة بأن باركها وأيدها مجلس وزراء شرق الأردن فى ذلك الحين ، اذ قرر الموافقة على ما ارتآه مؤتمر أريحا (من ضم ما بقى من فلسطين الى المملكة الاردنية) . وابلغ القرار الى جامعة الدول العربية ، فاحتجت على هذا القرار المنافى لجميع التعهدات التى تكونت بمقتضاها جامعة الدول العربية . والتى دخلت بمقتضاها الحرب لانقاذ فلسطين من خطر الصهيونية .. وقد وفت مصر بعهدها فلم تفكر فى ضم قطاع غزة الى أملاكها

ثامنا ـ لم تكتف حكومة شرق الأردن فى ذلك العهد بتسليم منطقة اللد والرملة ـ وتربو قراها على خمس عشرة قرية ـ الى اليهود ، بل سلمتهم بايعاز انجلترا بعد اتفاقية رودس فى ٣ ابريل سنة ١٩٤٩ مساحات كبيرة من منطقة نابلس ـ جنين ـ طولكرم . وفى منطقة بيت لحم ـ الخليل

ومما يوجب الأسى أن منطقة نابلس ـ جنين ـ طولكرم ، كان يحتلها الجيش العراقى . ومنطقة بيت لحم ـ الخليل ، كان يحتلها الجيش المصرى . وقد سلم الجيشان المصرى والعراقى هاتين المنطقتين الى الجيش الاردنى ـ اى الى

جلوب باشا ـ لاعتبارات عسكرية ، بعد أن تعهدت الحكومة الأردنية رسميا بالمحافظة على عروبة تلك المناطق

فهل وفت الحكومة الاردنية فى ذلك الزمن بحفاظها على عروبة هذه المناطق بتسليمها لليهود ؟!!

وان الانسان ليدرك خطورة هذا التسليم اذا عرف مدى انفساح رقعتها ، وما تحويه من مشروعات عمرانية وأرض زراعية خصبة

فمنطقة نابلس ـ جنين ـ طولكرم تبلغ مساحتها ٥٢٥ر٠٠٠ دونم ، أى حوالى ١٣٠ر٠٠٠ فدان ، وهى من اخصب أراضى فلسطين الزراعية ، وبها أكثر من سبعة آلاف فدان من البرتقال وغيره ، وكل سكانها من العرب ليس بينهم يهودى واحد ، ويسكنون قرى عربية أشهرها : أم الفحم ومندلة والمزار والجله ومقبيلة وعار وعرعرة وباقة الغربية وقلنسوة والطيبة والطيرة وكفر قاسم وجلجوليه

ويخترق هذه الأراضى العربية خط سكة حديد بين حيفا واللد وطوله لايقل عن أربعين كيلو مترا ، وطريق الحضيرة ـ العفولة ويحيط به مرتفعات لها قيمة حربية كبرى

ومنطقة بيت لحم ـ الخليل ، تشمل قرى : وادى فوكين ودير الشيخ والقبو والدير وعلين والجمعة وادنا وحيسان والولجة والحنية ونصف قرية بيت صفافا وأراضى قريتى بتير وطباليا

وسلمت الحكومة الاردنية فى هذه المنطقة أيضا معسكر العلمين وقسما من جبل المكبر المطل على القدس ، وقسما من خط سكة الحديد من محطة القدس الى محطة مرتوف

ـ القريبة من الرملة ـ وبهذا اصبح خط سكة الحديد بين القدس واللد ويافا فى حوزة اليهود

وسلمت خمسة وعشرين كيلو مترا من الاراضى الواقعة غربى شاطىء البحر الميت ،

وحاول الأهالى العرب مقاومة الاحتلال اليهودى فى هذه المناطق ، ولكن قوات الجيش الأردنى ارغمتهم على التسليم ، وسلط عليهم جلوب من وسائل البطش والجبروت ما جعلهم يذعنون صاغرين

تاسعا ـ أثار تسليم هذه المناطق شعور العرب فى فلسطين ، وأهاج نفوسهم ، فقامت مظاهرتان كبيرتان فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٩ احتجاجا ، على هذه المنكرات ، احداهما فى نابلس ، والاخرى فى طولكرم ، فبطش الجيش الأردنى ـ بأمر جلوب ـ بالمتظاهرين بطشا عنيفا وشتت مظاهرتهم ، ولكنه لم يخمد ما فى نفوسهم من نقمة وغضب على فعال جلوب باشا ، من تسليم بلاد عربية الى اليهود بدون قتال ..

عاشرا ـ مما يزيد فى الألم أن حكومة شرق الأردن أرادت ان تجعل من ضم ما ضمته اليها من فلسطين عملا شرعيا لا غبار عليه ، فكونت البرلمان الأردنى وأدخلت فيه أعضاء ليمثلوا عرب فلسطين .. وعرب فلسطين اذا تركوا أحرارا ، وبعدت عنهم أسباب الاكراه والعنف لا يرضون بمثل هذا الوضع الشائن ، الذى يمزق وطنهم شر ممزق ، ويجعله لقمة سائغة للمعتدين والمفرضين

والأسلوب الكريه الذى استعملته حكومة شرق الأردن ـ وقتذاك ـ فى حشد الناس لمؤتمر «أريحا» هو الأسلوب نفسه الذي اكره به عرب فلسطين فى اختيار أعضاء البرلمان الأردنى ، فعرب فلسطين مأخوذون بما حاق بهم

وبوطنهم وانسانيتهم من اضطهاد وتشريد وبؤس وامتهان وقد قامت مظاهرتان فى (نابلس) فى ٣١ مارس وأول ابريل سنة ١٩٥٠ نشرت الصحف انباءهما .. وذكرت ان المتظاهرين من وجهاء نابلس وشبانها المثقفين ، قد سيقوا مكبلين بالأغلال ، مشاة على الأقدام ، تحت ضرب السياط مسيرة ثلاثين كيلو مترا ، حتى سقط عدد كبير منهم متأثرا بالظمأ والالم ، ومات أحدهم هو المرحوم السيد « روحى زيد الكيلانى » .. وبعد أن ذاقوا هذه الألوان من العذاب شحنوهم كما تشحن الماشية فى « لوريات » الى عمان ، وهناك أودعوا غياهب السجن ، ولم يطلق سراحهم الا بعد أن تم للحكومة الأردنية ـ أى لجلوب ـ ما أراد من سلطان جديد . وتكررت هذه المآسي فى الخليل وغيرها من بلاد فلسطين

حادى عشر ـ وقد تواترت الانباء ان جلالة الملك عبد الله ذهب الى « العقبة » فى شهر فبراير سنة ١٩٥٠ ، واجتمع هناك بابن غوريون رئيس وزارة اسرائيل ، على ظهر مدمرة انجليزية اسمها « ماك فاى » وانهما وقعا معاهدة صلح بالاحرف الاولى من اسميهما . وقد أنكرت حكومة شرق الاردن توقيع معاهدة صلح ، ولكن الجامعة العربية مبالغة فى الحيطة والحذر ، قررت فى ١٢ ابريل سنة ١٩٥٠ فصل أية حكومة عربية تعقد صلحا منفردا مع اسرائيل . وصدر هذا القرار باتفاق جميع الدول العربية ، ومن بينها حكومة شرق الاردن . ولما صدر قرار البرلمان الاردنى فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٠ بضم جزء من فلسطين الى شرق الاردن ، دعيت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية.. وبعد المناقشة رأت غالبية الدول العربية أن فى عمل حكومة شرق الاردن مخالفة صريحة لميثاق جامعة هذه الدول ، وانها تستحق بسببها الفصل

من الجامعة .. ورأى بعضها الآخر ان عمل شرق الاردن مخالف لقرار مجلس الجـــامعة ، واكتفى بأن طلب الى مندوبها ان تعلن آن هذا الجزء من فلسطين وديعة لدى حكومتها تردها الى اصحابها ، ولكن حكومة شرق الاردن رفضت ان تعلن عدولها عن التملك

نخلص من هذا كله الى ان حكومة شرق الاردن فى ذاك العهد ـ بفضل ضغط انجلترا ـ اقترفت مخالفات خطيرة شائنة ، أحكم الانجليز تدبيرها ، ورسموا خطوطها . . فأصبح لليهود فى فلسطين مركزا منيع ، وسيادة لم يكونوا يحلمون بها

وضع اليهود أيديهم على اكثر المساحات اتســـاعا وخصوبة ، وملكوا من فلسطين العربية نحو ثلاثة ارباع مساحتها .. وما بقى تحت يد حكـــومتى شرق الاردن ومصر نحو الربع

أضف الى ذلك ان اليهود قد اقاموا خطا عسكريا من شرق غزة على البحر المتوسط حتى المرشوش فى خليج العقبة على البحر الاحمر وبذلك وضع الاسفين الفاصل بين افريقية العربية وآسيا العربية . وتم تمزيق البلاد العربية ، وفصلت مصر عن سوريا ولبنان والعراق

وما ذكرناه يثبت أن هذه الاعمال كانت بوحى وتدبير من القائد الانجليـــزى للجيش الاردنى ، يؤيده فى ذلك المعتمد السياسى البريطانى فى عمان

الشعب الاردنى والعراقى :

وانى اذ أذكر تصرفات انجلترا وجلوب ، تلك التصرفات التى عملت باسم شرق الاردن ، وابسط من صـــفحات اعمالهما مايسوء كل عربى .. فانى اقدر الشعب الاردنى

كل التقدير ، فهو كسائر الشعوب العربية ، يتوق الى العزة ، ويحفظ العهد ، ويبغى أن يعيش حرا كريما . ولكن شاءت السياسة البريطانية فى شرق الاردن ان تكبت شعور الشعب ، وتكبت ارادته ، وتضع فى سبيله العقبات فيسكت مكرها على هذه الاوزار . ولو تركت له حريته ، لتغيرت الحال ، وأصبحت الحكومة وليدة ارادته .. وحينئذ لا تشذ حكومته عن ركب الجامعة العربية ، بل تكون حادية الركب ، تنشد أنشودة العروبة التى تتخذ من ماضيها عدة للحاضر والمستقبل

وأعرف فى الشعب العراقى كذلك اباءه ووطنيته الصحيحة .. أعرف انه يصبو الى عيش كريم ، فى ظل الاخوة العربية ، لا ينساق وراء الغايات الجامحة ، التى تفرق بين الاخوة ، وتجعل من الحياة الآمنة الهادئة حياة قلق وفتن واضطراب .. أعرف الشعب العراقى فى طهارة غاياته ، ونبل أهدافه

لكن سلطة الاستعمار ابت فى ذلك الحين الا ان تحبس فى الشعب حريته وارادته

والشعب يسعى جاهدا فى إستكمالها ، ويقوم الاحرار من رجاله وقادته بجهود جبارة تدل على حقيقة شعور الشعب ، وعلى ما ينشد من آمال وأعمال .. ومن آيات ذلك فيما نحن بصدده من قضية فلسطين :

١ ـ تصريح الاستاذ الكبير محمد مهدى كبه الوزير السابق ، ورئيس حزب الاستقلال العراقى فى جريدة « لواء الاستقلال » العراقية الصادرة فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٥٠ حيث قال :

« تلقينا بأسف نبأ هذا الضم ـ اى ضم شرقى

فلسطين الى شرق الاردن ـ الذى لم يكن فى نظرنا له اى مبرر فى الوقت الراهن ، لاعتقادنا ان اقراره واعلانه سيخدم اغراض الصهيونية ، ويقوى محاولاتهم على فرض الامر الواقع

« وقد كان أجدى بحكومة شرق الاردن ، وهى تدير شئون هذه الاقسام العربية ادارة فعليـــة ان تتريث فى الاقدام على هذه الخطوة ، وتجد فى التعاون مع الحكومات العربية لاستخلاص الاجزاء الاخرى التى عدا عليها اليهود، والتى جاوزت حتى حدود التقسيم الذى أنكره العرب ، وفرضته الامم المتحدة ، ومنها أجزاء من المثلث العـربى الذى سلمه شرق الاردن من غير حرب .. هذا فضلا عما فى هذا الاجراء من تحد صارخ لقرارات جـامعة الدول العربية ، وما يؤدى اليه من شقاق بين الاردن والجامعــة .. وفى نظرنا تقع المسئولية الادبيـــة فى الدرجة الاولى على السياسة البريطانية ، التى لا يجهل احد نفوذهـــا على حكومة شرق الاردن ، وما كنا نرجو أن يبلغ الانصياع بهذه الحكومة حد ايجاد مبرر لليهود باعلان هذا الضـم للتملص حتى من مقررات الامم المتحدة ، ومد ســـلطان اسرائيل الى الحدود القائمة اليوم »

٢ ـ تصريح الســـيد فائق السامرائى نائب حزب الاستقلال العراقى الى جـريدة « المصرى » فى ١٨ مايو سنة ١٩٥٠ تعليقا على قرار اللجنـــة السياسية ، اذ قال :

« اننا نؤيد هذا القرار ، لانه الطريقة الوحيـــدة للتخلص من هذا الموقف المتكرر الذى وقفه الاردن . وقد سبق أن طالبت باقصاء الاردن عن حظيرة الجامعة ، وارى

ان من واجب الحكومة العراقية الا تتأخر عن موكب الدول العربية فى ابرامها لهذا القرار »

٣ ـ تصريح السيد كامل الجادرجى ، الوزير السابق ، ورئيس الحزب الوطنى العراقى الى جريدة المصرى فى ١٨ مايو سنة ١٩٥٠ ، تعليقا على قرار اللجنة السياسية، حيث قال :

« ان قرار اللجنة السياسية كان معقولا بالنظر (للامر الواقع) الذى خلقته الاردن »

وتصريح آخر لسيادته قبل اجتماع اللجنة السياسية فى جريدة النداء البيروتية ، قال فيه :

« ان الحكومة الاردنية بقرارها هذا قد تحملت الآن مسئولية عمل خطير يضر بمصلحة البلاد العربية ، ويتنافى مع أمانى الشعب العربى الفلسطينى ، فمن واجب الجامعة العربية أن تبادر الى معالجة الموقف بكل حزم ، مهما تطلب الامر من اجراءات »

هذا ما أعلنه حزبان كبيران فى العراق

***

ليس ما صنعته انجلترا فى الاردن الا جزءا من برنامج تريد من ورائه أن تثبت أقدامها فى الشرق الاوسط

وأهم ما فى هذا البرنامج ما يأتى :

١ ـ انشاء شىء اسمه دولة اسرائيل ، حتى تكون كالسرطان فى جسم الامم العربية ، فلا يقوى جانبها ولا يشتد ساعدها ، فينال الانجليز منها ما يريدون

٢ ـ استغلال سيطرتها على شرق الاردن واحتلالها اياه استغلالا يخدم الاستعمار البريطانى ، ويكبت شعور الشعب الاردنى ويهدد مصالح العرب ومستقبلهم

٣ ـ محاولة اتخاذ الجامعة العربية إداة لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، كما اتخذت حكومة شرق الاردن من قبل

٤ ـ محاولة تنفيذ ما يسمونه مشروع سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب . وفى سبيل ذلك تنكرت انجلترا لحليفتها فرنسا ، التى سمحت لها باحتلال سوريا ولبنان، بمقتضى معاهدة « سيكس ـ بيكو » .. تنكرت لها وأقصتها عن هذين القطرين ، ثم أطلقت مأجوريها يروجون لهذا المشروع الخطير ، ويعملون جاهدين لتحقيقه

وأخشى ان تدورالسياسة البريطانية الصهيونيةدورتها، وتعرض البلدين الشقيقين لمأساة قد تشبه مأساة فلسطين

***

فنحن أمام قوى غاشمة جائرة ، تريد بنا السوء والاذى ، وتتعاون على الحاق الضرر بنا ، والفتك بمصائرنا

وعلينا أن نتضامن على درء هذا العدوان ، وان نكون فى عملنا هذا صرحاء أمناء .. وان نفهم أن لا حياة بغير وطن ، ولا وطن بغير حرية ، ولا عروبة اذا لم تظللها حرية الاوطان وقوتها

نحن الآن فى محنة ، فلنتواص على ان نجتازها ، أقوى ما نكون ايمانا بالله الذى يرعى الحقوق ، ولا يحب المعتدين « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفى صدورهم اكبر . قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون »

امريكا واسرائيل

كان للولايات المتحدة الامريكية من سنين طويلة ، ممثل سياسى فى مصر هو الدكتور « هاول » الوزير المفوض ، وكان محبوبا لدى المصريين ، فلما ترك وظيفته أقيمت له حفلة توديع القى فيها كلمة جاء فيها ما معناه : « يجب أن تتمسك الدول فى سياستها بالمثل العليا فى النزاهة والحق ، ويجب أن يتعامل بعضها مع بعض بشرف وأمانة، كما يتعامل الافراد الشرفاء »

وكان لهذه الكلمة أثر عميق فى النفوس ، واعتقد المصريون أن هذا الممثل السياسى انما يعبر عن حقيقة سياسة دولته ، وأكد اعتقادهم مظهر السياسة الامريكية فى ذلك الحين ، وبعدها عن الاغراض الاستعمارية ، وما عرفوه عن الامريكيين من أنهم سلالة أحرار ، هاجروا الى الدنيا الجديدة ، فرارا من الظلم وضيق العيش وطلبا للحرية والعدالة ، وقد استغلوا ارضهم وانتفعوا بخيراتها ، ووصلوا ببلادهم الى الثراء والقوة ، حتى تبوأت المركز الاول فى العالم ، فعقدت عليها الامم المستضعفة آمالها فى الحرية والاستقلال ، وتطلعت الى عونها المادى والادبى ، حتى تصبح فى بحبوحة من العيش ، تعصمها من اعتناق المبادىء الهدامة

وكنا نرجو ان يسعى ساسة أمريكا الى الاخذ بناصر الامم العربية ، ومساعدتها على النهوض ، لتصبح حصنا من حصون الحرية تتقى به الخطوب فى الشرق ، وكتلة قوية تصد كل اعتداء آثم ، يهدد السلام العالمى الذى تتوق اليه الانسانية الرفيعة . هذا الى أن الشرق الاوسط يحوى اكثر من نصف بترول العالم ، فاذا بقى فقيرا

مظلوما ، أمكن أن تنمو فيه المبادىء الهدامة ، رغم نفور أهله من الشيوعية - بفضل دينهم وتقاليدهم - فان الفقر والظلم يدفعان المرء الى مالا يحب ويرضى ، واذا ظل مهيض النجاح ، مجردا من كل قوة ، محروما من كل عون هان اجتياح بلاده ، واستغلال خيراتها والوصول عبره الى المحيط الهندى ، وبذلك تكون الكارثة على الغرب ، قبل أن تكون على الشرق .

وتلك ينابيع البترول فى العراق ومصر ، وفى الكويت والبحرين ، وفى المملكة العربية السعودية وايران ، تتدفق فى بلاد غاضبة تشكو الظلم ، وتقاسى الحرمان ، وتحس بمرارة من السياسة الأخيرة التى انساق اليها ترومان وشيعته .. فما الذى اتخذته أمريكا لتجذب تلك الشعوب ، وتقنعهم بصداقتها ونزاهتها السياسية التى صدعها بأعماله ترومان وصحبه .. ان هذه البلاد الشرقية أصبحت حساسة الى درجة الاقتناع بأن ترومان قلب الصداقة عداوة ، والثقة نفورا .

وانى وأنا من أبناء الشرق ، وجزء منه ، أحس بما يحس به من امتعاض وأسف ، أرجو مخلصا أن ترجع امريكا عن خطة ترومان ، وأن تعيد الى النفوس الطمأنينة كاملة ، ففى هذا نفع للطرفين ، واطمئنان يرد الشرق الى الاعتقاد بأن امريكا العظيمة مازالت هى هى امريكا القديمة ، تسعى مع الشرق فى رفع شأنه حتى يكون سدا منيعا ، وقوة لا يستهان بها فى صد أى عدوان يهدده ، ويقضى فيه على المصالح الحيوية التى تخدم المدنية والعدالة ، ويودى بالسلام العام .

ولكن العرب بعد الذى رأوه من تصرفات ترومان وشيعته فجعوا فى آمالهم التى علقوها على الولايات

المتحدة ، وظنوا انها تنكرت لمبادئها السامية ، وما زلنا نرجو ان يفيق ساسة امريكا ، ويدركوا أن صدمة فلسطين كانت من الشدة بحيث كادت تقضى على كل أمل فى المثل العليا ، التى نشرتها أمريكا على العالمين

انى لا اخفى ما يعتقده العرب والشرقيون من أن الولايات المتحدة الامريكية العظيمة تسير فى ركاب السياسة البريطانية ، وتخطو وراء دولتى الاستعمار : انجلترا ، وفرنسا

أليس عجيبا أن أمريكا العظيمة ، رافعة علم الحرية فى العالم ، والمدافعة عن حرية الامم ، ترى العسف البريطانى والفرنسى يجول ويصول فى بلاد المغرب العربى ، وفى مصر ، وبلاد الشرق الادنى ، وفى الهند الصينية وغيرها ، ثم تسكت عنه ؟ أليس عجيبا أن تساعد هاتين الدولتين على اقتراف الآثام التى تطالعنا بها الصحف كل يوم من سجن وتعذيب وتقتيل ، ومن استنزاف أموال الابرياء الوادعين ؟

اليس عجيبا أن تساعد الولايات المتحدة وتشجع على طرد شعب فلسطين من وطنه ، وتشريده وتقتيله ، واحلال خليط من الشعوب محله ؟!

كيف ترضى أمريكا بهذا كله ؟ وهى التى قاست من ويلات الحكم الانجليزى فى بلادها ، وكافحت وضحت حتى استردت حريتها وكرامتها

كيف ترضى وهى المجاهدة فى سبيل الحرية والاستقلال ، أن يسود الاستعباد بلادا تتوق مثلها الى الحرية ، وكيف تساعد على خنق شعب كشعب فلسطين، وتمد غاصبيه من الصهيونيين بالمال والذخيرة ، وتعلن

حمايتها لدولة اليهود المصطنعة ، ضاربة بقواعد الحرية، وبكل المثل العليا عرض الافق ؟

كيف يرضى أمريكيو الولايات المتحدة ــ وهم الابناء الروحيون لجورج واشنطون ، وابراهام لنكولن ــ أن يحلوا محل الانجليز فى الاجهاز على فلسطين ، متنكرين لمبادئهم الاولى فى تأييد حرية الامم وحقها فى تقرير مصيرها ؟

***

لقد انساقت أمريكا وراء سياسة لويد جورج وكليمنصو الاستعمارية ، وخذلت رئيسها الدكتور ولسن ، وطرحت مبادئه الاربعة عشر ، ووافقت على انشاء وطن قومى لليهود ، وشجعت هجرتهم اليها ، ودفعت هيئة الامم المتحدة الى اقرار التقسيم فى فلسطين ثم رجعت عنه بعد ذلك ، ودفعتها الى تقرير عدم التقسيم واعلان وجود دولة اسمها اسرائيل ، وضمها الى هيئة الامم كعضو فيها ، وأعلنت عزمها على المحافظة على هذه الدولة ومناصرتها

وأدهى من ذلك كله أن تتغاضى عن اعادة المشردين من العرب الى موطنهم ، وتعويضهم عما أصابهم ، رغم ما يقاسونه من آلام المرض والفقر والجوع والحرمان . وفى الوقت نفسه أجبرت المانيا والنمسا على دفع تعويضات الى دولة اسرائيل ، لما أصاب اليهود من خسائر فى حركة هتلر ، وهذه التعويضات تساعد اسرائيل على التسلح والتحدى ، والاعتداءات التى نراها

وهاهى ذى اسرائيل المدللة تغير على الاردن وغيرها ، هازئة بقرارات هيئة الامم ، آملة أن توسع ملكها على حساب جاراتها ، ومع ذلك فان هيئة الامم لا تعمل حيالها

شيئا ، ثم هى تسعى فى أخذ مياه نهر الاردن بوسائل تعرفها أمريكا جيدا ، ولا تصدها عن مطامعها.

ماذا تنتظر امريكا من اليهود ؟ انها لن يصيبها منهم الا ما أصاب انجلترا التي أصدرت تصريح بلفور ، وبذلت غاية الجهد فى خلق دولة يهودية ، فلما تراخت نوعا ما فى تنفيذ بعض مآرب الصهيونيين انقلبوا عليها . . فأهانوا ضباطها وجنودها، وعذبوهم ،وقتلوا من قتلوا ، وجاهروها بالعداء والسباب . وسيكون مآل امريكا نفس المآل ، بعد أن تبذل لليهود كل مافى طوقها من عون وتأييد . . فليس لليهود أصدقاء ، وانما لهم برامج وقرارات وأهداف ، يحرصون أشد الحرص على تنفيذها ، ويعادون كل من يقف فى سبيلهم ، أو يتراخى فى معونتهم ، مهما يكن قد بذل من عون فى سبيل تنفيذ مآربهم الجهنمية.

***

هانحن أولاء قد بسطنا بعض مظاهر الانحراف فى السياسة الأمريكية ، وشرحنا كيف تورط بعض ساسة أمريكا ـ وعلى رأسهم ترومان ـ فى المساهمة فى أعمال الظلم والجور ، التى أدت الى نكبة فلسطين العربية . . وأرانى هنا بحاجة الى اضافة وقائع أخرى ، ننقلها باختصار عن الكاتب الانجليزى المعروف « دوجلاس ريد » من مؤلفه « فى جهة ما جنوب السويس » استعرض فيه الحركة الصهيونية ، وقال تحت عنوان « نهضة صهيون »ما يأتى:

« تختلف الصهيونية عما عداها، كالامبراطوريةالرومانية مثلا ، فى ان الاخيرة فى سيطرتها على العالم ، كانت مجسمة محددة ظاهرة فى حين ان الاولى بدأت حركة سرية ، تسعى الى القوة والسيطرة ، عن طريق التسلط على أولى الامر فى جميع البلاد ، وقد نجحت فى هذا المضمار الى حد كبير

وحققت الصهيونية ما حققته فى نصف قرن من الزمان ، اذ بدأت أولى همساتها فى سنة ١٨٨٢ على أرض روسيا ، وفى سنة ١٩١٧ بعد الحرب العالمية الاولى جاء تصريح بلفور نتيجة لضغط وتأثير على الحكومة البريطانية من أشخاص مجهولين للرأى العام ، وبدأ التصريح ينظر بعين العطف الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، كما صرح وزراء انجلترا بأن المقصود هو وطن وليس دولة صهيونية .. ولكن ما لبث أن استدرج المهاجرون اليهود الى هناك تحت الحكم البريطانى حتى وصلت نسبة اليهود الى ثلث عدد السكان ، بينما لم تزد نسبتهم فى سنة١٩١٧ على سبعة من مائة

« وأمام اعتراض البلاد العربية على الهجرة ، وخشية اندلاع حرب ضروس قررت الحكومة البريطانية الا تسمح بهجرة اليهود الا اذا رضى عنها العرب ، فقامت حرب عظمى فى أوربا

« وقد أثبتت الحرب العظمى الثانية فى نهايتها أن القوتين الرئيسيتين فى العالم ، رغم مابينهما من خلاف ، اتفقتا على أمر واحد جوهرى هو اتساع الامبراطورية الشيوعية ، وانشاء الدولة الاسرائيلية . ولم تكن الدولة الصهيونية من أهداف الصراع الاخير ، ولم يعلن عنها عندتعبئة الشعوب للحرب ، ومع ذلك فان هيئة دولية سميت باسم هيئة الامم المتحدة سلمت أرض العرب المسالمين الى غاصبيها من شرق أوربا وقدمت لهؤلاء الاخيرين الاموال والاسلحة والمجاهدين من امريكاوروسيا. وقد شكا وزير صهيونى من أن ماتطلبه عملية انشاء دولة اسرائيل من نفقات بلغت مائة مليون من الجنيهات ، لم يقدم لها من الخارج سوى ٢٥ مليونا فقط

« وفى هذه القضية وحدها أجيز الاغتصاب والتعدى..

وتخلى العالم الغربى عن تعاليمه ومبادئه التى حارب من أجلها حربين عالميتين . ولم يعرف التاريخ فضيحة كهذه من قبل .. وعلى هذا النحو أثبتت هيئة الامم المتحدة أنها منظمة أشد خطرا ، وأكثر ضررا من عصبة الامم القديمة ، فقد خلقت للعالم الغربى فى بلاد العرب مشكلة أكبر من مشكلة وسط أوربا

« وهكذا بدأ الحلم الصهيونى خطواته الاولى ، منذ تصريح بلفور فى الحرب العالمية الاولى ، فحقق أول أغراضه بانشاء الدولة الصهيونية فى الحرب العالمية الثانية

« واليك الطريقة التى حقق بها الصهيونيون أطماعهم ، وتسلطوا بها على من بيدهم الامر فى العالم ، وخاصة الولايات المتحدة

« فى نهاية الحرب العالمية الثانية طالب الرئيس ترومان بهجرة مائة ألف يهودى الى فلسطين ، رغم ما صرح به الرئيس المذكور فى خطابه للبرلمان سنة ١٩٤٧ من أن أمريكا لن ترضى عن حكم شعب بغير ارادته ، وسوف تدافع عن حق تقرير المصير . وبعد بضعة أشهر وافقت هيئة الامم على تقسيم فلسطين واعطاء النقب لليهود ، والجليل الغربى للعرب

« وفى مارس سنة ١٩٤٨ حاول وكيل وزارة الخارجية المستر مارشال اقناع الرئيس ترومان بخطر التقسيم على فلسطين ، وما قد يثيره القرار من حرب هناك . ولكنه لم يفلح ، اذ اعلن الرئيس ترومان اعترافه قبل جلاء القوات البريطانية عنها ، وكان ذلك الاعلان فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ . وكان الاعتراف مفاجأة لمندوب الولايات المتحدة فى اجتماع هيئة الامم ، وقد استقال على الاثر المستر مارشال ، خصوصا بعد اعادة انتخاب ترومان

« وقد نشبت الحرب فى فلسطين وقت انشغال بعثة أمريكية فى اجراء مفاوضات بين العرب واليهود . واشتدت الحرب اثر اعلان ترومان اعترافه بدولة إسرائيل ، مما حدا بهيئة الامم أن ترسل وسيطا لانهاء النزاع وديا ، وهو « الكونت برنادوت »

« وما كاد الوسيط ينتهى الى قراره بأن يعطى النقب لليهود ، والجليل الغربى للعرب ، والا فليترك النقب للعرب ، ويأخذ اليهود الجليل الغربى » حتى قتل بأيدى عصابة ارهابية اسمها عصابة « شترن » .. ورغم جسامة الجريمة ، وعظم شخصية الوسيط المقتول لم تتخذ اجراءات العقاب الكافية ، بل استقبل عمدة نيويورك احد أفراد العصابة المذكورة باحتفال رائع ، اشتركت فيه موسيقى البوليس !

« وسر اهتمام اليهود « بالنقب » بل لعل السر فى غزو اليهود لفلسطين هو أهمية الحصول على « النقب » للوصول الى البحر الميت ، الذى يحوى ثروة عظيمة من المعادن ، كالمنجنيز والبوتاس وغيرهما ، مما قدره العلماء فى سنة ١٩٢٥ بمبلغ ٢٤٠ مليارا من الجنيهات . ولما كانت اقتراحات الكونت برنادوت هى العقبة أمام اليهود لتحقيق أطماعهم فى ثروة البحر الميت ، فقد حكموا عليه بالاعدام وقتلوه على الفور

« وقد ساعد الصهيونيين على تثبيت أقدامهم فى فلسطين ترومان فى أمريكا ، وحزب المحافظين فى انجلترا . ومما يدعو الى الحسرة حقا أن هيئة الهجرة الدولية التى تسندها الولايات المتحدة وانجلترا ، قررت حسب ماجاء فى الصحف الصهيونية أن العرب المهاجرين غير خليقين بأية مساعدة ، بينما قررت فى الوقت ذاته منح المغتصبين

اليهود من الشباب منحة قدرها مليون جنيه لارسال خمسين الفا من اليهود الى فلسطين ..

« ومما يدعو الى العجب ، انه حتى أعداء اليهود المعروفين كهتلر مثلا وجورنج فى ألمانيا ، والسير ازولا موزلى فى انجلترا ، كلهم وجهوا اهتمامهم الى انشاء وطن قومى لليهود ، وان اختلفوا فى مكان ذلك الوطن : أيكون فى ألمانيا ، أم فى تنجانيقا ، أم فى مدغشقر الخ .. ولكن لم يرض اليهود عن فلسطين بديلا ، للسبب السابق بيانه وهو ثروة البحر الميت

« وعلى أية حال فقد سيطر اليهود على رءوس حكام العالم .. وتحقق حلمهم بواسطة روسيا ، التى زعمت أنها عدو اليهود ، وقد أمدتهم بالزعماء والسلاح ، وبواسطة أمريكا التى أمدتهم بالمال

« وقد بلغت سيطرة اليهود على أصحاب النفوذ فى جميع انحاء العالم ان زعيم الارهابيين اليهودى - ويدعى جابوتنسكى - سخر من القضاة الانجليز سنة ١٩٢٠ ، وتحداهم فى امكان تنفيذ أحكامهم مهما تكن ، وثبت فعلا أن هناك قوة خارقة للعادة ، توقف تنفيذ الاحكام الصادرة ضد اليهود وتعطلها

« وقد ورد فى تقرير للجنة ملكية آنجليزية أن الصهيونيين لهم ادارة للمخابرات على جانب عظيم من الدقة والمقدرة ، ويمكن القول بلا مبالغة ان الصهيونيين أقوى تنظيم سرى فى العالم

« والنتيجة الطبيعية لنجاح الحركة الصهيونية حتى الآن هى تضخم آمال اليهود ، واتساع أطماعهم .. فلن يكتفوا بعد الان بما حصلوا عليه من رقعة ضيقة من الارض ، خصوصا وقد دان لهم نفوذ قوى الحكم فى العالم أجمع .

وينظر اليهود الى هيئة الامم كأول خادم محقق لاغراضهم يتسلطون بها على باقى بقاع الارض

« ويبشر بقرب الفليان فى منطقة فلسطين وما جاورها فى المستقبل القريب ، أن الجزء الاكبـــر من الصهيونيين الموجودين فى فلسطين ليسوا من اليهود فحسب ، وانمــا هم من الشعوب الاسيوية أصلا ، أولئك الذين يهدفون الى السيطرة على العالم

« ويرسم لنا خطوط الدولة الصهيونيــة ما صرح به زعماؤها ومنهم ناحوم زوكونوف .. اذ قال فى المؤتمـر الصهيونى بكارلسباد سنة ١٩٢٢ (ان عصبة الامم فكرة يهودية ، خلقناها بعد صراع دام خمسة وعشرين عاما) !

« وفى سنة ١٩٢٣ قال فلاديمير جابوتنسكى فى المؤتمر الصهيونى الفرنسى (انه اذا رفضت بريطانيا اعطاء فلسطين لليهود ، فان اليهود سيكونون بمثابة المحرك للقضاء على بريطانيا) وفى مارس سنـــــة ١٩٣٩ انضمت جميع بلاد الكومنولث الى بريطانيا ، وفى سنة ١٩٤٨ صوتت هـذه البلاد ذاتها ضد بريطانيا فى موضوع فلسطين

« وفى سنة ١٩٤٨ جاء فى جريدة « فلسطين بوست » على لسان الاستاذ هارولد لاسكى « أن الطلقــات الاولى فى فلسطين بعد ١٥ مايو (١) ستـــكون أولى الطلقات فى سبيل الحرب العالمية الثالثة التى ستقضى على مدنيتنــا الحديثة ، وهو عين ما قاله المستـــر مارشال لترومان من قبل

« وفى مايو سنة ١٩٤٨ قال المستر ا . ابراهامز احــد كبار الصهيونيين فى جريدة صهيونية (يجب أن ننظر الى

---

(١) تاريخ انسحاب البريطانيين من فلسطين

دولتنا كدولة قوية عظيمة تجمع العلماء والقوة الفنية وغيرها ، حيث أنه لايوجد اختراع أو سلاح لايعرفه اليهود ، أو لم يشترك فى صنعه يهودى . وما دمنا نعتبر أنفسنا فى حالة حرب ، ونعد لهذه الحرب عدتها فانالنصر النهائى سيكون حليفنا ، والنصر النهائى يوم يعود جميع الاسرائيليين الى أرض اسرائيل كاملة)

« وفى سنة ١٩٤٨ قال المستر بن هخت ، وهو صهيونى بارز يعيش فى أمريكا (فى خلال الخمسة والعشرين عاما القادمة ، أو الخمسين سنة القادمة ، ستحصل اسرائيل على الارض التى تحتاجها ، وتصبح احدى الدول الخمس الكبرى فى العالم)

« وفى سبتمبر سنة ١٩٤٩ قال صهيونى بارز آخر من أمريكا ومن أتباع ترومان فى مجلس النواب ، وهو المستر أمانويل سلر ، وذلك على صفحات جريدة النيويوركتيمز (قد يضطر الاسرائيليون الى اعطاء العرب درسا جديدا ، وطعن قواتهم فى الصميم ، ولكن فى هذه المرة لن تشفع للعرب توسلات هيئة الامم ، فسوف يتقدم اليهود الى بيروت وعمان والاسكندرية)

« وفى نوفمبر سنة ١٩٤٩ قال المستر الياس ساسون ، وهو مسئول اسرائيلى فى وزارة الخارجية الاسرائيلية ، كما ورد فى الصحافة المتحدة (ان اليهود على استعداد لمواصلة الحرب ، اذا رغب العرب فى ذلك .. فالسلام الدائم أبعد الان مما كان عليه فى بداية العام)

« تلك هى أطماع اليهود صريحة ، ولكن من هم الاشخاص الذين يؤيدون هذه الاطماع ؟ الغريب انهم ليسوا من اليهود ، والا لما كان لتأييدهم نفس القوة ، وتلك هى المأساة

« والغريب أن الحجة التى طالما استند اليها اليهود فى

تبرير عدوانهم على أرض فلسطين تتلخص فيما زعموه من انها أرض أجدادهم .. والواقع ان الحركة الصهيونية تزعمها يهود أوربا ، وهم من أصل آسيوى وليس لهم علاقة بفلسطين أصلا

« وقد شرح ذلك أحد أرباب الصناعات من اليهود ، ولد فى نيويورك وهو المستر بنيامين فريدمان اذ كتب فى « الرسالة الاقتصادية » المنشورة فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، يقول (الصهيونية السياسية حركة يهود شرق أوربا ، الذين لا علاقة لهم بأرض فلسطين أصلا ، وانما هم من أصل مغولى آسيوى)

« وطالما نبه المستر فريدمان الى خطر الصهيونية على أمريكا نفسها ، قبل اعتراف ترومان بدولة اسرائيل . . ذلك الاعتراف الذى وصفه صاحبه بأن يوم صدوره كان أعظم أوقاته فخرا !

« وقد صرح أحد كبار الامريكيين اليهود وهو المستر هنرى مرجانتاو بأن (الصهيونية أكبر بدعة فى تاريخ اليهود) . ومثل المستر مرجانتاو آخرون حاربوا الصهيونية ، وهم من اليهود ولكن تغلب عليهم زعماء سياسيون أمثال لويد جورج ، ولورد بلفور فى انجلترا ، وترومان وغيره فى أمريكا .. وهكذا تزعم الصهيونية ،ودعا اليها أناس غير يهود » !

وجاء فى نفس الكتاب تحت عنوان : انحطاط الجمهورية الامريكية ما يأتى :

« من أهم أسباب الضعف فى الولايات المتحدة تسلل الشيوعية والصهيونية اليها ، فى غفلة من الحكومة ، وقد سهل ذلك قوة الدولة الامريكية وثراؤها ، ومن ثم ضعف الرقابة والتهاون فى محاربة الهجرة الجماعية ، وسوء

استغلال أصوات الناخبين ، والتأثير على رجال الحكم ، ورؤساء الجمهورية

« ومن أخطر مستشارى رؤساء الجمهورية ، المستر (برنارد باروخ) فقد صاحب الرئيس ولسن الى مؤتمر السلام سنة ١٩١٩ ، وبقى ناصحا لخمسة رؤساء لاحقين هم : هاردنج ، كولدج ، هوفر ، روزفلت ، ثم ترومان

« وقد انتشر نظام المستشارين اليهود غير المسئولين فى نظام الولايات المتحدة لدرجة أن القواد الامريكيين فى منطقة الاحتلال فى ألمانيا يستعينون بهم

« وفى خلال الحرب العالمية الأولى كان المستر «باروخ» رئيسا للجنة صناعات حربية ، لها من القوة مايسمح لها بالسيطرة على كافة الصناعات ، وأسلحة الجيش خلال الحرب . وقد سئل المستر باروخ بعد الحرب الاولى أمام لجنة تحقيق برلمانية عن مدى سلطانه وقوته اثناء الحرب ، فأجاب بأنه كان أقوى رجل فى العالم .. فهو الذى كان يقرر لكل سلاح من أسلحة الجيش حصته فى الميزانية . كما كان يرجع اليه لمعرفة أى ميدان من ميادين الحرب أولى بالاهتمام عما عداه

« وفى خلال حكم الرئيس روزفلت حظى المستر باروخ بسلطان لا حد له ، لدرجة أن مستر تشرشل قبيل الحرب الاخيرة قال له : ان الحرب وشيكة الوقوع ، وان المستر باروخ سيتولى ادارتها فى أمريكا . وبعد الحرب الاخيرة استرد المستر باروخ سابق قدرته ، ونفوذه العالمى ، اذ عين رئيسا لهيئة على جانب عظيم من الاهمية ، هى هيئة تقدم الابحاث الذرية . وقد عهد مستر تشرشل بأبحاث بريطانيا الذرية التى كانت تسبق فيها باقى بلاد العالم الى المستر باروخ ليحتفظ بها كسر فى أمريكا ، وليستعين

بها فى تحسين الاختراع فى بلاده . وقال تشرشل فى سنة ١٩٤٦ ـ كما جاء فى جريدة يوركشيربوست ـ انه لايوجد أفضل من المستر باروخ ليودع لديه أسرار ذلك الاختراع الخطير ..

« وكانت خطة المستر باروخ ترمى الى انشاء هيئةدولية تحتكر انتاج القنابل الذرية وتشرف عليها ، وان هذه الهيئة وغيرها هى التى تقرر متى تستعمل تلك القنابل وأين تلقى . ولا ريب انه كان يهدف بذلك الى اخضاع تلك القوة لسلطان اليهود ، الذين يسيطرون على الهيئات الدولية ، والذين سوف يقررون استخدام تلك القنابل ضد العرب ، لطردهم من فلسطين

« ورغم ما أعلنه ترومان فى أكتوبر سنة ١٩٤٩ من انه يؤيد مشروع المستر باروخ سالف الذكر ، فان تلك الهيئة الدولية لم يكتب لها الوجود بعد

« ومما يدل على أن قرارات الدول العظمى لم تكن فى المدة الاخيرة ، وخاصة اثر الحرب العالمية الثانية وليدة ارادة الدولة أو برلمانها ، وانما كانت وليدة تفكير بعض المستشارين ، وتأثيرهم على رؤساء الدول بصفتهم الشخصية ، أنمشروعا هاماكمشروع معاقبة ألمانيا ،والذى يطلق عليه اسم مشروع مورجنتاو ، والذى ذيل بامضائى روزفلت وتشرشل ، لم يكد تعلن نصوصه حتى أعلن كل من روزفلت وتشرشل أسفه على موافقته على ذلك المشروع ، كما ظهر أن المشروع كان مفاجأة لزملاء كل من الرئيسين من الوزراء والبرلمانيين

« وقد أحاط الرئيس روزفلت نفسه بكثير من المعاونين غير المسئولين يحوطهم الغموض ، واثبتت الايام أن أهم القرارات كانت بتأثير هؤلاء ..

« وفى خلال حكم الرئيس روزفلت نجح الصهيونيون فى الوصول الى أرقى المناصب ، واخطرها فى الحكومة الامريكية ، ومن هناك عمل هؤلاء على تحقيق غرضيهم الاساسيين :

نشر الشيوعية ، وتدعيم دولة اسرائيل ..

« ولو أن روزفلت لم يعلن فى صراحة كزميله « هوفماير » فى جنوب افريقيا أن انقاذ العالم سيكون على أيدى الصهيونية ، فان حكم روزفلت يومىء بأنه اعتنق نفس الفكرة .. ففى سنة ١٩٣٢ قال كاتب يهودى هو « المستر والترليمان » (ان من الواضح ان روزفلت ليس زعيم القوات التى تسير خلفه ، وانما هو أداة فى يدها)

« وفى سنة ١٩٣٦ قال أحد رجال الدين اليهود (المستر لويس جروس) ان ادارة روزفلت اختارت من اليهود لملء المناصب الخطيرة أكثر من أية ادارة أخرى فى تاريخ أمريكا

« وفى سنة ١٩٣٨ كتبت النيويورك تيمس ما يأتى : (بعد مقابلة مع المستر روزفلت صرح السناتور (واجنر) ان الرئيس أبدى استعدادا غير عادى لدعم الوطن اليهودى فى فلسطين وازالة اى قيد على هجرة اليهود اليها ..)

« وجميع هذه الامثلة توحى لنا بالسياسة التى سيطرت على الدول العظمى فى تاريخها الحديث ، والتى تهدف الى نشر الشيوعية الروسية ، ودعم الدولة الاسرائيلية عن طريق سيطرة اليهود على المناصب الرئيسية ، وتسلل الشيوعيين بين الطبقات الكادحة لاثارتها

« وان ما بداه لورد بلفور ، ولويد جورج ، ثم الرئيس ولسن قد اتمه بعد ذلك الرئيس روزفلت ، ثم خليفته ترومان ، الى نهايته المحتومة .. ففى نهاية الحرب العالمية الاخيرة عين أحد المناصرين للصهيونية وهو المستر

(لاجوارديا) رئيسا لمنظمة « الانرا » اى منظمة الاغاثة والتعمير الدولية ، التىاستخدمتاموالها اول مااستخدمت ـ واكثر ما استخدمت ـ لتحقيق مآرب اليهود فى فلسطين

« والملاحظ ان كل من عارض فكرة اليهـــود لتقسيم فلسطين من كبار السياسيين فى أمريكا أبعد عن منصبه أو عوقب أشد العقاب . ونذكر من هؤلاء على سبيل المثـال الجنرال مارشال وكيل وزارة الخارجية ، والمستر جيمس فرستال وكيل وزارة الدفاع الامريكية ، فقد عارضا فكرة تقسيم فلسطين ،وتعرض الاخير لحملات اليهود عليه وعلى عائلته ، فاضطر الى الانتحار بأن ألقى بنفسه من نافذة ! »

***

الان وقد اقتبسنا من كلام الكاتب المعروف « دوجلاس ريد » ما اقتبسنا ليـكون القارىء على بينـة مما فعلتـه وتبيته الصهيونية ، لا بد لنا من أن نذكر أن أسرائيل قد أذاعت أنها أقامت للرئيس ترومان تمثالا فى « تل أبيب »

وأزاحت عنـه السـتار بمهرجان حافل كبير ـ وبحضور ترومان نفسه ـ ليرى بعينيه ما اقتـرفه فى حق البشرية بطرد أمة من ديارها وتشريدها وتقتيلها ، واحلال عصابات محلها اغتصبت الديار والاموال ، باسم هيئة الامم المتحدة، التى تدعى أنها سياج العدل وحامية الانسانية !

وان العالم العربى ـ وهو ضحيـة العسف والظلم ـ لا يرتبط مصيره بمؤتمرات أو قرارات ، وهو يعيش فوق فوهة بركان قد ينفجر يوما فيهلك الحرث والنسل ، ولا نجاة له الا بالعمـل المتواصل ، فى سبيـــل حفظ كيانه ومستقبله .. فالايام عصيبة ، والعدو بالمرصاد . وهاهى ذى النذر تتوالى كل يوم بما تقترفه اسرائيل من اعتداءات، اقربها اعتداءاتها المتكررة على الحدود الاردنية ورغبتها

فى اقتناص مدينة القدس القديمة ، وبعدئذ تضعنا هيئة الامم المتحدة ــ تلك التى ترعى حقوق الامم وتصون الانسانية ــ أمام ما تسميه بالامر الواقع ، وهكذا دواليك

وان كثيرا من كتاب الغرب قد فطنوا الى الحقائق ، ونبهوا العالم الى أن الحرب العالمية الاولى تمخضت عن وعد بلفور ، واثراء اليهود ، وبسط سلطانهم ، وان الحرب العالمية الثانية تمخضت أيضا عن قيام دولة اسرائيل ، واتساع ثراء اليهود ، وازدياد نفوذهم . ولم تأت الحربان العالميتان بأية نتيجة للعالم سوى الخراب ، وتدهور الاقتصاديات المسيحية . وستكون النتيجة الاكيدة لحرب ثالثة تدفع اليها الصهيونية ، اتمام خراب العالم ، وسيطرة اليهود ، طبق الوضع الذى حددته قرارات حكماء صهيون

ونضيف أن المتتبع لجلسات هيئة الامم المتحدة ، يرى كما رأى بعض كتاب الغرب ، أن حكومة السوفييت لم تتفق مع الغرب الا فى مسألة واحدة وهى الاعتراف باسرائيل . ويرى الكاتب أن روسيا كانت ترمى الى غرض طالما كررته ، وهو خروج انجلترا من الشرق .. فلما حان الوقت الذى حتم على انجلترا الخروج ، بادرت بالاتفاق مع الامم المتحدة بالاعتراف باسرائيل ، وذلك لانها تعلم أن اسرائيل دولة يهودية صهيونية ، وأنها تشمل يهود العالم ، فاذا غضبت اسرائيل غضب يهود العالم ، وروسيا تتوق لاحتضان اسرائيل كى تحتضن اليهود أجمعين

ويلاحظ أن اسرائيل على استعداد للتقلب ، والانضمام الى الشيوعية ، التى خلقها اليهود ، متى رأت مصلحة فى ذلك .. وفى اسرائيل حزب شيوعى رسمى ، لا يبعد عند الضرورة أن ينال الاغلبية فى البرلمان ، فتصبح اسرائيل

دولة شيوعية فى قلب الامم العربية ، وقسما من الاتحاد السوفييتى يعد نقطة ارتكاز شيوعية ضد الغرب لا محالة

نظرة عامة

نفهم مما تقدم بأسانيد لاتحتمل الشك :

أولا : أن اليهود اعتدوا على السيد المسيح ، ونعتوه بأقبح الاوصاف ، حتى وصلوا الى التصرف فى حياته والحكم عليه بالاعدام .. كذلك عادوا الحواريين ، وأنصارهم من بعده .. فعلوا ذلك كله أملا فى أن يخنقوا المسيحية فى مهدها ، وأن ينفردوا هم بسلطان عقيدتهم ، كما وضعته كتبهم الدينية

ولما ظهر الاسلام ناصبوه العداء ـ كما فعلوا مع المسيحية من قبل ـ وسعوا فى قتل النبى محمد عليه السلام ، وأثاروا الحرب ضده ، وخانوا عهودهم ومواثيقهم معه ، وصارحوا قريشا بأن الوثنية أفضل من دين محمد ، مع ان دين محمد هو دين توحيد ، ودين اليهود هو دين توحيد ، واتفقوا مع عبدة الاوثان لخنق الاسلام

ثانيا : لما رأى اليهود انتشار الدينين المسيحى والاسلامى بدءوا ـ وهم قلة ـ ينظمون أساليب الغدر بالمسيحية والاسلام

وعندما رأوا نهضة أتباع سيدنا عيسى ، واتساع سلطانهم فى الغرب ، فكر حكماؤهم فى وضع برامج محكمة ، ترمى الى افساد الدول المسيحية ، ونشر الفوضى فى ربوعها ، بما ابتدعوه من ماسونية تنفذ قرارات حكماء صهيون ، تحت ستار براق يغرى المسيحيين ـ وهو « الاخاء الانسانى » ـ وتمكنوا بفضل الماسونية من التغلغل فى شئون الدول المسيحية ، وبث السموم بين افرادها

وحكوماتها . ولهذا حرص اليهود على أن تـكون نواياهم خفية وحركاتهم سرية ، ظاهرها فكرة سليمة هى « الاخاء الانسانى » وباطنها تلك الماسونيـــة السرية والقرارات الجهنمية ، وليس من المعقول أن تكون الماسونية سرية اذا كانت تهدف الى الخير حقا .. وهل العمل للمســاواة والاخاء الانسانى يستلزم السرية ؟ !

ان المرء ليسائل نفسه : لم تكون الماسونية سرية ، ولم تتخذ رموز خاصة بين الماسون ؟ ولم تكون الشـــارات والعلامات فى محافل الماســـون كلها يهودية ؟ ولم جعلت طبقات الماسونية ثلاث ، لا يرقى فيها أحد من غير اليهود الا الى الطبقة الثانية « الماسونية الملوكيـــة » بشرط أن يجتاز امتحانا صعبا ، يثبت اخلاصـــه وصدق خدماته للماسونية ؟ ولم يحرم على الجوييم ــ أى غير اليهود ــ تحريما باتا الدخول فى « الماسونية الكونية » تلك الطبقة العليا التى لايعرف أحد أعضاءها أو رئيسها أو مركزها ــ حتى ولو كان من عامة اليهود أنفسهم ــ وانما تلقى أوامرها من عل ، كأنها وحى لا تجوز مخالفته ، وقد يقضى بالهلاك على من يخالف أمرا أو يفشى سرا ، ويقولون مع ذلك أن الماسونية ليست شيئا سوى عمل انسانى ، أساســه الاخاء والمساواة !

فهل تحقيق مبادىء الانسانيـــة يوجب تلك السرية الجامدة التى لا تلين ، أو أن الغرض منهـــا هو خـدمة الصهيونية وجلب الســذج من المسيحيــين والمسلمين ليكونوا مطايا طوع ارادتها ، ينفذون أغراضها فى الهيئات والحكومات ، وتسوقهم سوقا وهم عمى لا يبصرون ، وصم لا يسمعون .. يود أحدهم أن يصبح أستاذا أعظم ولا يدرك أنه سيصبح خادما أعظم للصهيونية ، يسخر لتنفيذ مآربها فى الاعمال التجارية والصناعية والسياسية ، ويستخــدم

كأداة للتجسس فى الهيئات ودور الحكومات لمعرفة أسرارها تحت ستار خدمة الانسانية ، بينما الصهيونية لا تهدف الى شيء سوى تحطيم الدول المسيحية والاسلامية ، وتفكيك أواصر الامم غير اليهودية

وقد ظهرت آثار النشاط الماسونى فى الثورات المسيحية التى أطاحت برءوس الكثيرين ، وبطمأنينة البلاد والشعوب ، وفى انقسام الدول المسيحية الى معسكرات متعادلة تتقاتل وتتناحر ، وتسخر العلم والمال فى تجويد أساليب الفتك والتدمير ، بدل أن تنصرف الى السلم وتتعاون على خدمة البشرية ورفع مستوى الحياة . وقد وصل العداء الى ذروته ، وقامت الحرب العالمية الاولى والثانية ، ولا يبعد أن تقوم حرب ثالثة فى وقت قريب

ثالثا : كانت آمال الصهيونية الاولى استرجاع أورشليم ، واسترجاع فلسطين كلها .. وهى مكان التقديس عند أنصار عيسى وأنصار محمد ، ففى فلسطين كنيسة بيت لحم ، حيث ولد السيد المسيح ، وفى أورشليم كنيسة القيامة ، محل قبر السيد المسيح .. وفيها المسجد الاقصى ، وفيها محل البراق الشريف .. وفيها أضرحة الانبياء ، لكن اليهود يسخرون من هذه الذكريات وهذه المقدسات ، ويريدون أن يضعوا أيديهم عليها

ثم اتسعت آمالهم ، فأرادوا أن يكون ملكهم من الفرات الى النيل كما جاء فى توراتهم وكتبهم المقدسة ، وهم يذكرونه فى أناشيدهم ، وسطروه على باب برلمانهم .. ثم تولدت عندهم الرغبة فى السيطرة على العالم كله ، بعد تحطيم دول الكافرين – وهم المسيحيون والمسلمون – وقرارات حكمائهم تثبت ما نقول ، بينما المسيحيون والمسلمون فى غفلة عما يعملون

رابعا : من أقوى المسائل التى تساعد الصهيونية على تحقيق أغراضها تغلغل اليهود فى الهيئات وادارات الحكم، وقد وصلوا الى أن يكون بعضهم من الوزارة فى الدول المسيحية والاسلامية ، ومن أعضاء المجالس النيابية ومن كبار الساسة والعلماء .. وتسللوا كذلك الى معاهد التربية والتعليم يبثون تعاليمهم ، والى معاهد الفنون الجميلة ، وسيطروا على البيوت المالية والبورصات وعلى الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الانباء والسينما ، حتى أصبحوا يوجهون التفكير المسيحى والاسلامى ، ويخدعون هؤلاء وهؤلاء باسم حرية القول والنشر ، ويدفعونهم الى هجر عقائدهم وتقاليدهم وآدابهم الموروثة ، مما أدى بهتلر الى أن يستصرخ العالم ضدهم ، لا لانه من ذوى التقى والورع .. ولكنه أراد انقاذ أمته والعالم من هذا الشر الوبيل الذى استشرى فى الامم المسيحية ، ومن هذا السم الذى سرى فى أجسام غير اليهود

ومن المعلوم بداهة أن الشعب الالمانى من أرقى شعوب العالم ، وأكثرها علما وفنا ووطنية ، وله من المناعة ماكان يصح أن يحميه من أعمال الصهيونية .. لكن هتلر رغم هذا كله قد لمس فى أمته ما أضعفها وكاد يقضى عليها ، فكيف بالامم الاخرى التى ليست لها هذه المناعة ؟ !

خامسا : يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار ، ويرون أنهم أرقى الامم دينا وعنصرا ، وان الامم الاخرى لم تخلق الا كالانعام لخدمة السادة المختارين .. ونجم عن هذا الاعتقاد أن أصبح اليهود جميعا كتلة واحدة فى مشارق الارض ومغاربها ، يتعاونون فيما بينهم ويحتكرون التعامل فى المال والتجارة ، ووكالة المنشآت التجارية وغيرها ، ويأتمن اليهودى الانجليزى ــ مثلا ــ اليهودى

اليمنى ويساعده ، ولو لم يعرفه ولم يره ، ويراسله كأخ شقيق وان كان أحدهما لا يعرف سوى الانجليزية والآخر سوى العربية . ويعتبر اليهودى الانجليزى نفسه مواطنا لليهودى اليمنى ، واليهودى الامريكى مواطنـــا للعراقى واليوناني .. فوطنهم جميعا واحد ، وهو الدين والعنصرية، ولا عبرة بالجنسية الرسمية الانجليـــزية أو اليمنية أو الامريكية وغيرها

سادسا : اتسع نشاط اليهود ، وارتفع شــأنهم المالى والاقتصادى والسياسى ، وقويت شوكتهم فى السياســة والتجسس .. وبعد أن هاجر كثير منهـــم الى الولايات بأمريكا وأصبحوا هناك ملايين كثيرة ، انتقل مركز الثقل اليهودى الى أمريكا ، وأصبحت نيويورك عاصمة اليهـــود الفعلية لا « تل أبيب » وكثر الاثرياء منهم والسياسيون ، الى درجة أن أصبحوا هم المسيطرين هناك ، وأصبح كل حزب سياسى يتملقهم ويطلب عونهم المالى والتجـــارى والاقتصادى والسياسى .. فبيدهم الان ـ كما يدعون ـ أمر الانتخابات العامة والمشاريع الهامة ، يتزلف اليهم من يتطلع الى رياسة الجمهورية ، سواء أكان من الديموقراطيين أم من الجمهوريين .. ويتملقهـــم من يبغى أن يكون حاكم نيويورك ولهم نفوذهم فى المحكمـــة العليا ، وفى البرلمـــان (الكونجرس) ، ولهم تأثيرهـــم فى الانتخـــابات الاقليميـــة والمشاريع المالية

فلا غرابة بعد هذا اذا تملقهم ترومان وغيره .. ولا غرابة اذا اندفع فى الملق والخطأ بعض الساســـة الامريكيـــين ، وأصبحوا أشد حماسة لليهود من تشرشل نفسه .. بل ان رجال الدين المسيحى هناك تأثروا بهم ، الى حد ان عقد خمسة آلاف قسيس بروتستانتى أمريكى مؤتمرا فى فبراير سنة ١٩٤٥ وقعوا فيـــه مذكرة أرسلوها الى الرئيس

ترومان ، يظهـــرون فيها شديد عطفهم على القضيـــة الصهيونية ، ويطالبون بفتح أبواب الهجرة الى فلسطين

وقد بادر ترومان ـ الذى أحاط به نفـر من اليهـود ذوى النفوذ ، أخص بالذكر منهم « دافيد نايلز » وكان مستشار البيت الابيض ـ بادر باعـــلان اعترافه بدولة اسرائيل قبل أى انسان آخر ، وبعد دقائق من قيامها فى صبيحة يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، ثم أعقبه ستالين .. وما ذلك الا لان الثورة البلشفية كانت عملا يهوديا كما قلنا

ولا يدهش المرء بعـــد الذى ذكرناه أن يرى الخصمين اللدودين ـ الروس والامريكان ـ لم يتفقا على أمر الا على الاعتراف بدولة اسرائيل ، أى الاعتراف بطرد شعب يقيم فى بلاده من آلاف السنين ـ قبل الاســلام والمسيحيـــة واليهودية ـ ليحل محله خليط من أمم مختلطـــة ، تكون دولة منه

وما يزال ترومان ـ بعد أن ترك رئاســـة الجمهـورية الامريكية ـ يوالى تصريحاته بوجوب صيـــانة هذه الدولة المصطنعة . وسيحصد المسيحيون فى المستقبل ما زرعه ولاة أمورهم ، ظانين أن ما صنعوه كان ضد العرب وحدهم ، مسيحيين كانوا أو مسلمين

سابعا : ان اليهود وقد اطمأنوا الى تكوين حكومة لهـــم طالبوا الالمان والنمساويين بتعويضات باهظة ، فبـــادر الحلفاء المسيحيون المحتلون لهذه البلاد المهزومة بتأييـــد طلب اليهود ، وأكرهـــوا الالمان والنمســاويين على دفع تعويضات ثقيلة ، وذلك رغم أن أصبح لليهود دولة ، وبعد أن رجع كثير منهم الى المانيا والنمسا واحتلوا هناك مراكز خطيرة مالية واقتصادية وسياسية

وهؤلاء الحلفاء المسيحيون هم الذين يأبون على عـــرب

فلسطين ان يرجعوا الى وطنهم ، او تعويضهم عما فقدوه من اموالهم واراضيهم وارواح ذويهم ، وتركوهم مشردين خارج بلادهم ، يقاسون الجوع والمرض .. وفوق ذلك فان امريكا مازالت هى وحليفاتها تمد اسرائيل بالمال الكثير ، والسلاح والذخيرة ، وتحرم العرب من هذا كله !

ومن غريب ما حدث أن تقرر هيئة الامم المتحدة مرارا عودة العرب الى أوطانهم وتعويضهم بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، و ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، و ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، و ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، و ٢٦ ينـاير سنة ١٩٥٢ ، ثم تبقى هذه القرارات حبرا على ورق .. والاقوياء يعلمون أنهم أصدروها لتكون كذلك ولن ينفذوها، ككل وعود الشرف التى يعلنها الاستعمار

ثامنا : أحيت دولة اسرائيل اللغة العبرية المنـدثرة ، وجعلتها لغة البلاد الرسمية .. ولانها تعتبر جميع يهود الارض مواطنين لدولة اسرائيـل فقـد افتتحت مدارس للغة العبرية فى الولايات المتحدة الامريكية لليهود الامريكيين

ولقد سمعت بنفسى من اذاعة اسرائيل فى آخر نوفمبر سنة ١٩٥٣ ان المدارس العبرية التى افتتحها اليهـود فى الولايات المتحدة بلغت الى ذلك التاريخ ١٦٨ مدرسـة .. وما زالت الصهيونية دائبة على نشر اللغة العبرية فى قلب امريكا . ولا ندرى لاى سبب يسعى اليهود فى نشر هـذه اللغة المندثرة الا اذا كانوا يريدون بلبلة الافكار ، ومنـع يهود أمريكا من التعلم فى غير تلك المدارس ، والعمل فى تلك البلاد بلغة لايفهمها غيرهم .. مع العلم بأن اليهـود فى فلسطين لا يسمحون بانشاء أية مدرسة أجنبية ولو كانت علمانية ، غير تبشيرية !

وحدث أن وزير المعارف هناك صرح بفتح مدرسة أجنبية

علمانية ، فقامت ضجة كبيرة كادت تودى بمركز الوزير . . لولا أن أعلنت الوزارة فى ذلك الوقت سحب التصريح ، وأوقفت تأسيس المدرسة

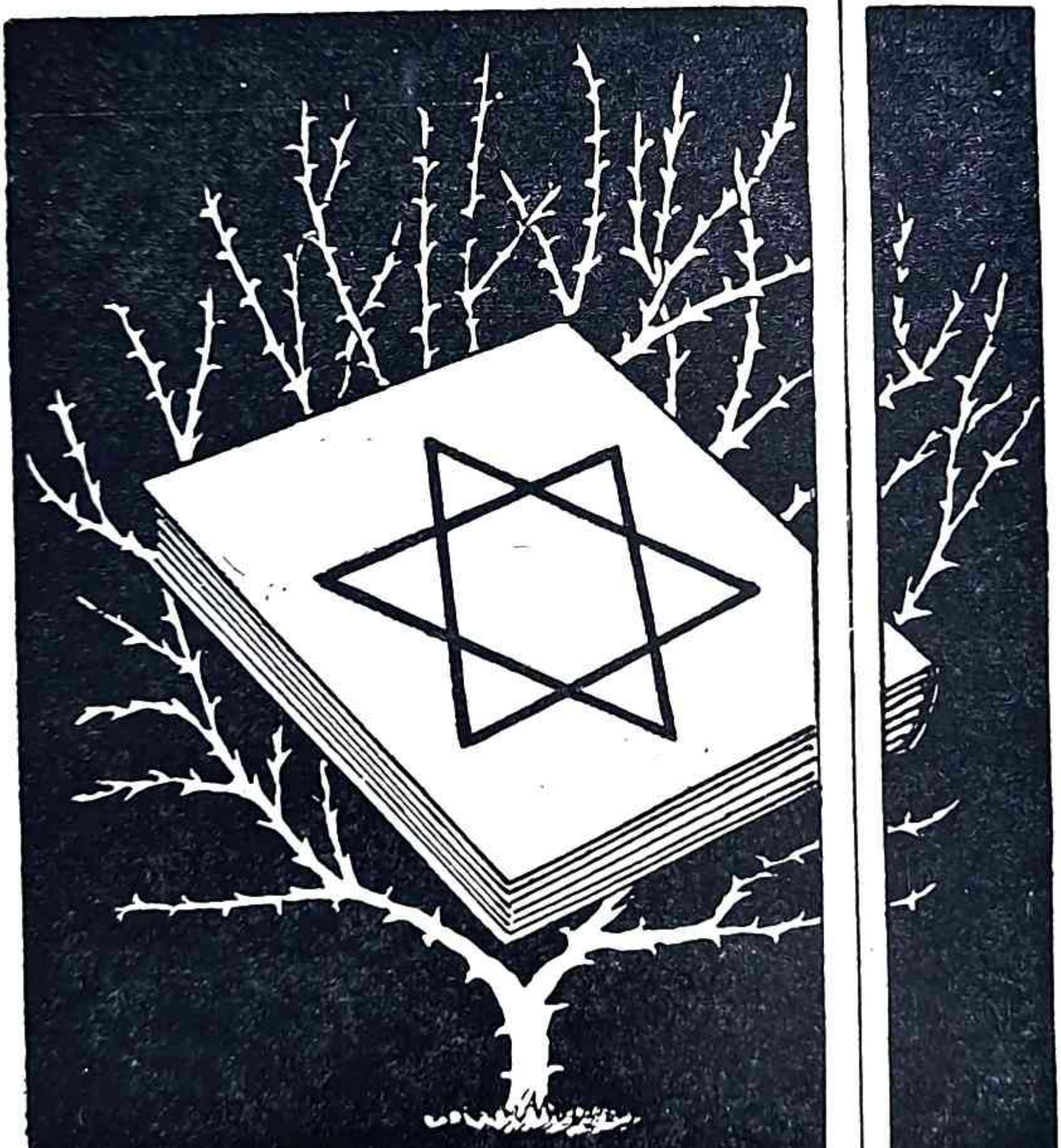
***

هذا ماتصنعه اسرائيل بجوارنا ، وهو يدل على انها تعمل بروح وطنية وعنصرية ودينية ، ونحن نفتح بلادنا لسموم التبشير تضعفنا فى ديننا ودنيانا وتقاليدنا . .

ان الامة التى تريد صيانة نفسها يجب عليها أن توحد برامجها ، وتعلم أبناءها تعليما وطنيا عاما سليما ، وتمنعهم من الدخول فى المدارس الاجنبية ، كى لا تلوث عقولهم بجراثيم أجنبية تضعف فى النشء روح الوطنية الصحيحة

الفصل الخامس

■ إسرائيل



ماهي إسرائيل ؟

قامت دولة اسرائيل نتيجة مؤامرة بين الصهيونية وساسة انجلترا وأمريكا .. فمهدت انجلترا الخطوات الاولى ، باصدارها وعد بلفور ، وبتعيين سير صمويل اليهودى وغيره من الانجليز فى فلسطين ، وبتسهيل هجرة اليهود اليها ، حتى اذا تراخت بعض الشىء ، قام ترومان رئيس الولايات المتحدة وأتم ما أرادت الصهيونية ، فأمد اليهود بالاسلحة والذخائر ، وحرم العرب من كل عون ، ورجع عن تقسيم فلسطين رغبة فى اعطائها كلها لليهود .. ثم ان انجلترا وأمريكا تركتا اليهود يفعلون ما يشاءون ، من اخراج العرب من ديارهم ، وتجريدهم من أموالهم ، وتقتيلهم وتشريدهم ، وسكتتا على مخالفاتهم لقرارات الامم المتحدة ، ومجلس الامن ، وقرارات مايسمونه «لجنة الهدنة» وعلى اعتداءاتهم المتكررة على لبنان وسوريا والاردن ومصر

وكل ذلك أدلة قاطعة على أن مؤامرة واسعة النطاق بين اليهود ، وبعض ولاة الامور فى انجلترا وأمريكا ، مازالت قائمة لاخضاع العرب واذلالهم ونهب أموالهم وطردهم وتركهم مشردين فى بقاع الارض ، يقاسون الجوع والعرى والمرض ، مشتتين حول فلسطين ، ينظرون اليها ولا يجرءون على الرجوع الى مساكنهم ، عالمين أن وراء اليهود

اسلحة انجلترا وامريكا وهيئاتها المالية ، فوق أموال الصهيونية العالمية

فدولة اسرائيل اذن وليدة الظلم والعدوان ، وهى ليست كسائر الدول .. فهى دولة دينية عنصرية ينبئك اسمها بحقيقتها ، فهى تتخذ اسم اسرائيل (أى النبى يعقوب) ، وهى لبنيه كما يدعون ، ولا يوجد فى العالم الآن دولة تحمل اسم نبى من الانبياء .. فهل لمسيحيى الارض ومسلميها ان يفقهوا ذلك ؟ .. وأن يتعاونوا لصيانة فلسطين المقدسة عندهم من عدوان دينى عنصرى كهذا العدوان ؟ .. وهل للمسيحيين والمسلمين أن يفقهوا أن عقيدة اليهود تحضهم على الغزو والفتح ، الى أن يتم لهم ما أرادته التوراة ، من امتلاك البقاع الواقعة بين الفرات والنيل

ان اسرائيل تريد استدامة ضعف الدول العربية ، ليتيسر لها التوسع شيئا فشيئا ، ومن سياستها أن تفرق بين جاراتها حتى تسقطها واحدة بعد أخرى .. وهى تهتم بتقوية جيشها البرى والبحرى والجوى ، تقوية لاتتناسب مع ميزانيتها ، استعدادا ليوم تضرب فيه الضربة أو الضربات القاضية ، ولديها الآن من القوة مايخيف .. فجيشها من رجال ونساء قد يصل الى مائتى ألف جندى مزودين بأحدث الاسلحة ، وفى فلسطين مستعمرات هى قلاع من الاسمنت المسلح فيها من الاسلحة مايكفى لصد العدوان ، الى أن يتم جمع الجيش المنظم من الجيش الاحتياطى والمتطوعين من يهود الارض

وقد جهزت كل قادر على حمل السلاح بأسلحته حتى اذا نفخ فى الصور تجمع جيشها الاحتياطى فى اقرب وقت ، وقد اتخذت فى ذلك خطة سويسرا فى أن يكون لكل مواطن سلاحه وملبسه العسكرى فى مسكنه وفى متناول يده

ومن المعلوم أن تقارير بعض اللجان التى ارسلتها انجلترا للتحقيق فى أمر فلسطين ، أثبتت أن أرض فلسطين لايمكن أن تستوعب من اليهود أكثر ممن دخلوا اليها مع العـرب أصحابها ، وأن زيادة الهجرة موجبة لعجز البلاد عن تغذية سكانها ، ونصحت بوقف الهجرة تماما .. ورغم أن فلسطين صغيرة المساحة فان حكومة اسرائيل ما زالت تجلب اليها المهاجرين ، وتكثر من عددهم ، حتى اذا ضاقت الرقعـة بمن فيها احتجت بعدم قدرتها على تغذيتهم ، واغتصبت من جاراتها أرضا توسع بها مجال حياتها .. ثم تعود الى جلب المهاجرين ، فتعود الى الاغتصـــاب والفتح ، وهى مطمئنة الى معونة انجلترا وأمريكا ويهود الارض جميعـا وصمت هيئة الامم المتحدة ورغبتها عن مناصرة العرب

وهاهى ذى اسرائيل قد بدأت الان فى تنفيذ برنامجهـا هذا آمنة مطمئنة ، معتمدة على المساعدات الرسمية وغير الرسمية التى تغدق عليها .. بينما العرب لا مغيث لهـم ولا مجير ، تضعهم قوى الاستعمار دائما أمام الامر الواقع ، وتكتفى بالعطف عليهم عطفا كلاميا هو التخدير بعينه .. فليفهم العرب ذلك وليكونوا منه على بينة

دسائس اليهود

ان اليهود ـ وعددهم فى العالم كله أقل من عدد المصريين وحدهم ـ وحدة لا تنفصم عراها ، وكل يهودى فى أى بلد من بلاد العالم يعتقد أن وطنه هو الصهيونيـة ، ومركزها فى فلسطين . ومهما تتعدد الجنسيات الرسمية بين اليهود ، ويظن الناس أن هذا انجليزى وذلك أمريكى والاخر فرنسى أو روسى فانهم جميعا مواطنون صهيونيون

وما تلك الجنسيات الرسمية الا اجراءات شكلية يتوارى

خلفها اليهودى وهو فى حقيقته صهيونى لحما ودما . . فحكومة اسرائيل ان هى الا يهود الارض جميعا ، يمدونها بما يستطيعون ، ويعادون اية امة او حكومة تفكر فى معاداة حكومتهم .. هم عيون لاسرائيل فى البلاد التى ينتمون اليها ، وهم عند الضرورة يخربون الاوطان التى تؤويهم ولو كانت انجلترا وأمريكا ، فى سبيل وطنهم الدينى

هذا ما يجب أن يفهمه العرب ، ويفهمه المسلمون والمسيحيون جميعا ..

وتسعى الصهيونية فى اضعاف العرب بوسائل أصبحت مكشوفة منها :

أولاً : الجاسوسية .. فلاسرائيل مخابرات وعيون فى جميع البلاد العربية ، تعرف بها أدق الاعمال الادارية والسياسية ، وما خفى من استعدادات عسكرية ..وهى تستعين على ذلك فوق جواسيسها ، بمؤسساتها وهيئاتها كالماسونية وأندية الروتارى وغيرها

ثانيا : نشر المبادىء الهدامة .. فالصهيونية هى التى قلبت نظام الحكم فى روسيا بثورة سنة ١٩١٧ الجامحة ونشرت الشيوعية ، وأن كبار مؤسسى الشيوعية من الصهيونيين .. فلا يبعد بعد ذلك أن تحاول نشر هذه المبادىء فى بلد هادىء كمصر أو البلاد العربية ..والعجيب ان جماعات الشيوعية فى مصر يرأسها رجال من كبار الماليين الصهيونيين ، وما ذلك الا تنفيذا لقرارات حكمائهم فى ضرورة افساد العالم وتحطيم أنظمته ، وهم يتخذون لكل أمة أسلوبا يسيرون عليه ويبشرون به .. فهم بين العمال والفقراء يحبذون الشيوعية لدفعهم الى الفوضى والاضطراب ، وبين الاغنياء ورجال الاعمال يسعون الى الرأسمالية ويحبذونها ، وفى الوقت ذاته يسعون فى ايجاد

الفتن بين الطبقات واثارة الحروب بين الشعوب ، وهم يغنمون فى السلم والحرب ولو كانت حربا باردة .. ولم يكشف أمرهم ويعرف حقيقتهم سوى هتلر وانصاره . ولم يكن هتلر رجل دين وتقوى كما قلنا انما كان من عامة الناس ، فهم الصهيونية وأراد أن ينتشل بلده من مساوئها

ومن واجب البلاد العربية ، وخاصة مصر ، أن تشدد الرقابة على أنصار الشيوعية وجلهم من الصهيونيين أو أتباعهم ، ومن واجبها أن تنشط مخابراتها الخارجية والداخلية لتقف على حقيقة أعمال اسرائيل فى بلادها ، وكيف تهرب مصنوعاتها ، وتجلب من بلاد العرب المواد اللازمة لها ، ولتقف على قوة جيشها وحالتها الاقتصادية

ثالثا : تجارة المخدرات .. فاسرائيل تعلم أن للمخدرات أقوى الاثر فى اضعاف الشعوب ، ماديا وأدبيا ، جسمانيا وعقليا .. ولهذا تسعى الصهيونية فى ادخال المخدرات كالحشيش والافيون الى مصر وغيرها . ومن نكد الطالع أن فئة من المهربين العرب تقترف هذه الآثام فى حق بلادهم وفى حق مصر ، فالى متى يستمر هؤلاء فى قتل ذويهم وأوطانهم بتلك المخدرات، وتجارتها ليست سوى الانتحار، فمن يتاجر فيها انما يقتل أمته ولا يغنم من ذلك سوى الصهيونيين

كيف نتقى خطر الصهيونية ؟

ظهر مما سبق للصهيونية من تدبيرات ترمى الى تحقيق أغراضها السياسية والاستعمارية ، عملا بما توحى به كتبهم المقدسة من توراة وتلمود وغيرهما ، وبما توصى به قرارات حكمائهم التى ذكرنا ملخصاتها ، وبما استقر فى

أذهان اليهود من اعتقاد راسخ انهم الشعب الذى اختاره الله لحكم العباد ، وأن دينهم أرقى الاديان وعنصرهم أرقى العناصر ، وأن باقى البشر ليسوا سوى مخلوقات منحطة، خلقها الله لخدمة اليهود ، ولتكون تحت امرتهم وسلطانهم

ولهذا يجب علينا أن نسعى فى اتخاذ الوسائل التى تكفل حفظ كياننا وتدفع الشر عنـــا ، والا سقطنـا فى شراك الصهيونية لا محالة

وخير الوسائل ما يأتى :

أولا : يجب أن يعرف العـرب ـ مسيحيـين كانوا أو مسلمين ـ ان اسرائيل ليست دولة كسائر الدول ، وانما هى مجموعة دينية عنصريةمتعصبة ، اصطنعها لويدجورج، وتشرشل ، وترومان ، ومن سار سيرتهـم . ومادامت القوى البريطانية والامريكية وغيرها تؤيد اسرائيل وتعينها، فليس من الميسور أن نقضى عليها عسكريا .. لكن هناك قوة ليست بالحديد والنار نستطيع بها أن ننتصر ، تلك هى مقاطعة اسرائيل الباغية اقتصاديا ، وهى أقوى سلاح نثيره فى وجهها ، ولا يتطلب سوى التضامن النزيه ، وليس لفرد أو دولة أن تعارضنا فيه اذا كنا من ذوى البصيرة والخلق القويم .

فاسرائيل دولة تقوم على أساسين : الهبات التى ترسل اليها من أمريكا وانجلتـرا وغيرهما ، وتصريف انتاجهـا القومى

أما الهبات والعطايا فتلك أمور مؤقتة ، لا تضان بها أو تعيش عليها دولة .. وأما تصريف الانتاج القـــومى فهو الذى ينهض بالدول ويضمن حياتها .. واسرائيل لايمكنها أن تعيش بغير أســواق الامم المحيطـة بها المتخلفة فى الصناعة . وهى تعتبر الشرق الاوسط العميل الوحيـد

الذى تبنى عليه آمالها ، كما ترى ان اوربا وامريكا بلاد متحضرة ليست فى حاجة الى صناعة اسرائيل او تجارتها

تلك حقيقة يجب أن نفهمها جميعا .. فاذا نحن قاطعنا اسرائيل ، وأحكمنا المقاطعة بنزاهة وقوة وايمان ، قضينا لا محالة على هذه الدولة الدخيلة

أما اذا تهاونا وأسففنا فى أخلاقنا وتنازعنا وتحاسدنا ، وضاعت الثقة من بين صفوفنا ، سقطنا أمة بعد أخرى كما تسقط أوراق الخريف

وليعلم كل عربى أن اسرائيل جادة مجتهدة ، وأن اليهود متعصبون لدينهم وعنصرهم الى أقصى الحدود .. ولهم ما يساعدهم من النشاط والتضامن ، وأنهم بفضل المساعدات الاجنبية سيستثمرون كل شبر مما يحتلونه ، وسيمدون السكك الحديدية ، ويهيئون الطرقات ، ويقيمون المصانع ، ويستثمرون صحراء النقب بما يأخذونه من مياه الاردن . وسيوسعون مرفأ « ايلات » على خليج العقبة ، تمخر منه بواخرهم الى الشرق كما تمخر الآن بواخرهم من حيفا وغيرها الى الغرب .. وبذلك يكون لهم أسطول تجارى فى البحر الابيض المتوسط الى أوربا وأمريكا ، وآخر من خليج العقبة الى أفريقيا وآسيا ، دون احتياج الى المرور فى قناة السويس .. ولكن صادراتها لن تجد سوقا رائجة الا فى بلاد الشرق الاوسط

وأملنا أن تفيق الامم العربية من غفوتها ، وأن تتعاون على الاستغناء عما تصدره هذه الدولة .. فان صادراتها أن نجحت كانت أغلالا فى أعناق الامم العربية تنتهى بنا الى سوء المصير

ثانيا : ثبت أن اسرائيل تقوم على أساس الدين والعنصر . ومادام الأمر كذلك فعلى المسيحيين والمسلمين أن يصونوا

انفسهم من التعاليم الضارة التى يبثها الصهيونيون .. وعلى أهل ايران والافغان والهند والباكستان وأندونيسيا والملايو والصين ومسيحيى الحبشة ومسلميها وغيرهم ان يصونوا أنفسهم من وباء التعاليم الصهيونية، وان يتضامنوا مع العرب فى مقاطعتها اقتصاديا كى لا يجعلوا للصهيونية سبيلا الى تسرب سمومها اليهم ، فهى لا تكن لتلك الامم جميعا سوى الكراهية والبغضاء ، ولا تبغى سوى السيطرة عليهم واستغلالهم

ثالثا : انى أدعو الامم العربية عامة ومصر خاصة الى محو الجمعيات الماسونية فى بلادها ، وما يتبعها من أندية الروتارى المختلطة ومؤتمرات السلام المسمومة .. فان هذه الهيئات جميعا ليست سوى مؤسسات صهيونية ابتكرها اليهود لتخدير المسيحيين أولا والمسلمين ثانيا تحت ستار الاخاء الانسانى ، حتى يصلوا بهذه المسميات البراقة الى تغلغل الصهيونيين فيما بينهم ، والوصول الى قضاء مآربهم وافساد المجتمعات غير اليهودية ، والقضاء على حريات العالم تنفيذا لقرارات حكمائهم وأوامر توراتهم وتلمودهم

وقد أحس كثير من الغربيين بما تهدف اليه الصهيونية، وما سببته من ثورات وانقلابات وفساد فى علاقات الامم . فنشروا مؤلفات عديدة ، وكتبوا فى الصحف كثيرا عن الخطر الصهيونى ، وحذروا أممهم من مغبة أعمال الصهيونية وتدبيراتها الخفية بعد أن ظهر ان الداء قد استشرى فى هذه الامم ، وأن قوة الصهيونية قد نمت بذورها فى الدوائر الحكومية وغير الحكومية ، فسيطر الصهيونيون على دور الصناعة والتجارة وبيوت المال ودور العلم والفن ، وتغلغلوا فى المجالس النيابية وفى

الوزارات ، واصبح كثير منهم من وزراء انجلترا ونوابها ومستشارى هيئاتها وعلمائها وفنانيها ورجال النشر والاذاعة فيها واحتكروا المرافق الحيوية فى تلك البلاد ، كما احتكروها فى أمريكا وبخاصة فى نيويورك ، وتغلغلوا فى الكونجرس والقضاء العالى وهيئة الامم المتحدة وسكرتيريتها ، وكذلك فى مجلس الامن . وهم رجال المال والتجارة والصناعة هناك . ويشيعون أن لهم القدح المعلى فى انتخابات رئاسة الجمهورية وحاكم نيويورك كما أسلفنا .

فالداء قد أصبح عضالا ، ويجب على الامم المسيحية أن تفيق من غفوتها وأن تعالج نفسها مما وقعت فيه واستسلمت اليه قبل أن يستعصى الداء ويعز الدواء

رابعا : ثبت مما ذكرناه أن الصلح مع اسرائيل جريمة لاتغتفر ، وأن معناه ان تم تبادل التجارة والتعامل ، فتتاح الفرصة لاسرائيل أن تغزو أسواقنا وتسلب أموالنا وتخضعنا لارادتها ، وتنفذ فينا ما صممت عليه من بسط سلطانها على الشرق من الفرات الى النيل وما وراء ذلك ، ولا توجد فى الارض قوة تلزمنا هذا الصلح ، فاننا لانحارب ولايصح أن نفكر فى محاربتها ، لان حربنا معها هى حرب ضد المستعمرين الاقوياء الذين يؤازرون الصهيونية ويخضعون لها من حيث لا يعلمون ، ولكن فى مكنتنا الا نصالح وفى مكنتنا الا نعامل الصهيونية ، وهذا أقل مايجب عمله على الضعيف المساوب الحق ، القوى الايمان ، وذخيرته تماسكه وقوة خلقه ونهضته

خامسا : ان اسرائيل تبذل جهودا جبارة لتحيى « صحراء النقب » ولايعوقها عنها الى الآن عائق ، ولنا بجوارها شبه جزيرة سيناء ليس فيها من عمل ، مع أنها تحوى من الكنوز ما لا يخفى على أحد ، ثم هى الحصن

الاول الذى تدفع به مصر عن نفسها غائلة الصهيونية، فمن الواجب أن نصرف قوانا وجهودنا لتعمير تلك البقاع المترامية الاطراف ، نحيى مواتها بمشاريع عمرانية زراعية وصناعية ، ونجلب اليها الماء من النيل أو من الآبار ومن الامطار والسيول ، وندفع الكثيرين من سكان المناطق المكتظة كالمنوفية والقليوبية الى استعمار تلك الجهات بعد أن نهيىء لهم وسائل العيش فيها وطريقة استثمار أراضيها ، أو نسن تشريعا تستعمر به تلك المنطقة كتشريعات المعمرين التى وضعتها انجلترا وفرنسا لاستعمار أستراليا ونيوزيلنده وجويانا وغيرها

سادسا : قلنا ان الصهيونية خطر على العالم ، وأشده واقع على البلاد العربية ، وان أساسها دينى عنصرى ، فهل للحكومات العربية دفاعا عن كيانها أن تفكر فى تشريعات ضد أى عربى أو غير عربى يقيم فى البلاد العربية اذا ثبت اشتراكه فى أعمال تخدم الصهيونية ، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة كالتجسس وتهريب البضائع فى التصدير أو الاستيراد ، أو دفع هبات لاسرائيل أو شراء أسلحة أو تهريبها لها ، وغير ذلك من الاعمال التى تخل بأمن الوطن العربى وتهدد كيانه

سابعا : الآن وقد تأكدنا أن اسرائيل تعتبر نفسها وطن اليهود جميعا وطنهم الدينى والعنصرى ، وان باقى اليهود المنتشرين فى الارض انما يعتبرون أنفسهم مواطنين اسرائيليين ، ولو كانت لهم جنسيات أجنبية رسمية هى فى الحقيقة صورية ، الغرض منها تسهيل معاشهم واشتراكهم فى ادارة البلاد التى تؤويهم ، وأن اسرائيل طردت الفلسطينيين من أوطانهم ، ولم تقبل عودتهم وتعويضهم رغم قرارات هيئة الامم ، فلم لا تقاطع الامم

العربية جميع الشركات الصهيونية والشركات التىتتعامل مع اسرائيل ووكلاء الشركات متى كانوا يهودا، والسماسرة ورجال الاعمال اليهود من أية جنسية كانوا ، وهذا اقل ما يجب عمله حيال الاعتداء الصارخ الممثل فى اسرائيل

ثامنا : اغتصب الصهيونيون فلسطين وأقاموا بها دولة ثم أحيوا لغتهم العبرية بعد موتها وجعلوها لغةالبلاد الرسمية . وقام يهود الارض يحيون هذه اللغة بما وسعهم من جهد ، وأعلنت اسرائيل فى اذاعتها فى آخر شهر نوفمبر ١٩٥٣ أن عدد المدارس العبرية فى الولايات المتحدة بأمريكا بلغ ١٦٨ مدرسة كما ذكرنا . فاذا كان اليهود فى بقاع الارض قد احيوا لغة ميتة للتفاهم بها فيما بينهم ، أفلا يكون من واجب المسلمين جميعا أن يجعلوا اللغة العربية ـ وهى لغة حية ـ لغة مشتركة فيما بينهم فى التجارةوالصناعة . وأن يجعلوها لغة التخاطبالرسمية بين الحكومات الاسلامية والعربية . وأن تسعى بلاد الافغان وايران وباكستان وإندونيسيا وغيرها فى نشر هذه اللغة بين أبنائها فتقوى بذلك صلات الود والتماسك ، ويزداد التعاون الاقتصادى والسياسى ، وفى هذا من الفوائد ما لا يخفى على أحد . وقد فطنت المؤتمرات الاسلامية التى انعقدت فى كراتشى الى ذلك ، وقررت وجوب جعل اللغة العربية لغة مشتركة بين المسلمين

ومما يدمى القلوب أن تهتم اسرائيل بتعميم اللغة العبرية الدارسة ، ونحن العرب لانهتم بنشر لغتنا العربية الحية ، رغم وجود الرغبة الصادقة لدى الشعوب الاسلامية فى تعلمها لأنها لغة دينهم

لقد لمست ذلك بنفسى عندما كنت سفيرا لبلادى فى الباكستان ، فأرسلت الى حكومتى تقارير أطلب فيها

انشاء ثلاث مدارس ابتدائية مصرية عربية فى « كراتشى » و « لاهور » و « دكا » . على أن تنشأ فيما بعد مدرسة ثانوية هناك . واتفقت وقتئذ مع المرحوم « لياقت على خان » رئيس الوزارة فى ذلك العهد ومع غيره من ذوى النفوذ على ضرورة تنفيذ هذا المشروع الذى يتلهف الباكستانيون على ظهوره ، ولم أجد من حكومتى فى تلك الاوقات سوى التراخى والاعراض ، مع أنها مع الاسف قامت بافتتاح ما تسميه «معاهد للغة العربية» فى «أثينا» و « باريس » و « مدريد » أنفقت عليها مبالغ كبيرة بلا جدوى

تاسعا : وأهم مما سبق كله ، أن مصر يجب أن تنشىء جيشا يليق بمركزها وعدد سكانها وامكانياتها ، وتنفق عليه بسخاء ، فان حياتها وشرفها مرتبطان بقوة جيشها ، وهذا يتطلب قدرة مالية لاتتأتى الا بزيادة الانتاج الزراعى والصناعى والتجارى ، وقدرة فنية لا تتحقق الا بنشر العلوم والفنون فى جميع فروعها المتعددة ، ويقظة كاملة لا يضعفها الخمول والتواكل و لايقتلها التخاذل والتحاسد فان لم نفعل هذا كله فمصيرنا الى الهلاك لا محالة

عاشرا : ثبت أن الولايات المتحدة الامريكية هى الآن المصدر الرئيسى لقوة الصهيونية ، تمدها بالمال والعتاد قبل غيرها وأكثر من غيرها . وأن مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة السابق ــ رغم أنه مسيحى ــ كان أكبر رجل خدم الصهيونية ويخدمها ، وأن مسز روزفلت أرملة الرئيس الاسبق روزفلت ــ وهى مسيحية ايضا ــ هى أكبر سيدة تخدم الصهيونية فى أمريكا ، فهى تقوم بجمع المال وبالدعاية القوية لاسرائيل . وأن انجلترا وغيرها

من الدول المسيحية تساعد اسرائيل ، وأن يهود الارض يخدمونها طبعا

ومعنى هذا أن قوة اسرائيل هى من خارجها . فلماذا اذن لا يتعاون المسلمون مع البلاد العربية على صد اذى اسرائيل ؟ اننى على يقين من أن الامم الاسلامية لو اعلنت تضامنها مع الدول العربية وأيقنت اسرائيل أن الدول الاسلامية لن تقف مكتوفة الايدى أمام العدوان الصهيونى، فان اعتداءاتها على جاراتها المتكررة تقف لا محالة ، وانى أوجه كلمتى هذه بنوع خاص الى الباكستان واندونيسيا وايران والافغان

حادى عشر : تود أمريكا وانجلترا أن يكون الشرق الاوسط ، أو الحكومات العربية الداخلة فى نطاق جامعة الدول العربية ، كتلة واحدة للدفاع عن السلام ، او الدفاع عن العالم الحر ـ كما يقولون ـ وبعبارة أخرى تريد أمريكا وإنجلترا شيئا اسمه الدفاع المشترك ، أو ما يقرب منه ، ومعناه أن تهب الامم العربية وقت الخطر كدولة متراصة قويةلصد أى اعتداء ، لكنأمريكا وانجلترا فوق رضائهما باحتلالكثير من البلاد العربية ظلماوعدوانا، قد خلقت دولة اسرائيل ومنعت الاتصال بين الامم العربية وشطرتها شطرين ، فلا يمكن لمصر مثلا أن تتصل بالاردن أو العراق أو سوريا أو لبنان الا اذا اخترقت الاراضى التى أعطيت لاسرائيل ، ولن يكون هذا الا اذا سمحتاسرائيل، ومعناه ضرورة الاتفاق مع اسرائيل وجعل الكل كتلة واحدة . وبعبارة أخرى معناه اندماج اسرائيل فى دول الشرق العربى ، وجعل هذه الدولة الدخيلة حليفة صديقة ، والاعتراف بها والتعاون معها ، الامر الذى لا يطيقه أى عربى فيه مسحة من عقل ، لأن معناه انحلال

هذه الدول العربية وتعريض استقلالها للضياع وتغلغل الصهيونية فيها ، وتمكنها من تنفيذ مشاريعها البعيدة

والويل للدول العربية اذا هى دخلت فى دفاع مشترك ، وانتهزت اسرائيل فرصة اشتباكها فى حرب وطعنتها فى ظهرها أملا فى الوصول الى اغتصاب شيء من اراضيها ، ولو بالاتفاق مع العدو المعتدى على الامم العربية والشرق الاوسط ، كما يجب علينا ازالة هذا الدخيل حتى يمكننا أن ننفذ ميثاق الضمان الجماعى العربي على اكمل وجه

خاتمة

أن خلق دولة اسرائيل وضع شاذ ، فأحد أمرين :

اما أن يستمر وجودها فيستمر اعتداؤها على جاراتها، ساخرة بقرارات هيئة الامم المتحدة ، مطمئنة الى رضا دول الاستعمار ، أملا فى تنفيذ مشروعها الخطير وهو انشاء دولة من الفرات الى النيل

وهذا خطر داهم يهدد كياننا ، ويجعلنا نعيش دائما فى قلق شديد

واما أن يرجع اليهود الى أوطانهم الاصلية أو يوزعوا على دول العالم كل دولة بقدر طاقتها ، كما اقترح المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود على الرئيس الراحل روزفلت عندما قابله على ظهر الباخرة فى مياه مصر . وهو نفس ما اقترحته بعض الدول أمام هيئة الامم المتحدة . وهذا هو الحل الوحيد

ولا يصح ان يقال ان اسرائيل أمر واقع لا يجوز ازالته ، فان اسرائيل وليدة جريمة ونتيجة مؤامرات آثمة ، وكل جريمة هى أمر واقع لا يجوز اقراره والرضوخ لنتائجه ، فاذا كانت هيئة الامم المتحدة تبغى حقا تنفيذ برنامجها

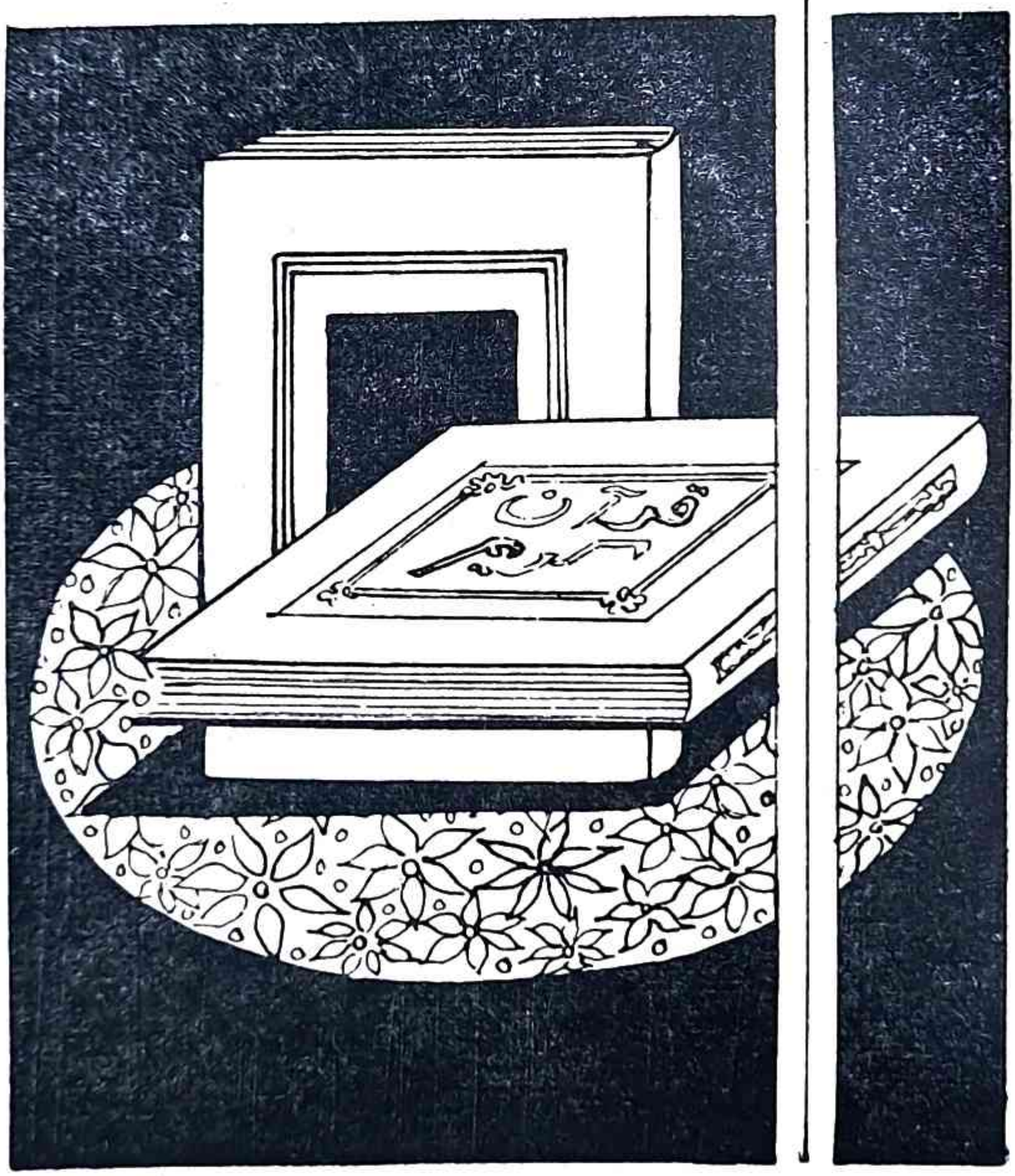
والاحتفاظ بكرامتها واسـباب وجـودها ، وجب عليهـا ازالة آثار أى أمر واقع لأية جريمة ، والا كان وجـود الهيئة هزؤا ولعبا

وعلى هـذا فالحل الوحيـد هو ارجاع اليهـود الى أوطانهم ، أو توزيعهم فى الاقطار المختلفة ، على أن يكونوا مواطنين مخلصين للدول التى تؤويهـم وتكسـبهم جنسـيتها ، وأن تنشط الحكومات فوق ذلك لمنع شرور الصهيونية العالمية نشاطا كبيرا ، وبغير هذا لن يكون سلام فوق الارض

وهأنا قد بلغت .. اللهم فاشهد ...

الفصل السادس

الديمقراطية والإسلام



الديمقراطية فى الإسلام

ظهر الاسلام فى بقعة جرداء ، وفى بلد ما كان الناس يعرفون فيه سوى الغزو والتناحر والخمر والميسر وعبادة الاوثان ، وكانت الامية هى السائدة فى هذا الشعب .. شأنها فى كل شعب يسيطر فيه القوى على الضعيف ، وكان الحق للقوة القبلية ، وبالجملة كان هذا الركن من العالم مباءة شر وشقاء وحروب وتقاتل ومنبع رذائل

فى هذه الظلمات ظهر نور الاسلام .. والمتتبع لأوامر الوحى الذى هبط على الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، يعلم أن الدين الاسلامى بدأ بتطهير النفوس من الرجس ، وتكريم الانسان كانسان له منزلته وكرامته، جاعلا أساس العقيدة وحدانية الله جل شأنه ، وأن نبيه محمدا ما هو الا عبد لله ، بعثه الله رحمة للعالمين

توالى نزول الوحى على هذا الرسول الامين ـ لارشاد الناس وتطهير النفوس من الأدران والجهالات والمعتقدات الفاسدة ، وغرس العقيدة الصحيحة ـ طول اقامة الرسول الكريم فى مكة ، فلما استقر الدين وتركزت مبادئه فى قلوب من آمنوا به وهاجر رسول الله الى المدينة ، اخذ الوحى ينزل بالأنظمة والتوجيهات الواردة فى كتاب الله ، ولم يزل التشريع يتدرج حتى أتمه الله واعلن

القرآن الكريم هذا التمام بقوله تعالى : « اليوم أكملت لـكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لـكم الاسلام دينـا »

ويكفى لتأييد ما نقول أن ترجع الى الآيات المـكية ، وأن تقارنها بالآيات المدنية ، لترى كيف عنى القرآن قبل أن يبنى الاسلام ذلك البناء التشريعى الشامخ بتطهير النفس وارسائهـا فى جانب العقيدة والخلق على أسـس صالحة حتى يكون العمل فى نظم الحياة الدنيا قائما على أساس سليم

أما هذه المبادىء الأولى التى قام عليها الاسلام لتطهير النفوس من أدران الأزمنة الغابرة ومفاسدها فكثيرة ، نجتزىء منها بما يأتى :

(١) وحدانية الله جل شأنه فهو الاله الذى يستحق وحـده أن يعبد لأنه الخـالق البـارىء الذى يعلم السر والعـلن

(٢) أن نبيه ورسوله الذى يتلقى الوحى عنه ما هو الا عبد له كسائر أنبياء الله ورسله وسائر الناس

(٣) أن دين الاسلام ليس خاصا ببقعة أو شعب من الشعوب ، وانما هو دعوة الهية وعقيدة عامة عالمية لتطهير نفوس الناس كافة

(٤) أن الله جل شأنه كرم بنى آدم ، وسوى بينهم ، فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ، وليس فى الدين طبقات ، وقد أقام الاسلام فكرة التعاون بين الناس على أساس متين من الفضيلة والايثار ورعاية الرحم الانسانية لخيرهم جميعا « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم »

(٥) دستور الاسلام هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ، واقول الصحيحة الثابتة ، لأن كثيرا من الأحاديث قد وضعها اعداء الاسلام ودسوها على المسلمين ، وقد تجرد العلماء لبيان ما صح وما لم يصح بعد تمحيصها ومراجعة سندها ، ووضعوا لذلك قواعد تشهد بفضلهم وغيرتهم على الدين ودقتهم فى البحث ، وذلك كله مبسوط فى مؤلفاتهم الكثيرة ويمكن الرجوع اليها

(٦) ليس لمخلوق فى دين الاسلام بعد الرسول أن يدعى أنه ظل الله فى أرضه أو أن يتحدث باعتباره مصدر الاسلام ، انما مصدر الاسلام هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فلا تلتمس غفرانا من غير الله ، ولا ترج غير الله ، ولا تنتظر ثوابا أو أجرا من غير الله ، فلا واسطة بينك وبين الله المطلع على سريرتك ونيتك « انما الأعمال بالنيات » ، « وقال ربكم ادعونى استجب لكم »

(٧) ليس فى الاسلام اكليروس ، ولكل مسلم أن يعتقد أنه حر يلتمس التوجيه من كتاب الله وسنة رسوله ، واذا غم عليه أمر فعليه أن يلجأ الى من هو أفقه منه وأقدر على فهم الكتاب والسنة « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »

(٨) ليس فى الاسلام مبدأ « الاعتراف » عن الخطايا لأحد من البشر ، وليس فيه طلب الغفران من أحد ، ولا تقديم القربان لضمان دخول الجنة .. وانما القاعدة الأساسية فى الاسلام لمن أراد أن يتخلص من ذنبه ، هى الندم على ما فرط ، وطلب المغفرة من الخالق دون التجاء لأحد سواه

(٩) لا رهبانية فى الاسلام ، فالدين لا يعرف الحرمان

من الزواج ، بل يحض أتباعه على التزاوج والتناسل أخذا بسنة الطبيعة البشرية ، ولأن المسلم فى حياته لايعرف الكهانة والكهنوت ، وانما هو انسان يمضى فى الحياة الدنيا ويسعى فى مناكبها مسترشدا بما أوحى ربه من الجمع بين العلم والعمل والجد لنصرة دينه والانتفاع بدنياه تحت نظام دستور الله

هذه بعض قواعد دين الاسلام ، وسنأتى على ذكر أحكام أخرى فى الموضع الذى يحسن أن تكون فيه

شخصية الرسول

وقبل ان نشير الى نظام الحكم فى الاسلام ونقارنه بالديمقراطيات ، نرى لزاما علينا أن نتكلم بايجاز عن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتصل بموضوعنا الذى نعالجه

هل هو حاكم فرد – أى «اتوقراطى» – أو هو «دكتاتور» ينفرد بالامر دون رقيب أو حسيب ؟ .. وهل هو « ديموقراطى » بالمعنى الذى نفهمه أو « ديماجوجى » أو هو غير ذلك مما قد يرد على الخاطر ؟

انه عليه الصلاة والسلام ليس هذا ولا ذاك ، انما هو رسول اجتباه ربه ليبلغ رسالته ، وأوحى اليه دستورا هو القرآن الكريم ، وائتمنه على تنفيذ أوامر هذا الدستور ونواهيه .. يرعى هذه الامة فى حياته بتنفيذ ما ورد فى الكتاب الكريم ، ويترك لهم بعده هذا الدستور على المنهج الوارد به وبما فسره به ، صلوات الله عليه من طرائق التفسير والتنفيذ

عظم شأن رسول الله بين المسلمين وبهرت عظمته نفوسهم ، وساعد على ذلك ماضيه الطاهر ، وشهرته بالامانة ، وحسن سيرته ، وسمو أخلاقه ، فنزل الوحي

يحذر الناس من ان يتجاوزوا به مركزه عند الله وعند الناس : « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » « انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر »

لكن عظمة الرسول الكريم بائتمانه على الوحى وبشخصيته كانت كبيرة تتزايد بمرور الزمن ، حتى كان المسلمون يقفون لمقدمه اجلالا واحتراما ، فكان ينهاهم عن ذلك ، ويقول لهم : (لا تعظمونى كما يعظم الفرس ملوكهم)

توالت الايام وعظمت قوة الرسول ، وفى هذا اغراء للنفوس الصغيرة بالسطوة وقوة الجاه والعظمة ، فلم تزحزح هذه المغريات تلك النفس العظيمة عما رسم لها من تبليغ رسالة الله للناس على النحو الذى أراده الله .. وقد ظنوا ان العظمة تغرى بعض النفوس بابتغاء السلطة الفردية ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجههم بقوله : (لست ملكا ولا جبارا وانما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد) وذكرهم بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم »

فانظر : لقد كان للنبى أن يفاخر بأبيه وجده وأنه من قريش ، بل من سادة قريش ، أولئك الذين لهم مركزهم المعروف ، ولكنه يغضى عن مباهاته بآبائه وينتسب الى أم فقيرة ، والعرب لا يفاخرون بنسبتهم الى النساء ، لكن بنسبهم لاصلابهم ورجالهم فكيف لا يفاخر بهذا كله؟ الم يكن ذلك لقهر النفس واعلان قومه ان لا هدف له سوى رفع شأن الامة وهدايتها الى الطريق القويم غاضا الطرف عن شخصه وذاته ؟.. اليس فى هذا الصنيع معنى

سام يجعل المرء يفنى فى مبدئه دون أن يحوم حول نفسه ؟

ثم انظر : كيف كان الوحى له هاديا ومرشدا اذ قام عليه الصلاة والسلام يدعو الى الله رجلا من كبار مشركى قريش ، وبينما هو كذلك مر عليه رجل ضرير مسلم يسترشده فى أمر من الامور الدينية ، وعطل بذلك محادثة الرسول مع المشرك الكبير ، فغضب الرسول على الضرير المسلم ولم يكلمه وولى وجهه عنه ، فلم يلبث أن نزل عليه الوحى معاتبا له على ما عامل به هذا الضرير رغم أن مركزه الاجتماعى أقل كثيرا من ذلك المشرك الكبير : « عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى » فكان هذا الضرير اذا مر بعد ذلك بالمسجد حياه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى)

تلك هى تعاليم الإسلام التى توحى بأن لا عظمة للعظيم الا بتواضعه وتكريمه للفقير ، ومساواته الضعيف بالقوى ، وهناك ما هو أقوى من ذلك وأدل على عظمة هذا الرسول وحبه للأمة وللعدل والمساواة كحادثة الرجل الذى طلب منه صلى الله عليه وسلم أن يقصه من نفسه لضربة ضربه اياها ، فأذن له بأن يقتص منه ، وكشف له عن صدره ، فلم يسع الاعرابى أمام هذا المظهر السامى الا أن يترامى على صدر الرسول يقبله ويبكى

فمن من الحاكمين يصل الى هذه المعانى السامية التى تتضاءل أمامها معانى الديموقراطية الحديثة ؟

أن سيرة رسول الله وصفاته هى سنة من السنن

الاسلامية يجب أن يأخذ بها المسلمون لتكون نبراسا لهم فيما يكون عليه ولى الامر من صفات حتى يحقق المثل الصالح للمحكومين ، وقد دلنا التاريخ على أن الحاكمين اذا انحرفوا عن جادة الحق ، ولم يكونوا المثل الصالح لطهارة النفس وحسن السيرة والتضحية فى سبيل منفعة الشعب ، كان ذلك مضيعة للأمم وسببا فى انهيار الشعوب وممالكها

قد يتصور من ولى الامر أن يشتد على نفسه ، ولكنه فى العادة قد يضعف أمام ذويه ، وينحرف مرغما بحكم العاطفة الطبيعية ارضاء لأهله أو بنيه ، ولكن رسول الله قد نهانا عن الانقياد لهذا الضعف الانسانى بأمثلة هى أيضا سنة فى الاسلام يجب أن يعيها المسلم ، فقد اقترفت سيدة من قريش هى فاطمة المخزومية جريمة السرقة واعترفت بما اقترفته ، ولم يكن لها ما يبرر اقتراف هذا الجرم ، وكان على الرسول أن ينفذ فيها حكم الله رغم مكانتها فى قريش ، فأتى اليه الناس يلتمسون العفو عنها ، لكن الرسول الامين اجابهم بقوله : « انما أهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »

وقد يشتد المرء على نفسه ، ويشتد على بنيه فى تنفيذ الحق والعدل ، ولكنه قد يضعف أمام زوجته لما يكنه عادة لها من دواعى الحب والاشفاق .. وهنا أيضا ظهرت قوة الامين فى تنفيذ دستور الله غير مراع دواعى قلبه حتى يكون ما عمله سنة للناس أيضا ، فلقد فطن زوجات الرسول الى مكانته فى القلوب وسلطانه على النفوس ، وأن أموال المسلمين بين يديه وتحت أمره في

الحدود التى رسمها له الله ، ورأين وهن بهذه المكانة أن يتميزن عن غيرهن من النساء فى المعيشة والزينة ، فطلبن من الرسول ذلك وألححن عليه ، فنزل قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما »

ومعنى هذا صراحة أن زوجاته اما أن يكن كباقى زوجات المسلمين فى العيش وفى المحافظة على أموال الأمة : لا بذخ ولا زخرف ولا ترف ، واما الطلاق بالحسنى

هذا هو النظام الذى يجب أن يسير عليه الحاكم حتى تستقيم أحوال المحكومين .. فلا محاباة لشخصه ، ولا محاباة لبنيه ، ولا محاباة لزوجته وذويه ، وتلك هى سنة الاسلام وما يجب ان يكون عليه الحاكم فى بلاد الاسلام ، بل هى سنة كل حاكم اذا أراد خيرا لأمته ورفعة لدولته .. وهذا هو الاساس فى الاسلام وفى كل دولة قبل أن تفكر فيما يسمونه بالديمقراطية ، لأن نظمها لا تجدى نفعا الا اذا كانت قائمة على طهارة النفس ، تلك الطهارة التى يجب أن تكون مقدمة على الدساتير وبغيرها لا يقوم نظام للحكم سديد مهما اشتدت الدساتير وقويت

نظام الحكم فى الاسلام

بعد الذى قلناه وجب علينا ان نبحث فى نظام الحكم فى الاسلام ، ولقد قلنا ان رسول الله لم يرد أن يكون ملكا أو ديكتاتورا ، واعلن انه فرد من عامة المسلمين اصطفاه ربه واوحى اليه بدستور الاسلام وهو القرآن ،

يقوم على تنفيذه بأمانة وصدق ، ولا شيء غير ذلك ..
وإذا لم يكن النبى الكريم ملكا ولا جبارا فوضعه اذن غير تلك الاوضاع التى إبتكرها اليونان وغيرهم ، وإذا جاز لمسلم أن يقول بوجوب وجود حاكم للمسلمين على غرار ما يقول به رسول الله ، فأى وصف يوصف به هذا الحاكم أو ولى الامر أو المنفذ لأوامر الله ودستور الله..
صف هذا الحاكم بما شئت من مسميات ، فلقد دعا المسلمون أبا بكر الصديق باسم خليفة رسول الله ، ولقبوا عمر بن الخطاب بلقب أمير المؤمنين .. وكلا اللقبين لم يكن تنفيذا لنص فى الاسلام ، فتسمية الحاكمين بلقب ملك أو خليفة أو سلطان أو قيصر أو امبراطور أو شاه أو غير ذلك من الالقاب هى تسمية بشرية ، والمسلمون أحرار فيها على شريطة أن يفهموا أن فوق الناس جميعا : الملك الخالق وهو الله سبحانه وتعالى

قام أبو بكر الصديق وسمى بالخليفة ، فماذا كان شأنه مع الرعية ؟ قام خطيبا يلقى على الناس عهدا .. وذلك هو الامر الذى يقوم به الحكام فى هذه الاوقات على النحو الذى يرتئيه الناس فى عصرنا الحاضر .. أصبح حاكما دستوريا عن طريق الانتخاب ، وله دستور قائم هو كتاب الله وسنة رسوله ، فلتكن خطبته خطبة عرش أو خطبة رياسة كما يسمونها فى الأزمنة الحاضرة ، فماذا قال ؟ قال للشعب :

« أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم .. فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فسددونى .. اطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم .. الا ان القوى فيكم

ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه .. والضعيف قوى حتى آخذ الحق له ، اقول قولى واستغفر الله لى ولكم» أى شىء أجل من هذه الخطبة لحاكم دستورى ؟ لقد جمعت فأوعت ، واذا كانت خطب العرش أو الرياسة فى الاوقات الحاضرة تعنى بالتفصيل وبما ينويه الحاكم من اعمال الوزارات المختلفة ، فما ذلك الا لأن الأمور قد تشعبت والالتزامات قد تعددت ، وجاز للناس ان يقولوا ما شاءوا فى تلك الخطب ، لكنها لا تخرج فى الواقع عما تضمنه خطاب أبى بكر الصديق من ضرورة قيام حكومة دستورية تستند على انتخاب حر ، وأن تكون الأمة مصدر السلطات ، وأن الحاكم يجب أن يخضع لارادة الأمة ، والا وجب عليه ترك الحكم

* * *

مات ابو بكر الصديق وديمقراطية حكمه كما علمت ، وهى مستمدة من ديمقراطية رسول الله التى عرفت أنها مستمدة من كتاب الله جل شأنه ، فكان على المسلمين ان ينتخبوا حاكما أو خليفة أو راعيا لهم كما انتخبوا من قبل أبا بكر ببيعة السقيفة ، وقد اتفقوا فاختاروا عمر ابن الخطاب بوصية من أبى بكر

كان عمر شديدا من يوم نشأته مهيبا ، لكنه وقد هذبه الاسلام والان نفسه واخضعه اصبح ديمقراطيا يلائم بين الشدة والعدل والديمقراطية ، فقام بين الناس خطيبا يقول لهم : « من راى منكم فى اعوجاجا فليقومه » فأجابه رجل من السامعين : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فقال عمر : « الحمد لله الذى اوجد فى أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بالسيف »

وخطب عمر الناس مرة فى موضوع المهور التى كان

يغالى فيها الجاهليون ، وامر بعدم المغالاة فيها ، فوقفت امرأة تعارضه ، وتحتج بقوله تعالى : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » فلم يكن من عمر الا أن رجع عن رأيه قائلا « أصابت امرأة وأخطأ عمر »

هذا هو عمر .. وتلك هى ديمقراطية حكمه وخضوعه لدستور ربه ، وان الانسان ليرى فى حكم هذا الخليفة ما يعد تطبيقا بصيرا لدستور الاسلام فى كثير من شئون الحكم

فمن ذلك أنه منع كبار الصحابة من الخروج من المدينة المنورة حتى لا ينبثوا فى الاقاليم فيلتف الناس حولهم لما لهم من مكانة فى النفوس ، وصحبة لرسول الله ، فتتعدد الزعامات وتضعف بذلك وحدة الحكم الاسلامى .. بهذا منع ما عساه ان يكون من تفرق المسلمين شيعا وأحزابا بتفرق القادة والرؤساء

ومن ذلك أنه كان يراقب الولاة فيحصر ما كان يملكه الوالى قبل تعيينه ، وما يملكه بعد ذلك .. حتى اذا رأى ثروة للوالى ليستمستمدةمن مورد شريف معروف حاسبه وسأله « من أين لك هذا ؟ » وأضاف الثروة المشتبه فيها الى بيت المال ، وهذا هو الوضع الحاضر فيما تعمله الحكومات من محاسبة الحاكمين على ما اقتنوه من ثروة غير مشروعة

وكان فى كل أدواره يمنع الولاة من الاتجار ، ويلزمهم الا يقوموا الا بأعمال الحكم والادارة ، والا يقتاتوا الا بما قرره لهم من أجر .. وتلك هى القاعدة التى وضعها عمر للاجيال التالية لمنع استغلال النفوذ

ولقد كان يؤمن بأن الحاكم يجب عليه قبل ان يكون

شديدا على الولاة وغيرهم ، ان يكون فى نفسه مثلا صالحا يقتدى به .. لهذا كان متقشفا ، على شظف من العيش يجوع اذا جاعت أمته .. ويكتفى بأكل الشعير والزيت، ولقد جاع مرة فقرقرت بطنه فقال (قرقرى ما شئت فوالله لا أشبعك والأمة جائعة)

ومن أعماله التى تفسر بها أحكام الشرع ، انه منع أخذ الخراج عام المجاعة ولم يحد فيه حد السرقة

ومر يوما فى بعض الاسواق فرأى رجلا يمشى فى السوق منكسا رأسه مسرفا فى تواضعه ، مظهرا تنسكه فرأى أن هذا مناف لما أقر به الدين من أن يكون المسلم شهما بادى العزة ، فنهره بقوله : (ارفع رأسك انك تميت الدين أماتك الله)

* * *

حضرت الوفاة عمر وسأله المسلمون عمن يخلفه ، وطلبوا اليه أن يوصى لابنه عبد الله فرفض لأسباب منها أن الامارة عبء ، فهى تكليف لا تشريف وأنه قد خشى أن يكون فى حكمه قد انحرف عن جادة الحق ، فلا يريد أن يعرض أحدا من بنيه لما يخشاه على نفسه .. ومنها أن الامارة ليست وراثية ، فلا يصح أن تنقلب ملكا عضوضا ، ومنها أن الرياسة والحكم يجب أن يكون للشعب بالبيعة أى بالانتخاب ، فلهذا لم يوص باختيار أحد معين ، وترك الامر للمسلمين ينتخبون من شاءوا. ولكنه رشح ستة من كبار الصحابة منهم عثمان وعلى ، وعهد اليهم أن يرشحوا من بينهم من يرونه أهلا للخلافة، على أن يبايعه الشعب ان شاء ، فرشحوا عثمان ، فبايعه الناس

قام عثمان بالخلافة ، ثم انتهى الامر بقتله لا من فرد

غاضب ، كذلك المارق ابى لؤلؤة الذى اعتدى على حياة عمر بن الخطاب حقدا وضغينة ، فكان اعتداء فرديا .. لكن الاعتداء على عثمان كان من فريق من المسلمين ثاروا عليه لانه حابى بعض اقاربه ، ورأوا فى هذا العمل خروجا على دستور الاسلام ، ومخالفة لما سار عليه الرسول الكريم وأبو بكر وعمر ، ولم يشفع له أنه كان من كبار الصحابة وممن ادوا للاسلام خدمات جليلة .. فنزل من ماله بالكثير لخدمة دينه ، وجمع المصحف الشريف .. كل ذلك وغيره لم يمنع الناس من الثورة عليه وقتله لسبب واحد هو ما اعتبروه من المحاباة ، فى تعيين الولاة والحاكمين ، وفى توزيع مال الامة على بعض الاقارب والاصهار ، فكانت هذه الاعمال مع الاسف أول ثلمة فى صرح نظام الحكم الاسلامى ، وأكبر نكبة أصابت المسلمين .. فلقد كانت نكبة امتد أثرها الفادح الى النزاع على الخلافة من بعده بين الامام على رضى الله عنه .. ذلك الامام العظيم الطاهر ومعاوية ابن أبى سفيان ، وقد وصل الخلاف الى تدخل عائشة رضى الله عنها ، وكانت الطامة الكبرى فقام النزاع المسلح وتفرق المسلمون شيعا وأحزابا ، وتبلبلت الافكار ، وقاسى الامام على من هول هذه الفتنة ما قاسى .. فتنة لم تصبه فى شخصه وذريته فحسب ، وانما كانت فتنة أصابت الاسلام فى صميمه

وليعلم من هذه العبرة من لا يعلم أن المحاباة من الحاكمين من أقوى الاسباب لاثارة النفوس ، ودفع الناس الى الثورات ، وتحطيم الأمم ، وقتل الابرياء ، مع غير الابرياء « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »

استقلال القضاء

أسلفنا فيما سبق معنى الديمقراطية فى الاسلام ، فهى قائمة على نزاهة الحاكمين ليكونوا مثلا صالحا وعلى أن ولى الامر فيهم يختار بالبيعة ، وأن الأمة تراقب أعماله ، وألا طاعة عليها له إذا خرج على نصوص الدستور الاسلامى وتنكر لها ، والأمة رقيبة على ذلك كله ، وألا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .. وقد رأينا مما سبق كيف يناقش المحكومون الحاكمين ويراقبونهم ، وكيف كان الحاكمون يخضعون لرأى الشعب بل يحضونه على أن ينقد ويهدد ، ويكفى ان تعلم ان عمر بن الخطاب كان يحض امته على مراقبته ، وقد قال للشعب فى احدى خطبه : « لا خير فيكم ما لم تقولوا ، ولا خير فى مالم أسمع »

وهاك مثلا واحدا يشعرك بما كان للقاضى من حصانة واستقلال واحترام .. كان على رضى الله عنه أميرا للمؤمنين ، ورأى فى تطوافه يهوديا يحمل جوشنا اى درعا ، وكان هذا الدرع ملكا لعلى ضاع منه ، وطلب الخليفة من اليهودى أن يرد اليه الدرع فرفض مدعيا أنه له ، فلم يجد الخليفة وسيلة سوى الالتجاء الى القاضى شريح .. ذلك القاضى الكبير الذى مارس القضاء من أيام عمر ، ووقف الخصمان أمامه كل يدلى بحجته : الخليفة يدعى واليهودى ينكر ، طلب القاضى من الخليفة شهودا على ملكيته للدرع رغم كونه خليفة ، وأخذا بقاعدة « البينة على من أدعى » فأجاب الخليفة بأن لا شهود له فحكم القاضى لليهودى بالدرع ، وبينما الخصمان خارجان من مجلس القضاء عرض اليهودى على الخليفة أن يأخذ درعه فرفض احتراما لحكم القاضى، وعندئذ أجابه اليهودى بقوله : « أنتم لستم من البشر ،

ولكنكم ملائكة » واعتنق الاسلام لوقته

أنظر الفارق بين قوة القضاء فى ذلك الوقت ومنزلته فى النفوس ، وخضوع الخليفة له ، وهو الحاكم الاعلى ، اذ يلجأ الى القاضى للفصل فى خصومة شخصية بينه وبين أحد أفراد الرعية ولو كان غير مسلم ومن أعداء المسلمين .. حقا ان العدل اساس الملك ، وان الظلم مضيعة له

ديمقراطية الاسلام والديمقراطيات الاخرى

أخذ المؤلفون والفلاسفة على الديمقراطيتين اليونانية والرومانية انهما ديمقراطيتان لا عموم لهما ، ففيهما كما قلنا عدم احترام المرأة ، واباحة الاسترقاق ، والغزو والفتح والاستعمار وايجاد الطبقات ، كما أنحوا باللائمة على ديمقراطية الثورة الفرنسية ، قائلين ان الثورة الفرنسية التى قامت سنة ١٧٨٩ م ، وحطمت الاغلال ، وأعلنت حقوق الانسان فى الحرية والاخاء والمساواة أصبحت اليوم ناقصة لتطور الزمن وظهور مشاكل اقتصادية واجتماعية لم تكن تعرفها

وانى أود أن أبسط هذه المآخذ جميعها ، وما يقابلها من النظم الاسلامية الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله فأقول :

حقوق الانسان :

قرر الدين الاسلامى تكريم بنى آدم والتسوية بين جميع أفراده بالنصوص التى ذكرها من كتاب الله ، وأتى نبيه الكريم ــ تأييدا لما أودعه الله قرآنه ــ بهذا المبدأ حيث يقول فى خطبة حجة الوداع « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ،

اكرمكم عند الله اتقاكم .. ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسـود على أبيض ، فضـل الا بالتقـوى .. الا هل بلغت اللهم فاشهد .. الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب »

اذن فقد نادى الاسلام بالحرية والمساوآة والاخاء قبل أن تنادى بها الثورة الفرنسية باثنى عشر قرنا .. ولم يكن المسلمون فى عملهم هذا الا رافعين لشأن الانسانية جمعاء، فلم يبقوا على نظام الطبقـات الذى كان فى اليونان وفى الرومان وفى بلاد الفرس والهند وفى مصر وفى جـزيرة العرب نفسها ، بل جعلوا النـاس اخوانا متساوين فى الحقـوق والواجبـات .. لا فرق بينهم بالالوان ، ولا بالاصول ، ولا بالاجناس ، ولا بالانساب ، ولا بالاديان .. الكل تحت حكم واحد هو حكم الله

فأين هذا مما تراه الان فى بلاد المدنية والحضارة وفى القرن العشرين ، من التفرقة بين الاجناس ، وبين الملونين وغير الملونين ؟

حرية المراة :

لم يكن للمراة حرية أيام اليونان والرومان ، كمـا لم تكن لها حرية فى جزيرة العرب أيام الجاهلية .. فكان الجاهليون يئدون البنـات ، وقد نزلت فى ذلك آيات كريمة ، منها قوله تعالى « واذا بشر احـدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسـكه على هون أم يدسه فى التـراب » . « واذا الموءودة سـئلت بأى ذنب قتلت » « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحـن نرزقهم واياكم » .. فمنع الاسلام بذلك تلك الوحشية التى كان يرتكبها الجاهليون فى بلاد العرب

ولم يكتف الاسلام بأن أعطى للمرأة حرية أكثر من حريتها فى بلاد اليونان والرومان ، بل أسدى اليها اكثر مما تمنحه اياها البلاد المتحضرة فى وقتنا هذا .. ذلك ان الاسلام أعطى للمرأة شخصية محترمة ، فلها حق الملكية المستقلة عن ملكية زوجها تتصرف فيها كما تشاء من تأجير وبيع وشراء وهبة ووصية ، ولها أن توكل من تشاء غير زوجها وبلا التجاء الى اقرار منه ولها أن تخاصم بنفسها امام القضاء ، فهى انسان كامل لا يربطها بزوجها سوى رباط الزوجية والخضوع لقواعد الفضيلة والاخلاق التى أمر بها الاسلام ، والتى ترتضيها الاخلاق الكريمة ، فأين هذا مما نراه الآن فى البلاد المتحضرة ؟

الفتح والاسترقاق :

موضوعان متصلان احدهما بالاخر ، فالاسترقاق فى كثير من الاحيان كان نتيجة الغزو والفتح .. وكان الفاتحون يأخذون الاسرى فى الحروب كأرقاء ، ثم كانوا يغيرون فى بعض الاحايين ليلتقطوا أسرى يبيعونهم فى الاسواق ، ولو لم تكن هناك حروب بين دولة ودولة .. لهذا نرانا مضطرين الى البحث فى موضوع الفتح والاسترقاق تحت باب واحد

كان الاسترقاق شائعا فى الازمنة الغابرة ، كما كان الغزو والفتح .. ويدلنا التاريخ على أن الامم القديمة كان ديدنها أن تغير على ما جاورها من الامم الاخرى ، وكان الناس فى تلك الازمنة افرادا وحكومات يحبذون هذين العملين ويعتبرونهما تجارة وبطولة معا .. فكان الرق فى بلاد فارس والهند والصين ، وفى بلاد اليونان والرومان وغيرها فى أوربا وفى مصر القديمة والسودان،

وبالجملة كانت الفوضى والاعتداءات شائعة فى بلاد العالم القديمة

ويحكى لنا التاريخ أن الغزو والاسترقاق كانا شائعين أيام الديموقراطيتين اليونانية والرومانية ، حتى أن ارسطو وهو المعلم الاول الذى يتفق مع المفكرين فى ضرورة تطبيق العدل بين الناس ، يرى أن الرق أمر طبيعى ، وأن بعض الناس خلقوا ليكونوا أرقاء تحت سيطرة سادتهم المواطنين الاثينيين ، وكان الارقاء يباعون فى الاسواق علنا رجالا ونساء كما كانوا يباعون فى بلاد الرومان

وكان للسيد سواء فى أوربا ، أو فى آسيا ، أو فى غيرهما ، حق السجن والجلد والتعذيب ، بل والقتل أحيانا ، يزاولون هذه الحقوق ضد عبيدهم ، ويسخرونهم فى أشق الاعمال وأحقرها

ولقد وصل الامر فى شرائع بعض الامم مثل بلاد الرومان ، الى حد أن قوانينها تجعل للدائن الحق فى حبس مدينه الحر واسقاط حريته اذا لم يدفع الدين المطلوب منه ، وأن يسخر هذا الحر المدين فى خدمة دائنه حتى يستوفى دينه

ولم تمنع شريعة اليهود حق الفتح والاسترقاق ، بل قتل شعوب الامم التى لم تعلن خضوعها رجالا ونساء واطفالا .. وأباحت نظم اليهود تخريب البلاد التى لا ترضي بحكمهم ، واخذهم أسرى أو قتلهم . واذا أردت زيادة الايضاح فعليك أن ترجع الى الاصحاح العشرين من سفر التثنية ، والى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج ، والى كتاب مدنية العرب للعالم الكبير جوستاف لوبون ، وكتاب الرق فى الاسلام للمرحوم احمد شفيق

أما الدين المسيحى وقد ظهر فى فلسطين وكانت تحت سيطرة الدولة الرومانية ، وكانت لها شرائع وقوانين ، فانه لم يتعرض لنظم الحكم ، وكان سيدنا عيسى عليه السلام يهدف فى كل أقواله وعظاته الى تطهير النفس والحث على مكارم الاخلاق ، وكان على اتباعه ان يدعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فكان سيدنا عيسى عليه السلام ينادى بقاعدته الذهبية الواردة فى الكتاب المقدس « ماذا يستفيد الانسان اذا ربح العالم كله وخسر نفسه » كل هذا وغيره من وصايا السيد المسيح يدلنا على أن الادارة ونظام الحكم كانا متروكين لحكومة الرومان وقيصرها ، وأن الدين المسيحى يرمى الى تطهير النفوس من أدران الشر ، دون تعرض للتفاصيل

لكن أتباعه قد نحوا نحوا آخر ، فلم تقم طائفة مسيحية تحرم الاسترقاق ، ولم نعثر فى كلام القديسين بولس وبطرس وتوما على ما يحول دون الاسترقاق ، بل كان بعضهم يوصى الرقيق بطاعة سيده . انظر هنا أيضا كتاب جوستاف لوبون فى مدنية العرب ، وبالجملة كان دين السيد المسيح يوصى بالزهد والرحمة والاخوة والمحبة ، ولم يتعرض لاكثر من هذا

انتهت العصور القديمة كما انتهت العصور الوسطى بما فيها من بطش وقسوة وظلم ، حتى أتت الحكومات المتحضرة .. ويكفيك أن تعلم انه صدر فى فرنسا سنة ١٦٥٨ م قانون يدعى بالقانون الاسود يبيح الرق واصطياد الزنوج ، واستمر هذا القانون الى سنة١٨٤٨ م ثم كانت انجلترا تبيح الاسترقاق أيضا ، ولطالما اخذ الزنوج من مساكنهم ومن أحضان أمهاتهم ، ليكونوا أرقاء مستعبدين ينقلونهم من بلادهم الى المستعمرات النائية ،

وأهمها المستعمرات الامريكية الشمالية والجنوبية .. ودليلنا ما نراه الآن فى الامريكتين من هذا العدد الوفير من الزنوج الذين أخذوا من أفريقيا واستوطنوا الامريكتين قهرا وظلما ، واستمر الاسترقاق الانجليزى يفعل ما يشاء حتى القرن التاسع عشر ، وبحسبى أن أرجع القارىء الى ما سطرته دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الفرنسية تحت باب الاسترقاق

ثم استمر هذا النوع من الاسترقاق تحت ستار المدنية الحديثة فيما نراه أمام أعيننا الآن فى المستعمرات البريطانية والفرنسية ، وفى معاملة الملونين فى أمريكا وافريقيا الجنوبية .. تردد الصحف صداها فى ايامنا الحاضرة ، عهد المدنية وحضارة القرن العشرين

الرق فى الاسلام :

أتى الاسلام فى أوائل القرن السابع الميلادى ، وحول جزيرة العرب أمم قد انغمست فى الغزو والفتح والاسترقاق .. وكانت بلاد الحجاز كغيرها من اشد بلاد العالم ظلما وقسوة وجهالة ، جعلت الغزو والاسترقاق ديدنها والرقيق أساس عمرانها فى فلاحة الارض والاعمال الشاقة ، وكان السادة يعاملون الارقاء كما كان سادة البلاد المحيطة بهم يعاملون رقيقهم ، وأصبح الاسترقاق جزءا من حياتهم

اتى الاسلام قائما على رسالة النبى وحده ، ثم التف حوله نفر قليل مهدد بالتعذيب والقتل .. وكان على النبى ان ينشر رسالته والخوف يحيط بأتباعه من كل جانب وما كان له الا أن ينشر وحدانية الله حتى يقلع المشركون عن عبادة الاوثان ، وتلك رسالة روحية قائمة على العقل وحسن التقدير ، وما كان فى مقدوره أن

يصدمهم فينهاهم عما درجوا عليه، وتغلغل فى نفوسهم ويحملهم على أن يتركوا عبيدهم ، ويتركوا مصالحهم فى دنياهم .. ولو أنه فعل لقامت الفتنة ، وتعطلت رسالة الله فى هذه الاقوام القساة ، ويكفيك أن تعلم ماكان عليه هؤلاء الناس من قسوة فى القلوب وتهافت على مصالح الدنيا ، وما كانوا عليه من غزو ونهب وسلب ، وما عكفوا عليه من أخلاق ممقوته ، بل أن تعلم أن بعض هؤلاء الناس – وكانوا اقتنعوا بصحة الاسلام ووحدانية الله وأصبحوا مسلمين – لما علموا باستمرار فرض الزكاة عليهم بعد وفاة النبى ، رجعوا الى شركهم وتركوا دينهم الذى ارتضوه ، وأوجدوا بذلك تلك الفتنة التى سببت حروب الردة .. ومتى كان هذا الشعب حديث عهد بالشرك والتمرد على النظم الى هذا الحد ، فان من الواجب عقلا التدرج فى تهذيب النفوس القاسية لتقلع عما ورثته من تقاليد وعادات رسخت فى نفوسهم ، وأصبحت قطعة من وجودهم

ثم ان الاسلام قائم على الدعوة بالحسنى وعلى النصح والرشاد ، مع الاحتفاظ بالحرية الكاملة وعدم الاعتداء على أحد لا يعتدى على المسلمين « قاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

لهذا كله كانت الدعوة للاسلام سلمية ، وبعد أن اقتنع العرب وأسلموا لله ورسوله كان على النبى عليه الصلاة والسلام – ودين الله دين عالمى – أن يسعى الى نشره فى انحاء العالم ، فكتب الى ملوك البلاد المجاورة وحاكميها أن يدخلوا فى دين الله ، فاذا أسلموا وشعوبهم ، بقيت لهم

ممالكهم .. فالنبى لم يكن فاتحا ولا حاكما ، ولا ينبغى ان يكون ملكا لأية أمة حتى لوطنه بلاد العرب ، فهو رسول ليس غير ، اختاره ربه لتبليغ رسالته لتكون دستورا للعالم كله ، فرسول الله لا يريد سوى تطهير النفوس ، وجعل الناس أمة واحدة كجسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى

ولكن هؤلاء الملوك الحاكمين رفضوا ما عرضه عليهم رسول الله بأنفة وكبرياء بل وباستهزاء ، وأقاموا بين ممالكهم وبين الرسول ودينه ستارا حديديا حتى يمنعوا تسرب العقيدة الى شعوبهم ، ولم يكتفوا بذلك بل خاصموه وناوشوه وأخذوا فى الاعتداء على بلاده حتى يخنقوا هذا الدين فى مهده .. فكان لزاما على الرسول ـ ودينه دين عالمى كما أسلفنا ـ أن يمنع الاذى ، وان يخير غير المسلمين فى أحد أمور ثلاثة : اما اعتناق الاسلام فتكون لهم الحرية الكاملة والاستقلال الكامل ، واما دفع جزية مع بقائهم على دينهم فيصبحون فى أمن وسلام ، والجزية ليست سوى نفقات تحمل المسلمين الدفاع عنهم وصد أى عدوان على بلادهم .. فان لم يكن هذا ولا ذاك كانت الحرب ، وهى حرب لا مناص منها بسبب تعدد الحوادث والاعتداءات من دولتين كانتا متاخمتين لبلاد العرب ، وهما : دولة الرومان الشرقية المعبر عنها بدولة الروم ، ودولة الفرس .. وقد كانتا منغمستين فى المظالم والاستبداد والاسترقاق والفوضى ، وكانتا مع ذلك تبغيان القضاء على العقيدة الاسلامية ، والشر لا يطيق بقاء الخير بجواره

هكذا كانت أسباب الحروب الاسلامية الاولى فى عهد تطبيق قواعد الاسلام تطبيقا صحيحا ، فلم تكن الحروب

غزوا أو طمعا فى ملك أو سلطان ، وانما هى رسالة لعقيدة يجب أن تسود العالم بالحسنى والموعظة الحسنة

***

ولنرجع بعد ذلك الى النقطة الثانية وهى الرق فى الاسلام ، فنقول ان الدين الاسلامى يمنع بصفة قاطعة النخاسة والاسترقاق بالمعنى الذى يفهمه الناس سواء فى العصور القديمة أو الحديثة ، الاسلام يمنع بتاتا اصطياد الزنوج أو غيرهم على النحو الذى درج عليه الناس قديما وحديثا ، فلا يعمل ما عمله اليونان والرومان وغيرهم ، ولا يجيز ما عملته وتعمله الامم الحديثة المستعمرة

لا يجيز الاسلام استرقاق أى انسان عن هذا الطريق ، مهما يكن لونه ومهما تكن عقيدته ـ مسلما كان أو غير مسلم ـ فالحرية مكفولة للجميع ، وحرية الاديان للجميع .. بشرط عدم محاربة الدعوة الى الاسلام ، وانما يبيح الاسلام الرق فى حالة واحدة : فى حالة حرب عدوانية من عدو بعد انذاره بقيام الحرب ضده ، فالاسلام لا يبدأ بالعدوان .. ولا يقوم به الا بعد انذار لمن بدأ به أو خان العهد أى خان المعاهدة المبرمة بينه وبين المسلمين

هذا شأن المسلمين فى حروبهم ، والاسرى المحاربون هم الارقاء .. ولا يوجد فى الاسلام رق الا بهذا السبب ، فلا نخاسة ولا غزو ولا نهب ولا اختطاف لصغير أو كبير .. ولا تسخير للاستعمار كما تفعل الأمم المتحضرة

ولم يبح الاسلام مع ذلك للمسلمين ان يعاملوا ارقاءهم كما كان الأقدمون والمحدثون يعاملونهم ، بل حض على حسن معاملتهم .. كما أوجد أسبابا عدة لعتق الأرقاء ، وما ذلك الا لاعتباره الرق حالة مكروهة ، فهو يعمل على ازالتها

فمن ذلك ما ورد فى القرآن الكريم « وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ».

ومن ذلك قول الرسول عليه السلام: « هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه » . « فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم » ومن آخر وصاياه: « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم »

ومن ذلك الحديث الشريف : « من لطم مملوكا أو ضربه فكفارته عتقه » ومن ذلك رأى ابى حنيفة فى أن الحر يقتل فى العبد ، ومن ذلك الحديث الكريم : « لا يقل أحدكم عبدى ، أمتى .. وليقل فتاى وفتاتى وغلامى » ومن ذلك أن عليا كرم الله وجهه قال : « انى لأخجل من نفسى اذا استعبدت رجلا يقول ربى »

الحض على عتق الأرقاء :

وسعى الاسلام فى تسهيل عتق الرقيق فمن ذلك الحديث السابق ذكره « من لطم مملوكا أو ضربه فكفارته عتقه » ومن ذلك حق المكاتبة وهو ان يكاتب الرقيق سيده على مبلغ من المال يدفعه فورا أو على أقساط ، فيشترى الرقيق بذلك حريته « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » . ويتاح للعبد ان يجمع مالا يشترى به حريته

ومن ذلك أن النبى عليه السلام اتفق مع اسرى بدر على

أن يشترى الرجل منهم حريته بتعليم القراءة والكتابة لعشرة من المسلمين

ومن ذلك أن الأمة اذا ولدت من سيدها ولدا ، فليس له أن يتصرف فيها بهبة أو بيع .. وبوفاته تصبح حرة بلا مقابل ولو كان المتوفى مدينا ، وولدها منه يولد حرا

ومن ذلك أنه يكفى فى الاسلام لعتق الرقيق أن ينطق به السيد ، ولو كان مازحا أو مكرها أو فاقدا لرشده بفعل خمر أو غيرها

ومن ذلك تخصيص سهم من مال الزكاة لمساعدة الرقيق فى شراء حريته ، «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل »

ومن ذلك أن كفارة القتل الخطأ عتق رقبة « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله » وكذلك كفارة الافطار فى رمضان وكفارة الظهار ... الخ

* * *

وقد علمت مما سبق ان الرق فى الاسلام لم يكن الا فى أسرى الحروب التى يثيرها المعتدون على المسلمين او التى تسببها خيانة العهود ومعاهدات الصلح ، وان الحرية مع ذلك كانت ذات أبواب كثيرة مفتوحة على مصاريعها حيث يسترد الاسير حريته للاسباب الكثيرة التى ذكرناها ، فأين هذا من حالة الاسترقاق فى الأزمنة الغابرة ، وأين هذا من الحالة الراهنة بين الأمم المتحضرة ، وكيف تعامل هذه الأمم أسراها فى الوقت الحاضر بالمعاملة السيئة من

اهانات وحبس فى المعسكرات واشغال شاقة وتعذيب وقتل بالغازات الخانقة وبغيرها .. وبينما الاسلام يقرر ان العبد متى استرد حريته اصبح مواطنا واخا ، له كافة الحقوق الوطنية والأخوية .. وهذا صهيب المولى الفارسى يكلفه عمر بأن يؤم المسلمين فى الصلاة وفيهم كبار الصحابة من المهاجرين والانصار .. ولا ننس بلالا الحبشى مؤذن رسول الله وقد أصبح من كبار الصحابة وله منزلته بينهم ، ولا تنس أيضا المولى زيد بن حارثة وهو الذى قاد جيشا أيام رسول الله ، ثم خلفه ابنه أسامة ابن زيد الذى عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائدا للجيش ، وكان تحت امرته كبار الصحابة

ولقد وصل الامر فى شأن الموالى الى ان عمر بن الخطاب عندما كلف عمرو بن العاص فتح مصر بعث هذا وفدا الى المقوقس برياسة الزنجى عبادة بن الصامت ، ولما رآهم المقوقس انكر أن يرأسهم هذا الزنجى بسواد بشرته ، فأجابه الوفد بأنه « وان كان أسود كما ترى فانه من أفضلنا موضعا وأفضلنا سابقة ورأيا وعلما ، وليس ينكر السواد فينا »

هكذا كان شأن الاسلام فى معاملة الموالى والعبيد ..

وبهذه المناسبة ، ولما قلناه من أن الاسلام ليس دين اعتداء وفتح وغزو ، نقول ان فتح مصر لم يكن اعتداء ، بل كان نتيجة اتفاق ومداولات بين قبط مصر وبين المسلمين لما حاق بالقبط من ظلم واضطهاد وقع عليهم من الحكام السابقين من دولة الرومان ، حتى رضى البطريرك الأكبر وهو المقوقس أن يحل عدل الاسلام محل ظلم الرومان

وكان فتح فلسطين من قبل باتفاق بين شعبها ضد المظالم الرومانية .. ولما دخل عمر نفاذا لرغبة البطريرك « صوفرنيوس » ليتسلم الخليفة بنفسه مفتاح بيت المقدس وكانت تسمى « ايلياء » ودخل كنيسة القيامة وحل وقت الصلاة وهو بداخلها هم بالخروج ليؤدى الصلاة خارجها ، وعند ما قال له البطريرك ان دينكم لا يمنع الصلاة فى الكنيسة أجابه عمر بأنه يخشى ان صلى فى الكنيسة أن يعتقد الجهال من المسلمين أنها أصبحت مسجدا ، ثم غادرها وأدى الصلاة خارجها ، وأعطى أهل القدس عهدا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .. وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن احب من أهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فأنهم على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .. ومن كان بها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد

حصادهم . وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية »

* * *

أما بعد : فهذه نظم الاسلام ، وتلك أحكامه ومبادئه ، فان كان للديمقراطية الصحيحة فخر ، فقد استوفى الاسلام فخرها قبل أن يعرفها أهلها ، وان كان لها عيوب فقد تبرأ الاسلام من عيوبها ، وأذهب عن الناس آصارها

فهرس

صفحة

وكلاء مجلات دار الهلال

اللاذقيـــة : السيد نخلة سكاف

جـــــدة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحـــرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ ص.ب ٢١

البرازيـل : Sr. Miguel Maccul Cury,
R. 25 de Marco, 994,
Caixa Postal 7406,
Sao. Paulo, BRAZIL

سـيراليون : Messers Allie Mustapha & Sons
P.O. Box 410
Freetown Sierra Leone

سـنغافورة : Mr Ahmed Bin Mohamad Bin Sa
Almaktab Attijari Assharat,
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

انجـلترا : ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND

نيجـيريا : Mr. Mohamed Said Mansour
Atlas Library Company,
25, Nnamdi Azikiwe Street
LAGOS NIGERIA

هذا الكتاب

مؤلف هذا الكتاب ، كان وثيق الصلة بفلسطين وأهلها ،فقد ادرك - منذ ظهور القضية الفلسطينية - خطر الصهيونية .. فتبنى قضيتها ووهب نفسه للدفاع عنها ،واشترك مع كثيرين من زعماء العـــرب فى الدعاية لها ، والدعوة لاتحاد العرب والتعاون لمنع الكوارث التى تحيق بهم ..

وهو فى هـــذا الكتاب القيم يكشف عن كثير من الحقائق التى يجهلها الكثيرون عن فلســـطين ، ويطلعنا على ما حاق بها من نكبات فى عصور متعاقبة . لقد تناول مكانة فلسطين ، وتحدث عن اليهود بين المسلمين والمسيحيين ، وعن وعد بلفور ، وعن الاغراض التى قامت من اجلهـــا « اسرائيل » وعن موضوعات اخرى كثيرة تهم العرب جميعا - فى هذه المرحلة الجديدة من تاريخنا - كل هذا باســـلوب سلس وقـــوة فى العرض أضفت على الكتاب طابع الادب الرفيع